الجامعة الإسلامية – غزة
عمادة الدراسات العليا
كلية أصول الدين
قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة



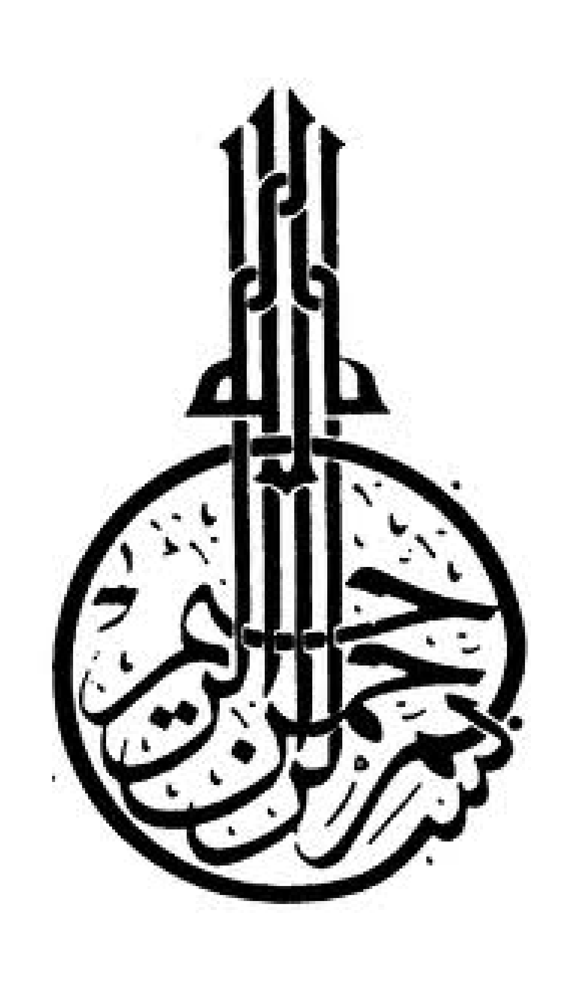
موقف غلاة الصوفية من النبوات في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة

إعداد الطالبة
هنادي محمد الحافي

إشراف الأستاذ الدكتور
محمود يوسف الشوبكي

قدمت هذه الرسالة استكمالًا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة

1433هـ – 2012م


بسم الله الرحمن الرحيم



إلى مــن كــان دعــاؤها نــورًا يضــيء لــي الطــريــق

إلـــى مــن غمــرتنــي بحبــهــا وحنــانــهــا

إلى الظــل الوارف الذي ترعرعت في كنفــه

والدتي الغالية

إلى من أضاء دربي نحو مستقبلي وبث النور في جوانحي

إلى من كدَّ وعانى وبذل وأعطى الكثير

إلى والدي الغالي

إلى أشقـــاء روحي، سندي وذخري

إخوتي وأخواتي

إلى بحار العلوم التي صنعت من علمها سفنًا لتحقيق أحلامنا

"أساتذتي الكرام"

إلى من عجز القلم عن كتابة أسمائهم، فأدخلتهم قلبي بكل افتخار

أخواتي في الله.

إليكم جميعًا أهدي ثمرة هذا البحث

الباحثة

شكر وتقدير

الحمد لله رب العالمين، أهل المجد والثناء، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين نبينا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه ومن والاه أما بعد.

فإنني أشكر الله العلي القدير أولًا وأخيرًا على توفيقه لي بإتمام هذه الرسالة، فهو ﷻ أحق بالشكر والثناء، وأولى بهما، فالحمد لله الذي وفقني لإنجاز هذا الجهد المتواضع.

والصلاة والسلام على النبي المعلم، الذي أوصانا بالشكر، فقال ﷺ: **[مَنْ لاَ يَشْكُرِ النَّاسَ لاَ يَشْكُرِ اللهَ]**[1].

ويشرفني أن أتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذ الدكتور: **محمود يوسف الشوبكي**، لما بذله من جهد في إخراج هذا البحث المتواضع على صورته التي هو عليها.

كما أتوجه بالشكر وعظيم العرفان والامتنان للأساتذة الكرام أعضاء لجنة المناقشة:

الدكتور الفاضل/ رياض محمود قاسم حفظه الله.

الدكتور الفاضل/ عماد الدين عبد الله الشنطي حفظه الله.

وكلي ثقة بالله أولاً ثم بهم، بأن ملاحظاتهم السديدة حول هذه الرسالة سيكون لها الأثر البالغ في إثرائها وإخراجها في أبهى صورة فجزاهم الله عنا خير الجزاء.

كما أتقدم بشكري إلى الجامعة الإسلامية التي خرجت الأجيال، ولا تزال تخرج، جعلها الله نبراسًا للحق، والشكر موصول إلى عمادة الدراسات العليا، وكلية أصول الدين، قسم العقيدة.

وتوقيرًا لوالدي الفاضلين، واعترافًا مني بفضلهما علي، أتقدم إليهما بخالص الشكر والتقدير، على ما أولياني به من رعاية وحب وحنان، حتى وصلت إلى ما أصبو إليه.

كما لا أنسى أن أتقدم بملء الكون عرفانًا وتقديرًا، إلى من رعتني وشدت من أزري، وكانت لي خير معين في رحلتي للانتهاء من رسالتي؛ أختي ورفيقة دربي **نرمين كمال شاهين** حفظها الله ورعاها.

وأخيرًا شكري الخالص لكل من أحبني وخصني يومًا بالدعاء.

وإلى كل أخواتي اللواتي وقفن بجانبي بعد الله ﷻ على إتمام هذا البحث.

فبارك الله في الجميع وسدد خطاهم لكل خير

الباحثة

هنادي محمد الحافي

---

(1) سنن الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك، ص445، ح1954، ط1، مكتبة المعارف.

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلن تجد له مرشدًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

لقد أرسل الله ﷻ سيدنا محمد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين بدين الحق والتوحيد إلى الناس كافة، ليخرج الناس من ظلمات الشرك إلى نور الهداية وعبادة الله وحده.

ولا شك أن الرسول ﷺ واجه الكثير من العقبات من أجل نشر هذا الدين فأيده الله بعصبة من الموحدين، الذين فهموه حق الفهم ودافعوا عنه بكل ما يملكون حتى شاء الله نشر هذا الدين في بقاع الأرض.

ولكن مع ازدياد أعداد المسلمين وتبادلهم العلوم والخبرات مع غيرهم من المسلمين أدى ذلك إلى الترف الفكري. فتأثر مجموعة من المسلمين بكتب الفلاسفة وما احتوته من ضلالات وأوهام، وهذا الذي أدى إلى انحراف طوائف وفرق من هذه الأمة، وكان من أبرز هذه الفرق (الصوفية) التي بدأت كمجموعة اتخذت الزهد شعارها والعقيدة الإسلامية منهاجًا لها، إلا أنه دخل في مسمى العقيدة فرق وطوائف متعددة لم يكن الجامع بينها إلى التحلي بالزهد والاهتمام بأحوال القلوب، أما العقائد فقد تفرقت بهم السبل فيها ولا سيما بين جيل الصوفية الأوائل أمثال إبراهيم بن أدهم والجنيد، وبين المتأخرين منهم كالحلاج وابن عربي وابن سبعين، وعليه فمن الخطأ بمكان إطلاق الأحكام التعميمية على الصوفية بعامة لاتحادهم في الاسم مع اختلافهم في كثير من العقائد والأفكار.

فالصوفية الأوائل ساروا على نهج الرسول ﷺ، أما غلاتهم فقد انحرفوا وقاموا بإدخال الفلسفات والخرافات على العقيدة الإسلامية فليس هناك كفر وزندقة إلا وتلبس بالعقيدة عند غلاة الصوفية من القول بوحدة الوجود إلى القول بالحلول إلى قولهم بأن الرسول ﷺ خلق من نور الله وأن الله خلق الدنيا لأجله وأنه يعلم الغيب، وزعمهم برؤية الأنبياء يقظة، وقالوا بتفضيل الأولياء على الأنبياء، وأجازوا التوسل والاستغاثة بالأنبياء.

ويأتي هذا البحث تحت عنوان: "**موقف غلاة الصوفية من النبوات في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة**".

وفيما يلي خطة البحث:

أولاً: أهمية البحث:

1- تظهر أهمية هذا البحث في أنه يبحث ظاهرة أصبحت منتشرة وبشكل كبير عند الفرق والطوائف الإسلامية ألا وهي الغلو، ومن هذه الفرق التي شاع فيها ذلك الصوفية.

2- ما وجدته عند غلاة الصوفية من غلو وخاصة غلوهم في النبي ﷺ.

3- هذا الذي جعلني أقدم على اختيار هذا الموضوع لأُجلي الحقيقة عن اعتقاد هذه الفرقة في النبوات، لكي يحذر المسلمون من خطرها.

ثانياً: أهداف البحث:

1- التعريف بمفهوم الغلو وبيان موقف الإسلام منه.

2- التعريف بالنبوة والأنبياء.

3- التعريف بالتصوف وأنواعه.

4- تبيين مدى مطابقة ومخالفة اعتقاد فرقة غلاة الصوفية لاعتقاد أهل السنة والجماعة وذلك من خلال عرض عقيدتهم في النبوات على ما جاء في الكتاب والسنة.

5- بيان الضلالات والبدع التي تقوم بممارستها هذه الفرقة باسم التدين كالاستغاثة والتوسل بالأنبياء.

6- بيان العقيدة الصحيحة في النبوات، والمتمثلة في عقيدة أهل السنة والجماعة.

ثالثاً: منهج البحث:

اتبعت الباحثة خلال هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، الذي يقوم بدراسة الظاهرة وبيان خصائصها بطريقة موضوعية وصحيحة من خلال ذكر معتقد غلاة الصوفية في النبوات ثم بسط أقوالهم والرد عليها.

طريقة البحث:

1. عزو الآيات القرآنية إلى مظانها بذكر اسم السورة، ورقم الآية، وتمييز الآيات القرآنية بوضعها بين هلالين بهذا الشكل: ﴿ ﴾.

2. تخريج الأحاديث النبوية الشريفة بعزوها إلى كتب الحديث من صحاح وسنن ومسانيد، ونقل حكم العلماء عليها، وتمييز الحديث النبوي الشريف بوضعه بين هلالين بهذا الشكل: [ ].

3. توثيق الكتاب كاملًا عند أول اقتباس منه، وذلك بذكر اسم الكتاب، اسم المؤلف، اسم المحقق أو المترجم حال وجوده، رقم الجزء، رقم الصفحة، رقم الطبعة، دار النشر، مكان النشر، تاريخ النشر.
4. في حالة الاقتباس من نفس الكتاب بعد ذلك، يكون التوثيق بذكر اسم الكتاب، ورقم الصفحة فقط، وإذا كان الاقتباس من نفس الكتاب، بعده مباشرة، أكتب: السابق، ورقم الصفحة.
5. حين الاقتباس من الشبكة العنكبوتية (الإنترنت) يكون التوثيق بذكر كلمة البحث، يوم وتاريخ الاقتباس، اسم الموقع الذي تم الاقتباس منه، وإذا تكرر الاقتباس من نفس الموقع، أكتفي بذكر اسم الموقع فقط.
6. ترجمة الشخصيات غير المشهورة الواردة في البحث، بالرجوع إلى كتب الرجال والتراجم.

الفهارس:

تم وضع فهارس للآيات القرآنية، والأحاديث النبوية الشريفة، وترتيبها حسب ورودها في الرسالة، والأعلام، والمصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات.

الدراسات السابقة:

لم أقف على دراسة علمية محكمة تتناول موقف الصوفية من النبوات وإنما وجدت كتابات متفرقة كل منها عالج جانباً معيناً، ومنها رسالة ماجستير بعنوان: "ظاهرة الغلو في الدين في العصر الحديث" لمحمد عبدالكريم حامد، ورسالة أخرى بعنوان: "**مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية وأثرها السيء في الأمة**"، لأبي عبدالعزيز إدريس.

خطة البحث:

يتكون البحث من مقدمة، وفصلٍ تمهيدي، وثلاثة فصول، وخاتمة تشمل أهم النتائج والتوصيات.

الفصل التمهيدي

يحتوي على نبذة مختصرة حول عنوان الدراسة، كالتالي:

أولاً: مفهوم الغلو لغةً واصطلاحًا.

ثانيًا: موقف الإسلام من الغلو.

ثالثًا: وسطية الإسلام.

رابعًا: مفهوم التصوف وأنواعه.

خامسًا: مفهوم غلاة الصوفية.

الفصل الأول

موقف غلاة الصوفية من النبوة:

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: معنى النبوة والرسالة.

المبحث الثاني: الوحي والإلهام.

المبحث الثالث: دلائل إثبات النبوة.

المبحث الرابع: النبوة مكتسبة عند غلاة الصوفية.

الفصل الثاني

معتقدات غلاة الصوفية في النبي ﷺ:

وفيه سبعة مباحث:

المبحث الأول: خصائص النبي ﷺ عند غلاة الصوفية.

المبحث الثاني: عقيدة الحقيقة المحمدية عند غلاة الصوفية.

المبحث الثالث: جواز التبرك والتوسل والاستغاثة بالنبي ﷺ عند غلاة الصوفية.

المبحث الرابع: رؤية النبي ﷺ يقظة والتلقي عنه عند غلاة الصوفية.

المبحث الخامس: اعتقادهم أن الولي أفضل من النبي ﷺ عند غلاة الصوفية.

المبحث السادس: محمد ﷺ أول الموجودات وخلقت الكائنات لأجله عند غلاة الصوفية.

المبحث السابع: تفضيل أذكارهم على الأذكار النبوية عند غلاة الصوفية.

الفصل الثالث

معتقدات غلاة الصوفية في الخضر عليه السلام

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: اعتقاد غلاة الصوفية بأن الخضر ولي وليس نبياً.

المبحث الثاني: معتقد غلاة الصوفية بأن الخضر حي إلى الآن وادعاؤهم التلقي عنه.

الخاتمة: وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات.

الفهارس: وضعت فهارس للآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، والأعلام، والمراجع والمصادر، والموضوعات.

الفصل التمهـيـدي

أولاً: الغـــلو لغـــةً واصـــطلاحاً:-

1- **الغلو لغةً:** قال ابن منظور: "وغلا في الدين، والأمر يغلو غلواً: جاوز حده"، قال تعالى: ﴿...**لاَ تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ**...﴾ [المائدة:77]، وفي الحديث الشريف: **[يَأَيُّها النَّاس وَإِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ الْغُلُوُّ فِي الدِّينِ]**(1).

وغلا السهم: "ارتفع في ذهابه وجاوز المدى، وكذلك الحجر وكل مرماه من ذلك غلو"(2)

وقال الفيومي: "وغلا في الدين غلواً من باب قعد: تصلب وتشدد حتى جاوز الحد"، وفي التنزيل: ﴿...**لاَ تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ**...﴾ [النساء:171](3).

غلا: السعر وغيره غلواً، وغلاء: زاد وارتفع وجاوز الحد، وغلا فلان في الأمر والدين: تشدد فيه وجاوز الحد وأفرط فهو غال(4).

وبناءً على ما سبق من المعاني اللغوية لمادة – غلا – يتضح أن لها عدة معانٍ:

أ- تجاوز الحد الطبيعي للشيء أو الحد المعتاد.

ب- التشدد في الشيء، وتجاوز الحد الطبيعي المطلوب.

ج- أن اللفظة تستخدم في الأمور المادية، كرمي السهم، وفي الأمور المعنوية كالتطرف في الفكر والدين.

2- الغـــلو اصـــطلاحاً:-

أ- قال الفخر الرازي: "والغلو نقيض التقصير، ومعناه الخروج عن الحد، وذلك لأن الحق بين طرفي الإفراط والتفريط، ودين الله بين الغلو والتقصير"(5).

---

(1) سنن ابن ماجة، كتاب المناسك، باب: قدر حصى الرمي، ص 134، ح3029، حديث صحيح، ط2، 1429هـ- 2008م، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض.

(2) لسان العرب، لجمال الدين ابن منظور، 4/1011-1012، ط1، دار الكتب العلمية.

(3) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، تأليف العالم العلامة أحمد بن محمد الفيومي، 452/1، ط1، 1414هـ - 1994م، دار الكتب العلمية، بيروت.

(4) انظر: المعجم الوسيط، 660/2، ط2، أخرجه: د. إبراهيم أنيس، د. عبد الحليم منتصر، عطية الصوالحي، محمد خلف الله أحمد، وأشرف على الطبع حسن على عطية، محمد أمين.

(5) التفسير الكبير، للإمام الفخر الرازي، م(11-12)/ج62/12، ط2، دار الكتب العلمية.

ب- وأضاف ابن عاشور: والغلو مصدر غلا في الأمر: "إذا جاوز حده المعروف، فالغلو الزيادة في عمل المتعارف منه بحسب العقل أو العادة أو الشرع"[1].

ج- وأما الشوكاني فقال: "النهي لهم عن الإفراط تارة، والتفريط أخرى، فمن الإفراط غلو النصارى في عيسى حتى جعلوه ربًّاً، ومن التفريط غلو اليهود"[2].

د- وقال الشيخ محمد عبده: الغلو: الإفراط وتجاوز الحد في الأمر – فإذا كان في الدين فهو تجاوز حد الوحي المنزل إلى ما تهوى الأنفس كجعل الأنبياء والصالحين أرباباً ينفعون ويضرون بسلطة غيبية لهم فوق سنن الله في الأسباب والمسببات الكسبية[3].

وبعد إيراد هذه التعريفات نخلص للقول بأن: الغلوَّ: هو مجاوزة الحد الطبيعي في الزيادة أو النقص. ونقصد في بحثنا هذا مجاوزة الحد في العقيدة بما يخص النبوة.

وبذلك الغلو له وجهان: الوجه الأول: الإفراط: من خلال الزيادة في الشيء الذي لم يطلبه الشارع الحكيم. والوجه الثاني: التفريط والتقصير أو الترخيص في التكاليف الشرعية دون دليل شرعي.

ثانياً: أســـباب الغـــلو:

يمثل الغلو ظاهرة انحراف خطيرة في تاريخ البشرية، إذ يعد من أكبر أسباب الانحراف في الدين عن الصراط المستقيم.

وهذا الغلو لا ينشأ فجأةً من فراغ، ولكنه مرتبطٌ بعدة عواملٍ وأسبابٍ تؤدي إليه، وتظهره. وهذه الأسباب كثيرة ومتنوعة لكننا نريد أن نقف على أهم الأسباب التي أدت إلى وجود الغلو لدى طوائف من المسلمين، وأول هذه الأسباب:

أولاً: الجهل بالدين:

القصور في فهم نصوص الشريعة، ويتجلى هذا الأمر في النظرة الجزئية القاصرة لنصوص الشريعة.

---

(1) التحرير والتنوير، الإمام الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، 290/6/4، دار سحنون للنشر والتوزيع.

(2) فتح القدير، الإمام محمد بن علي محمد الشوكاني، حققه أبو حفص سيد إبراهيم بن صادق بن عمران، 95/2، ط2، 1418هـ - 1997م، دار الحديث.

(3) انظر: تفسير القرآن الحكيم، للشيخ محمد عبده، 488/3-489، ط2، دار المعرفة للنشر والطباعة.

مثل غلاة المتصوفة في الرسول ﷺ حين غلوا فيه حيث نظروا إلى جانب التعظيم للرسول ﷺ وأهملوا جانب التوحيد وسد الذريعة إلى الشرك، والسبب الذي أوقعهم في ذلك هو النظرة الجزئية القاصرة لنصوص الشرع، دون جمع النصوص بعضها إلى بعض حتى تكتمل النظرة ويصح الحكم عليها، لكن الجهل بمقاصد الشريعة مع غلبة الهوى وعدم البصيرة هو الذي أوقع المبتدعة فيما وقعوا فيه[1].

ثانيًا: الاعتماد على الأحاديث الواهية والموضوعة:

إن حدوث الوضع في الحديث والكذب على رسول الله ﷺ لم يكن شيئاً عفوياً بل كان تياراً منظماً أحدثته الزنادقة كيدًا للإسلام، وتنفيسًا لكوامن حقدهم عليه، وتجلى ذلك في محاولة تشويه الإسلام بإدخال رواسب أفكارهم ومعتقداتهم التي عمها الإسلام، فأخرجوها في قالب الأحاديث حتى تروج على العامة.

وكان قصدهم من وراء ذلك تشويه الإسلام، وتنفير الناس منه فكانت هذه الأحاديث رصيدا لمن أتى بعدهم من الغلاة يعتمد عليها ويستدل بها. وقل أن يوجد فكر منحرف أو عقيدة غالية إلا ووراءها أحاديث موضوعة وواهية[2]، وسيتم عرض بعض الأحاديث الموضوعة التي تناولها غلاة الصوفية خلال مباحث الرسالة.

ثالثًا: اتباع الهوى[3]:

قال ابن رجب: وقد يطلق الهوى بمعنى المحبة والميل مطلقاً، فيدخل فيه الميل إلى الحق وغيره، وربما استعمل بمعنى محبة الحق خاصة والانقياد إليه، والمقصود بالهوى شرعاً كل ما خالف الهدى سواء سمي عقلاً أو غير ذلك.

والبدع إنما تنشأ من تقديم الهوى على الشرع ولهذا يسمى أهل الأهواء والمعاصي إنما تقع من تقديم الهوى على محبة الله ورسوله، ومحبة ما يحبه، وإنما كان انحراف أهل الكتاب بسبب معارضة الوحي بالهوى فاتبعوا أهواءهم وكذبوا الرسل.

وعند التأمل نجد أصحاب الأهواء يستدلون بأدلة شرعية على أهوائهم وهذا لا يعني أنهم أهل اتباع، ذلك أنهم جعلوا الهوى أصلاً والدليل تابعاً لذلك الهوى، ولا ريب أن أهل الغلو

---

(1) انظر: محبة الرسول بين الاتباع والابتداع، تأليف: عبدالرؤوف محمد عثمان، ص148، ط1، 1414هـ، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، إدارة الطبع والترجمة – الرياض.

(2) انظر: المصدر السابق، ص150.

(3) مشكلة الغلو في الدين في العصر الحاضر، تأليف: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، 1/380-381 بتصرف، ط2، 1420هـ - 1999م، مؤسسة الرسالة.

المعاصرين ليسوا بدعاً من أهل الابتداع في كل عصر فهم إنما قادتهم الأهواء حين خالفوا النصوص فتجاوزوا حدود ما أمر الله ﷻ به، وليس قول من أقوالهم المنحرفة إلا من أمثلة تأثير الهوى في إحداث الغلو.

رابعًا: الاستعلاء على الغير بالعبادة:

قد يتخذ بعض الناس من عبادته سببًا للاستعلاء على غيره، وينظر إليهم نظرة فيها شيء من السخرية والتحقير، ظناً منه أن العلماء تهاونوا في موضوع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا يدرى المسكين أن جمهرة العلماء قرروا أن السكوت على المنكر مخافة الوقوع في منكر أكبر منه واجب تطبيقاً لقاعدة: "ارتكاب أخف الضررين واجب"[1].

قال الشيخ ابن باز رحمه الله تعالى: شاع في هذا العصر أن كثيراً من المنتسبين إلى العلم والدعوة إلى الخير يقعون في أعراض كثير من إخوانهم الدعاة المشهورين، ويتكلمون في أعراض طلبة العلم والدعاة والمحاضرين وهذا المسلك مخالف لما أمر الله به رسوله من جهات عديدة، منها ما يلي: [2]

إنه تعد على خاصة المسلمين وهم الدعاة الذين بذلوا وسعهم في توعية الناس وإرشادهم للطريق المستقيم وتصحيح عقائدهم ومناهجهم.

إنه تفريق لوحدة المسلمين، وتمزيق لصفوفهم، وهم أحوج ما يكونون إلى الوحدة، إن هذا العمل فيه مصلحة لأعداء الإسلام الذين لا همَّ لهم إلا الوقيعة بين علماء الأمة.

خامساً: الطعن في العلماء[3]:-

"ومن أسباب الغلو في الدين اتباع الهوى والتقليد والتعصب للأشخاص أو المذاهب أو الآراء والفكار، بدلاً من التعصب للأدلة، وذلك باعتداد بالنفس والأعراض عن العلماء وتجاهل دورهم ومكانتهم، وعدم احترامهم وتقديرهم، وعدم إرجاع المسائل المعقدة إليهم، حيث يقع ذلك في كثير من المبتدئين الذين بدأوا أخذ جرعات من العلم والمعرفة وبعض المبادئ والأحكام، ثم

---

(1) انظر القواعد الفقهية، تأليف: علي أحمد الندوي، قدم لها العلامة الجليل مصطفى الزرقا، ص313، ط5، 1420هـ، 2000م- دار القلم دمشق.

(2) انظر: التحذير من الغلو في الدين، أخذ يوم الأحد 10-6-2012م، أرشيف حديث الجمعة، تاريخ العدد 2-8-2007م www.arabeyes.com

(3) تجديد الفكر الإسلامي، إشراف وتقديم، أ. د. محمود حمدي زقزوق، ص1192، ط1430هـ-2009م، دار الكتب المصرية، القاهرة، ص 4.

يعتبرون أنفسهم وصلوا إلى قمة العلم، وأحاطوا بكل جوانب المعرفة، متمسكين بالجزئيات والسطحيات".

سادسًا: مجالسة الغلاة:

يقول الله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ۞ وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَكِنْ ذِكْرَى لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الأنعام:68-69] .

وهذا أمرٌ للمؤمن بأن يتجنب ويبتعد عن المشككين وأهل الانحراف والتأويل الباطل وأصحاب الهوى، ولما سئل الشيخ ابن باز رحمه الله عن مجالسة أهل البدع والأهواء أجاب: لا يجوز مجالستهم ولا اتخاذهم أصحاباً، ويجب الإنكار عليهم وتحذيرهم من البدع نسأل الله العافية[1].

هذه الأسباب السابقة وغيرها جعلت الصوفية يخرجون عن الحق، بجانب الاشتغال بالعبادة على الاشتغال بالعلم، بل تعبدوا بعبادات غير مشروعة لم يأمر بها الله ﷻ ولا النبي ﷺ، وأيضاً اعتمادهم مصادر للتلقي غير الكتاب والسنة وتقليدهم للأولياء في أغلاطهم وزلاتهم، لأنهم يفضلون الأولياء على الأنبياء، ودخول الفلسفة إلى التصوف، جعلت الصوفية ينحرفون عن منهج أهل السنة والجماعة.

ثالثاً: أنواع الغلو:

تتعدد أشكال الغلو وصوره، فمنه ما يكون في الاعتقاد ومنه ما يكون في العمل:

أ- الغلو في الاعتقاد[2]:

وهو مجاوزة الحد فيما شرع الله تعالى من الأمور الاعتقادية فإن الله تعالى إنما أنزل الكتاب وبعث المصطفى ليكون الدين كله لله، والغالي لا يكتف بما أنزل الله من الشريعة الكاملة، بل يسعى إلى الزيادة على ما شرعه الله، ومخالفة ما قصده الشارع من التيسير على المكلفين إلى التشديد على نفسه وغيره.

والغلو في الاعتقاد من أخطر أنواع الغلو لأنه اعتداء على أصل الدين وجوهر الرسالة.

---

(1) انظر: الغلو: أسبابه وأبعاده، للشيخ سعد البريك، أخذ يوم الأحد 10-6-2012م.

(2) انظر: المصدر السابق.

ومن الغلو في الاعتقاد غلو النصارى في عيسى عليه السلام حتى أخرجوه من حيز البشرية إلى مرتبة الألوهية، ومنه غلو بعض المتصوفة في الرسول ﷺ حيث ادعوا أنه مخلوق من نور وأن الكون خلق من نوره، وأنه يتصرف في الأكوان. إلى غير ذلك من العقائد الباطلة[1].

ب- الغلو في العمل:

ويقصد به ما كان واقعًا في دائرة الأحكام الشرعية الخمسة وهي الوجوب، والندب، والكراهة، والتحريم، والإباحة. فمن جعل المندوب بمنزلة الواجب، أو المكروه بمنزلة المحرم، أو جعل المباح مكروهاً أو محرماً فقد غلا في الدين وجانب الصراط المستقيم، فمن أوجب على نفسه قيام الليل كله – مثلا – فقد غلا لأنه جعل المندوب بمنزلة الواجب، ولأنه جاوز حدود السنة في هذا الجانب. ومثل هذا من حرم ما أحل الله من النكاح وأكل الطيبات زهداً وتعبداً[2].

رابعاً: موقــف الإســلام من الغـــلو:

1- القــرآن الكــريم:

لقد حذر القرآن الكريم من الغلو في قوله تعالى: ﴿**يَا أَهْلَ الكِتَابِ لاَ تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ**...﴾[النساء:171]، وقوله تعالى: ﴿...**لاَ تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ**...﴾ [المائدة:77] لا تفرطوا في القول فيما تدينون به من أمر المسيح فتجاوزوا فيه الحق إلى الباطل[3].

يا أهل الكتاب لا تغلو في دينكم "أي لا تجاوزوا الحق في دينكم فتفرطوا فيه، وأصل الغلو في كل شيء: مجاوزة حده الذي هو حده"[4].

هذه هي مجموعة من النصوص القرآنية في مواضيع متنوعة، تذم الغلو وأهله ومجاوزة حدود الأشياء فيها، لما يترتب على ذلك من مخاطر وأضرار.

2- السنة النبوية:

وردت أحاديث نبوية عدة، تحدثت عن الغلو والغلاة، تبين موقف النبي ﷺ من ذلك أن هذه النصوص النبوية:

---

(1) انظر: محبة الرسول بين الإتباع والابتداع، ص144.

(2) المصدر السابق، ص145.

(3) جامع البيان في تأويل القرآن، أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، قدّم له: الشيخ خليل الميس، م4، 3148/5، ط1، 1421هـ – 2001م، دار الفكر للطباعة والنشر.

(4) الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله القرطبي، قدم له: فضيلة الشيخ محي الدين، ضبطه: صدقي جميل العطار، 42، 2802/5، ط 1424هـ– 2003م، دار الفكر للطباعة والنشر.

روى البخاري من حديث أنس بن مالك ﷺ أنه: **[جَاءَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا فَقَالُوا وَأَيْنَ نَحْنُ مِنْ النَّبِيِّ ﷺ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ قَالَ أَحَدُهُمْ أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا وَقَالَ آخَرُ أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أُفْطِرُ وَقَالَ آخَرُ أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَيْهِمْ فَقَالَ أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي]**[1].

فقد بيّن النبي ﷺ لهؤلاء الرهط مدى تشددهم على أنفسهم وحذرهم ونهاهم عن ذلك لأنه يخالف سنته ﷺ وهذا هو الغلو ومجاوزة الحد في العبادة.

وقد نهى رسول الله ﷺ أمّته عن الغلو في الدين فقال: **[إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ الْغُلُوُّ فِي الدِّينِ]**[2].

وقد بين رسول الله ﷺ مصير الغالي وعاقبته، حيث أخبر ﷺ: أن من غلا في دينه فقد هلك، وقال: **[هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ، قَالَهَا ثَلَاثًا]**[3].

وما ذلك إلا لخطورة التنطع في الدين، الذي هو الغلو في الدين والتطرف فيه.

خامساً: وســطية الإســـلام:

1- الوسطية لغة[4]: من مادة وسط بسكون السين وتحريكها.

أما إذا كانت السين ساكنة فتكون ظرفاً بمعنى (بين) قال ابن منظور: وأما الوسْط بسكون السين فهو ظرفٌ لا اسم، جاء على وزن نظيره في المعنى وهو (بين) نقول: جلست وسْط القوم، أي بينهم....".

وأما إذا جاءت بفتح السين فإنها تأتي بمعانٍ عدة:

أ- اسماً لما بين طرفي الشيء وهو منه، فنقول كما قال ابن منظور:" قبضت وسَط الحبْل، وكسرت وسَط القوس، وجلست وسَط الدار".

---

(1) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، (340/3)، ح 5063، ط1421هـ - 2001م، دار الفكر.

(2) سنن ابن ماجة، كتاب المناسك، باب: قدر حصى الرمي، ص 134، ح 3029..

(3) صحيح مسلم، كتاب: العلم، باب: هلك المتنطعون، ص1029، رقم الحديث 2670، ط5، 1424هـ - 2008م، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

(4) لسان العرب، 482/7-484، بتصرف.

ب- تأتي صفة بمعنى (خيار) وأفضل وأجود قال ابن منظور: "فأوسط الشيء أفضله وأجوده وخياره، كوسط المرعى خير من طرفه.

ج- وقال الفيومي: "الوسط بالتحريك، المعتدل، يقال شيء وسط أي: بين الجيد والرديء...."[1].

2- الوســطية اصــطلاحاً:

"الوسطية هي العدل في الأمور واختيار ما يحقق التوازن بين المادة والروح، وبين الدنيا والآخرة، وبين حقوق الله وحقوق العباد، وحقوق النفس وحقوق الفرد والجماعة"[2].

التوازن والاعتدال في تنظيم جميع مجالات الحياة الإنسانية دون أن يطغى جانب على آخر.

فأهل السُّنة هما الوسط في العدل والإنصاف وعليه فالوسطية، والاعتدال معنيان مترادفان في المفهوم اللغوي والشرعي الاصطلاحي، فهما: العدل والاستقامة والخيرية والاعتدال والقصد والفضل والجودة[3].

الوسطية من أبرز خصائص الإسلام، ويعبر عنها أيضاً (بالتوازن) ونعني بها التوسط أو التعادل بين طرفين متقابلين أو متضادين، بحيث لا ينفرد أحدهما بالتأثير، ويفرد الطرف المقابل، وبحيث لا يأخذ أحد الطرفين أكثر من حقه، ويطغى على مقابله ويحيف عليه[4].

3- الوســطية في اســتعمال القــرآن الكريم والســنة النــبوية:

أ- الوســطية فــي القــرآن الكــريم:

لفظ (وسط) في لغة العرب كما أوضحنا تعني العدل والإنصاف والأفضل والخيرة والقصد، لا مجرد التوسط بين أمرين، ويتضح هذا المفهوم من خلال الآيات القرآنية التي وردت فيها مادة وسط.

قوله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا... ﴾ [البقرة:143].

---

(1) المصباح المنير، 658/1.

(2) مفهوم الوسطية في التراث الإسلامي بين النظرية والتطبيق، د. عبد الكبير العلوي المدغـري، ص 34، ط 1428هـ - 2007م، مكتبة روعة للطباعة، عمان، الأردن.

(3) انظر مقالاً بعنوان: "مفهوم الوسطية والاعتدال، د. ناصر بن عبد الكريم العقل، راية الإسلام، 2006/4/10م، www.islamflag.net am ,

(4) انظر: مقالًا بعنوان: الوسطية في الإسلام مفهومها ومظاهرها، د. يوسف القرضاوي، إسلام أون لاين، 25-8-2005م.

قال الطبري في تعليقه على الآية: " أي كم هديناكم أيها المؤمنون بمحمد ﷺ وبما جاءكم به من عند الله، فخصصناكم بالتوفيق بقبلة إبراهيم ومكة وفضلناكم على من سواكم من أهل الملل، كذلك خصصناكم وفضلناكم على غيركم من أهل الأديان، بأن جعلناكم أمةً وسطاً[(1)].

قوله تعالى: ﴿ **حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاَةِ الوُسْطَى وَقُومُوا لله قَانِتِينَ** ﴾[البقرة:238]

ومعنى (الوسطى) التي في الوسط وصلاة العصر هي الوسطى لتوسطها الصلوات الخمس، فقبلها صلاتان، وبعدها صلاتان[(2)].

ب- الوســطية في الســنة:

جاءت كلمة وسط في استعمال السنة النبوية بمعنى (العدل) ومن ذلك ما رواه أبو سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: **[يُجَاءُ بِنُوحٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُقَالُ لَهُ هَلْ بَلَّغْتَ فَيَقُولُ نَعَمْ يَا رَبِّ فَتُسْأَلُ أُمَّتُهُ هَلْ بَلَّغَكُمْ فَيَقُولُونَ مَا جَاءَنَا مِنْ نَذِيرٍ فَيَقُولُ مَنْ شُهُودُكَ فَيَقُولُ مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ فَيُجَاءُ بِكُمْ فَتَشْهَدُونَ ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا... ﴾** [البقرة:143]][(3)].

4- مــظاهر ومــجالات الوســطية في الإســلام:

أ- فــي مــجال الاعــتقاد:

نجد الإسلام وسطاً بين الخرافيين الذين يصدقون بكل شيء ويؤمنون بغير برهان وبين الماديين الذين ينكرون كل ما وراء الحس، كما أنه وسط بين الملاحدة الذين لا يؤمنون بالله قط وبين الذين يعبدون الآلهة حتى عبدوا الأبقار وألّهو الأوثان والأحجار.

وقد أكد شيخ الإسلام ابن تيمية على هذا المعلم في العقيدة الواسطية فقال: بل هم أهل السنة الوسط في فرق الأمة، كما أن الأمة هي الوسط في الأمم، فهم وسط في باب صفات الله ﷻ بين أهل التعطيل الجهمية[(4)] وأهل التمثيل

---

(1) انظر: جامع البيان، 745/2.

(2) انظر: المرجع السابق، 1424/2.

(3) صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قوله تعالى: [...**وكَانَ الإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا**] {الكهف:54}، ص1840، رقم الحديث 7349.

(4) الجهمية: طائفة انتشرت في أواخر بني أمية، تنسب إلى جهم بن صفوان الترمذي ومذهبهم نفي الأسماء والصفات، كما أنهم من غلاة المرجئة والجبرية. انظر: الفرق والجماعات والمذاهب والأحزاب والحركات الإسلامية، تأليف: د. عبدالمنعم الحفني. ص258، مكتبة مدبولي، 2005م.

المُشَبِّهَة[1]، وهم وسط في باب أفعال الله بين الجبرية[2] والقدرية وغيرهم، وفي باب وعيد الله بين المرجئة[3] والوعيدية من القدرية[4] وغيرهم، وفي باب أسماء الإيمان والدين بين الحرورية[5] والمعتزلة[6] وبين المرجئة والجهمية وفي أصحاب رسول الله ﷺ بين الرافضة والخوارج[7][8].

هم وسطٌ في باب تعظيم النبي ﷺ:

فهم يعتقدون أنه ﷺ عبد الله ورسوله فيجمعون له مقام العبودية والرسالة، فأتى ﷺ بهاتين الصفتين وجمعهما دفعاً للإفراط والتفريط فإن كثيراً ممن يدَّعي أنه من أمته أفرط بالغلو قولاً وفعلاً، وفرّط بترك متابعته كغلاة الصوفية الذي زعموا أنه ﷺ نور خلق من نور الله، وليس بشراً.

وحيث تطاولوا على مقام النبوة والأنبياء بالتقليل من شأنهم والحط من منزلتهم وتفضيلهم لأوليائهم على الأنبياء جميعاً والنبي ﷺ خاصة، إذ لا نبي بعده ﷺ فمن ادَّعى النبوة بعده علم

---

(1) المشبهة: هم الذين شبهوا الله بالمخلوقات، ويسمون المجسمة وهم على النقيض من الجهمية في إثبات الأسماء والصفات فقد قالوا: إن لله يداً كيد المخلوقين، وسمعاً كسمعهم، وبصراً كبصرهم، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً. انظر: المرجع السابق، ص602.

(2) الجبرية: هم الجهمية ومن وافقهم، القائلون: إن العباد لا إرادة لهم ولا قدرة لهم على فعل الطاعات ولا ترك المنهيات، وهم مجبورون على فعل ذلك كله، وهم نقيض القدرية. انظر: المرجع السابق، ص204-205.

(3) المرجئة: هم عدة أصناف: مرجئة الخوارج، ومرجئة الجبرية، ومرجئة القدرية، والمرجئة الخالصة، وهم القائلون بأنه لا يضر مع الإيمان معصية، كما لا تنفع مع الكفر طاعة، فقد كانوا يعطون المؤمن العاصي الرجاء في ثواب الله. انظر: المرجع السابق، ص594.

(4) القدرية: هم الذين نسبوا التقدير إلى أنفسهم لا إلى الصانع، بمعنى أن الطاعة والعصيان من أفعال العباد وليس من القضاء والقدر، وهم نقيض الجبرية. انظر: المرجع السابق، ص530.

(5) الحرورية: هم الخوارج الذين خرجوا على علي ﷺ حينما قبل التحكيم بينه وبين معاوية ﷺ، فنزلوا واجتمعوا بحروراء وهي بلد قرب الكوفة على ميلين منها، ويسمون بذلك نسبة إليها. انظر: الفرق والجماعات والمذاهب والأحزاب، ص286.

(6) المعتزلة: هم في الصفات جهمية ينفونها، وفي القدر قدرية، يقولون: أعمال العباد مخلوقة لهم، وينكرون رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة، ويوجبون على الله الثواب والعقاب، ويقولون بالعدل والمنزلة بين المنزلتين ويقدمون العقل على النقل وهم أتباع واصل بن عطاء الذي اعتزل مجلس الحسن البصري وهم عشرون فرقة وظلّ معتقدهم باق إلى اليوم. انظر: المرجع السابق، ص605-607.

(7) الخوارج: هم الحرورية، سبق التعريف بهم.

(8) شرح العقيدة الواسطية، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تأليف محمد خليل هرّاس، ضبط وخرج الأحاديث: علوي ابن عبد القادر سقاف، ص184-192، ط3، 1415هـ - 1995م، دار الهجرة للنشر والتوزيع.

كذبه وضلاله ويعتقدون أنه ﷺ يعلم الغيب في حياته[1]، والأصل ما عليه سلف الأمة من وسطية وعدل في الأنبياء ومنهم سيدنا محمد ﷺ فلا يفرطون تفريط اليهود في أنبيائهم ولا يفرطون فيهم مثل النصارى[2].

ب- فـــي مـــجال العـــبادات والشـــعائر.

نجد الإسلام وسطاً بين الأديان والنحل التي ألغت الجانب الرباني جانب العبادة والتنسك والتأله من فلسفتها وواجباتها، كالبوذية التي اقتصرت فروضها على الجانب الأخلاقي الإنساني وحده، وبين الأديان والنحل التي طلبت من أتباعها التفرغ للعبادة والانقطاع عن الحياة والإنتاج، كالرهبانية المسيحية. فالإسلام يطلب من المسلم أداء شعائر محدودة، ثم يطلقه بعد ذلك ساعياً منتجاً يمشي في مناكب الأرض ويأكل من رزق الله "[3].

وخلاصة القول في الوسطية: أن الله ﷻ أمرنا باتباع صراطه المستقيم، وبين القرآن الكريم أن الأمة التي تسير على هذا الصراط المستقيم بأنها أمة وسط، والوسط يحمل معنى الفضل والخير، فالوسط خير من الطرف دائماً، والتوسط خير من التطرف، وتفضيل الوسط يرجع إلى أنه رمز التوازن والعدل، وهو كذلك رمز للوحدة ورمز للتكافل والترابط والاتصال والالتقاء، وإن فضل هذه الأمة وتوسطها يرجع في النهاية لسمو رسالتها الإسلامية، لأن الإسلام أوســط الأديان أي أنه رمز نقائها وصفائها ووحدتها وتكاملها[4]، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: "إن الإسلام وسط بين الأطراف المتجاذبة به، فالمسلمون وسط في التوحيد بين اليهود والنصارى"[5].

إن اعتدال المنهج الإسلامي وعدله بين النواحي الروحية والمادية يحصنه من تسرب الغلو المادي إليه، كما يحميه من الغلو الروحي، ومن كل عيوب، أو تطرف في أي اتجاه كان،

(1) انظر: وسطية أهل السنة بين الفرق، د. محمد باكريم محمد باعبدالله، ص431، ط1، 1415هـ - 1994م، دار الراية للنشر والتوزيع.

(2) انظر: حقوق النبي ﷺ على أمته في ضوء الكتاب والسنة، محمد بن خليفة التميمي، 689/2، ط1، أضواء السلف للنشر، الرياض، السعودية، 1418هـ - 1997م.

(3) الوسطية: مفهومها ومجالاتها ومعالمها، أ. يوسف علي فرحات، بحث مقدم لمؤتمر: الإسلام والعنف والسلم المجتمعي، ص13.

(4) انظر المصدر السابق، ص11.

(5) منهاج السنة النبوية، لابن تيمية، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، 168/5، ط2، 1409هـ - 1989م مكتبة ابن تيمية للنشر.

لذلك فإن اختلاف الإسلام عن بقية الأديان الغالية واستقلاله وتميزه عليها ناتج من توسطه بالالتزام في الصراط المستقيم البعيد عن الإفراط والتفريط[1].

سادساً: مفهوم التصـــوف وأنواعه:-

تمهيد:

الصوفية التي أبحثها هنا هي الصوفية التي خرجت عن الحق إلى الغلو متأثرة بشتى الفلسفات والخرافات المنحرفة،وهي ذات مفاهيم باطلة مضطربة تأثرت بمسالك منحرفة، فليس هناك كفر وزندقة وإلحاد إلا دخل في الفكر الصوفي، وتلبس بالعقيدة الصوفية فمن القول بوحدة الوجود، إلى القول بحلول ذات الله في المخلوقين، كما كذبوا على رسوله ﷺ، وقالوا عنه بأنه قبة العالم، وهو المستوي على عرش الله، إلى القول بأن الأولياء يديرون العالم ويتحكمون في الكون، وغير ذلك من الأمور التي طرقها كبار دعاتهم، مثل الحلاج وابن عربي والجيلي، وغيرهم ممن لبس عليهم إبليس، فقالوا بوجود الله تعالى في كل شيء، حتى صار في عرف غلاتهم أن من لا يعتقد اتصاف الخلق بأوصاف الخالق، لا يمكن أن يعد صوفياً وولياً من أولياء الله[2].

وقد قامت الدعوة للصوفية واظهار شأنها من جديد في هذا العصر على نطاق واسع بسبب عوامل عدة:

1- جهل كثير من المسلمين بحقيقة دينهم، ثم الجهل بحقيقة الصوفية كذلك.

2- مساعدة أعداء الإسلام على نشر الصوفية، لأنهم يعرفون المكاسب التي سيجنون ثمارها إذا علا سلطان الصوفية.

1- الصـــوفية لغـــة[3]:

يطلق علماء اللغة كلمة (صوف) في معاجم اللغة تحت مادة (صوف) على عدة معان، منها:

أ- كلمة صوف تطلق على الصوف، والجمع أصواف.

ب- صوفان – صوفانة وتطلق على بقلة زغباء قصيرة.

(1) انظر: الوسطية: مفهومها ومجالاتها ومعالمها، ص11.

(2) انظر: التصوف: المنشأ والمصادر، إحسان إلهي ظهير، ص6، 1941م – 1987، شبكة الدفاع عن السنة، إدارة ترجمان السنة، لاهور – باكستان، http://www.d-sunnah.net

(3) انظر: لسان العرب، 9/238-239.

ج- قد أطلقت كلمة (صوف) في بعض دلالاتها فيقال صاف السهم عن الهدف بمعنى مال عنه، وصاف عن الشر أي عدل عنه.

د- صوفة: قبيلة اجتمعت من أفناء قبائل.

2- نســبة التصــوف:-

تباينت آراء الباحثين القدامى والمحدثين في أصل لفظ تصوف وموردها فيما يلي أبرز هذه الآراء:

أ- التصوف: "مشتق من الصف، فكأنهم في الصف الأول بقلوبهم من حيث المحاضرة من الله تعالى"(1).

ب- التصوف هو "تجريد العمل لله تعالى، والزهد في الدنيا وترك دواعي الشهرة، والميل إلى التواضع والخمول، وإماتة الشهوات في النفس"(2).

فلقد نقل الطوسي أبو سراج(3) في كتابه الذي يعد أقدم مرجع صوفي أنه قال: "كان في الأصل صفوي، فاستثقل ذلك، فقيل: صوفي"(4).

وهذا التعريف قد لا يصدق في الواقع إلا على التصوف في عهده الأول، الذي كان التصوف فيه عبارة عن الانقطاع لعبادة الله وحده، والزهد في الدنيا والتخفف من متاعها والإقبال على الآخرة(5).

ت- وقال قوم إنما سموا صوفية للبسهم الصوف، وذهب قسم كثير من العلماء إلى أن سبب التسمية للمتصوفة بهذا الاسم أي الصوفية، إنما كان نسبة إلى لبسهم الصوف الذي عبر عن الزهد والتقشف وترك التنعم والملذات المباحة(6).

---

(1) المنقذ من الضلال، لحجة الإسلام الغزالي، بقلم عبدالحليم محمود، ص216، ط7، 1392هـ - 1972م، دار الكتب العلمية.

(2) فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام، د. غالب علي عواجي، 718/2، ط3، 1418هـ - 1997م، دار النية للنشر والتوزيع.

(3) هو أبوالنصر عبد الله بن علي السراج الطوسي الملقب بطاووس، له كتاب: اللمع في التصوف، 104/4، توفي في رجب سنة 378هـ - 988م. انظر: الأعلام، تأليف: خير الدين الزركلي، 104/4، ط 1980م- دار العلم للملايين، بيروت.

(4) اللمع، لأبي نصر السراج الطوسي، قدم له: د. عبد الحليم محمود، د. عبد الباقي سرور، ص 46، دار الكتب الحديثية- مصر.

(5) انظر فرق معاصرة تنسب إلى الإسلام، 718/2.

(6) انظر: التصوف: المنشأ والمصادر، ص19.

ث- وبعض العلماء يرى أن التصوف مأخوذ من الصفاء، أي صفاء أسرارهم أو صفاء قلوبهم أو صفاء معاملتهم لله تعالى، وهو ما يحب الصوفيون التسمي به، بل أن كل انتساب فيما لاحظ (نيكالسون) إلى الصوف يقابله اثنا عشر تعريفاً تعتمد على الصفاء الذي حاول الصوفية أن ينتسبوا إليه، إلا أن القشيري قد استبعد هذا المفهوم في اللغة بقوله: ومن قال إنه مشتق من الصفاء فاشتقاق الصوفي من الصفاء بعيدة في مقتضى اللغة[(1)].

ج- وقيل: سموا صوفية نسبة إلى "الصفة التي كان يجلس فيها فقراء الصحابة من المهاجرين على عهد رسول الله ﷺ رضوان الله عليهم في المسجد، ويرى القشيري أن النسبة إلى الصفة لا تجيء نحو الصوفي، وهذا وإن كان لا يستقيم من حيث الاشتقاق اللغوي ولكنه صحيح من حيث المعنى، لأن الصوفية يشاكل حالهم حال أولئك لكونهم مجتمعين متآلفين متصاحبين لله وفي الله، كأصحاب الصفة"[(2)].

ح- وبعضهم يرى أنه نسبة إلى الصف الأول، فقال القشيري: "فكأنهم في الصف الأول بقلوبهم، من حيث المحاضرة من الله تعالى، فالمعنى صحيح ولكن اللغة لا تقضي هذه النسبة إلى الصف الأول"[(3)].

خ- وبعضهم يرى أنه "نسبة إلى قبيلة بني صوفة وهي قبيلة بدوية كانت حول البيت في الجاهلية، وهي تنتسب إلى رجل يقال له صوفة كان قد انقطع للعبادة في المسجد الحرام"[(4)].

وهناك تعريفات كثيرة خاض فيها العلماء باجتهاداتهم بعضها من وضع أقطاب التصوف وبعضها من غيرهم. [(5)]

إذًا الغرض إنما هو التنبيه إلى ما وقع عليه اختلاف في التعريف بهم، ولما كانت تلك التعريفات أموراً اجتماعية واستحسانات وتقريباً لهذا المذهب، فإنك تجد أنه يرد عليها اعتراضات كثيرة، وفي بعضها أخطاء واضحة، وأرجح الأقوال وأقربها إلى العقل مذهب

---

(1) انظر: الرسالة القشيرية في علم التصوف، تأليف: العلاّمة أبي القاسم القشيري النيسابوري، تحقيق: معروف زريق، وعلي عبدالحميد بلطجي، ص279، ط1، 1413هـ-1993م، حقوق الطبع محفوظة لدار الخير.
(2) المصدر السابق، ص279.
(3) المصدر نفسه، ص279.
(4) فرق معاصرة تنسب إلى الإسلام، 719/2.
(5) انظر التصوف: المنشأ والمصادر، ص20-39.

القائلين بأن الصوفي نسبة إلى الصوف، وأن المتصوف مأخوذ منه أيضاً فيقال: تصوف إذا لبس الصوف[1].

وقد رجح شيخ الإسلام رحمه الله فيما يظهر من كلامه أن التصوف نسبة إلى الصوف حيث قال: وقيل – وهو المعروف – أنه نسبة إلى لبس الصوف[2]، ثم علَّل ذلك بقوله: فإنه أول ما ظهرت الصوفية من البصرة، وأول من بنى دويرة الصوفية بعض أصحاب عبد الواحد ابن زيد[3]، وعبد الواحد من أصحاب الحسن، وكان في البصرة من المبالغة في الزهد والعبادة والخوف ونحو ذلك ما لم يكن في سائر أهل الأمصار، ولهذا كان يقال فقه كوفي وعبادة بصرية[4].

3- مـــفهوم التصـــوف اصـــطلاحاً:

اختلفت كلمة العلماء حول التعريف الحقيقي للصوفية وللتصوف اختلافاً كثيراً قلما يوجد له مثيل، وقد ذكر بعض العلماء أن تلك التعريفات قد تصل إلى الألفين، يقول محمد طاهر الحامدي: "الأقوال المأثورة في التصوف قيل إنها زهاء ألفين"[5].

وقد نقل إحسان إلهي أقوالاً كثيرة عن أقطاب التصوف في تعريفهم للتصوف[6] وفيما يلي بيان ذلك:

أما القشيري فلقد ذكر في رسالته أكثر من خمسين تعريفاً من الصوفية المتقدمين[7].

ونختار من هذه التعريفات الكثيرة بعضها نموذجاً للقراء والباحثين، فينقل السراج الطوسي أن الجنيد سئل عن التصوف، فقال: "أن تكون مع الله بلا علاقة"[8].

---

(1) انظر: التصوف: المنشأ والمصادر، ص37.

(2) انظر: الصوفية والفقراء، لشيخ الإسلام ابن تيمية، قدم د. محمد جميل غازي، ص 10، الناشر دار المدني بجدة للطباعة والنشر.

(3) عبد الواحد بن زيد، زاهد، شيخ العباد، أبو عبيدة البصري، حدث عن الحسن، وعطاء بن أبي رباح، مات بعد الخمسين والمئة. انظر: سير أعلام النبلاء، تصنيف: شمس الدين محمد أحمد الذهبي، 7/180، ط3، 1405هـ - 1985م.

(4) انظر: فرق معاصرة، ص721.

(5) انظر: المرجع السابق، ص39.

(6) انظر: المصدر نفسه، ص36-48.

(7) انظر: الرسالة القشيرية، ص280.

(8) انظر: التصوف: المنشأ والمصادر، ص39.

وعن الشبلي أنه قال: التصوف هو: "الجلوس مع الله بلا همّ"[1].

وقال معروف الكرخي: التصوف هو الأخذ بالحقائق، واليأس مما في أيدي الخلائق، يقول أبو نصر السراج الطوسي: قلت لعلي المصري، من الصوفي عندك، فقال: الذي لا تقله الأرض ولا تظله السماء[2].

ونقل العطار أيضاً عن الجنيد أنه قال: الصوفي هو الذي سلم قلبه كقلب إبراهيم من حب الدنيا، وصار بمنزلة الحامل لأوامر الله، وتسليمه تسليم إسماعيل، وحزنه حزن داوود وفقره فقر عيسى، وصبره صبر أيوب، وشوقه شوق موسى وقت المناجاة، وإخلاصه إخلاص محمد ﷺ وعلى جميع الأنبياء والمرسلين[3].

ويقول أبوبكر الكتاني التصوف: "خلق، فمن زاد عليك في الخلق، فقد زاد عليك في الصفاء"[4].

وفي الحقيقة ما ذُكر لا يعني الاختلاف بقدر ما هو تعبير عن المقام الذي وصل إليه كل قائل ممن تحدث عن التصوف.

وتجدر الإشارة ههنا إلى أن تعريفات التصوف المتعددة التي ذكرناها واخترناها من تعريفات كثيرة جداً تنبئ صراحة عن حقيقة ادعاء علاقة التصوف بالإسلام [5].

ومن معاني التصوف الإسلامي: سئل أبوسعيد الخراز عن التصوف فقال: "من صفى ربه قلبه نورًا، ومن دخل في عين اللذة بذكر الله"[6].

وقال بشر بن الحارث: الصوفي: "من صفا قلبه لله"[7].

4- نشأة التصوف[8]:

لم تعرف كلمة التصوف إلا في أواخر القرن الثاني وشاعت في القرن الثالث للهجرة إلى يومنا هذا، وقد استعمل كلمة التصوف شيخ الإسلام ابن تيمية وامتدح بعضًا من أئمة التصوف

(1) الرسالة القشيرية، ص281.

(2) انظر: الرسالة القشيرية، ص282.

(3) انظر: التصوف: المنشأ والمصادر، ص41.

(4) المنقذ من الضلال، ص223.

(5) انظر: التصوف: المنشأ والمصادر، ص41.

(6) المنقذ من الضلال، ص229.

(7) المرجع السابق، ص231.

(8) انظر نظرات في التصوف، د. بدر عبد الحميد هميسة، ص18، 19، ط 1431هـ - 2010، دون دار نشر.

وتكلم في ألفاظهم المستعملة ورد على المنحرفين منهم وقال نقبل ما عندهم في حق ونحثهم عليه ونرد باطلهم ونزجرهم عنه.

ولم يكن التصوف معروفًا في عهد الرسول ﷺ وأصحابه ﷺ ولا في عصر التابعين رحمهم الله، وإن كانت حقيقته معروفة، هي الإخلاص وحسن الظن بالله تعالى وحسن التوكل عليه والانشغال به عمن سواه، وفي القرن الأول لم يكن يعرف اسم التصوف بل كان أهله يعرفون باسم الزهاد والنساك والبكائين وليس باسم الصوفية...ثم بعد مضي عصر الصحابة والتابعين وفي أواخر القرن الثاني الهجري بدأ لفظ الصوفية يظهر وقد نقل التكلم به عن غير واحدٍ من الأئمة والشيوخ كالإمام أحمد بن حنبل رحمه الله، وقيل إن: أول من بنى دويرة للصوفية هو بعض أصحاب عبدالواحد بن زيد المتوفى بعد الخمسين ومائة للهجرة، وهو من أصحاب الحسن البصري، وكان ذلك في البصرة (وأن أول من عرف باسم الصوفي في المجتمع الإسلامي هو أبوهاشم الصوفي[1] المتوفى قبل منتصف القرن الثاني الهجري) ويقول عمر رضا كحالة[2]: ورد لفظ (الصوفي) لقبًا مفردًا في النصف الثاني للهجرة إذ نعت به جابر بن حيان السكوني[3]، وأما صيغة الجمع (الصوفية) فإنها ظهرت فيما انتهى إليه عمر رضا كحالة عام 199هـ.

ويقول ابن الجوزي في تلبيس إبليس: "والتصوف طريقة كان ابتداؤها الزهد الكلي ثم ترخص المنتسبون إليها بالسماع والرقص، فمال إليهم طلاب الآخرة في العوام لما يظهرونه من التزهد، ومال إليهم طلاب الدنيا لما يرون عندهم من الراحة واللعب" [4].

---

(1) أبو هاشم عبد الله بن محمد (ابن الحنفية) بن أبو هاشم أحد زعماء العلويين، كان ينفر الناس من بني أمية ويستميلهم إلى بني هاشم، كان عالماً بكثير من المذاهب والمقالات، وفاته سنة 98هـ. انظر الأعلام 116/4.

(2) عمر رضا كحالة، مؤرخ، ولد بدمشق، 1323هـ، علّم مدة في مدارسها، واشتغل بالتجارة، انكب على قراءة كتاب إحياء علوم الدين فأثر في نفسه، وانصرف إلى الزهد والكتابة، ترك نحواً من سبعين مصنفاً أشهرها تابه معجم المؤلفين عبارة عن 10 أجزاء، توفي عام 1408هـ.
انظر إتمام الأعلام ذيل لكتاب الأعلام، لخير الدين الزركلي، ص 294، ط2، 1424هـ - 2003م، دار الفكر، دمشق.

(3) جابر بن حيان بن عبد الله السكوني الطوسي، أبو موسى، ولد 200هـ - 815م، كان يعرف بالصوفي، من أهل الكوفة، أصله من خراسان، توفي بطوس، انظر الأعلام 103/2.

(4) حقيقة الصوفية في ضوء الكتاب والسنة، د. محمد بن ربيع بن هادي المدخلي، ص87-88، دون طبعة ودار نشر.

5- أنــواع التــصوف:

إن التصوف الإسلامي يقوم على الالتزام بكتاب الله، وسنة المصطفى محمد ﷺ وعلى غرس الفضائل، واقتلاع الرذائل والشهوات، ومجاهدة النفوس ومحاسبتها محاسبة دقيقة، فهذا هو منهج التصوف الإسلامي، ولكن هناك من غالى من المتصوفة، فأصبح منهجهم قائماً على البدع، والانحرافات، والعقائد المنحرفة، كعقيدة الحلول، وعقيدة وحدة الوجود.

وعليه فإن التصوف ينقسم إلى تصوف سني، وتصوف بدعي، وتصوف فلسفي.

أ- التصــوف الســنّي وأعلامه(1):

المراد بهذا النوع من التصوف ما كان قرين الزهد والتقلل من متاع الدنيا وملذاتها وهو امتداد لما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه ﷺ وإن كان هذا الزهد لم يعرف باسم التصوف إلا في أواخر القرن الثاني الهجري فإن أصله ومعناه وحقيقته كان معروفاً في زمن رسول الله ﷺ، وقد حث على ذلك القرآن الكريم في كثير من آي الكتاب الحكيم، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ فَلاَ تَغُرَّنَّكُمُ الحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلاَ يَغُرَّنَّكُمْ بِاللهِ الغَرُورُ﴾ [فاطر:5] فمصدر التصوف السني هو كتاب الله ﷻ وسنة نبيه محمد ﷺ وآثار الصحابة والتابعين.

ومن أعلام التصوف السُّني:

إبراهيم بن أدهم بن منصور بن يزيد بن جابر، سيد الزهاد:

مولوده في حدود المئة، كان يكنى بأبي إسحاق، خرج إلى العراق، وإلى الشام طلبًا للعلم وللرزق الحلال، وكان يأكل من عمل يده، تعلم على يد علماء العراق، والحجاز، ورغم أن أباه ترك له مالاً كثيراً إلا أنه تركه، ولم يعبأ له، توفي رحمه الله سنة 161هـ - 778م، وهو مرابط مجاهد في إحدى جزر البحر المتوسط، واختلف في وفاته ولعل الراجح أنه مات ودفن في سوفنن (حصن من بلاد الروم، سنة 161هـ - 778م)(2).

عبدالله بن المبارك:

هو عبدالله بن المبارك بن واضح الحنظلي التميمي المروزي، كان يكنى بأبي عبدالرحمن، ولد سنة 118هـ، كان سخيًا، عالمًا ربانيًا، موصوفًا بالزهد، والحديث، والفقه، سمع الثوري، والليث ابن سعد، وأول من صنف في الجهاد كتابًا خاصًا به هو عبدالله بن المبارك، أفنى عمره

---

(1) انظر بحث بعنوان: مفهوم التصوف وأنواعه في الميزان الشرعي، تأليف: أ. د. محمود يوسف الشوبكي، ص44، ط1423هـ- 2002م.

(2) انظر: سير أعلام النبلاء، 7/387-388.

في الأسفار تاجرًا، مجاهدًا، مات بهيت (على الفرات) عائدًا من غزو الروم سنة 181هـ[1].

معروف الكرخي:

هو معروف بن فيروز الكرخي، ولد في كرخ ببغداد، كان مشهوراً بالصلاح، حريصًا على الحق، ومن أقواله المأثورة التي تبين صدق منهجهم في التصوف، قال: "طلب الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب، وانتظار الشفاعة بلا سبب نوع من الغرور، وارتجاء رحمة من لا يطاع جهل"[2].

ب- التـصوف البـدعـي وأعلامه:

هذا التصوف خليط من التصوف الإسلامي والتصوف الجاهلي، وقد يكون رجاله أهل علم وأصحاب نوايا حسنة، وأثرت فيهم العادات السائدة في عصرهم وخاصة ما فيها من بدع.

بعضهم حاول إصلاح الطرق فلم يستطع فاضطروا إلى تأويل أعمالهم التي هي في الظاهر مخالفة لكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ ليوهموا الناس بأنها لا تعارض النصوص الشرعية وليسلموا من الطعون والانتقادات الموجهة إليهم، وهؤلاء القوم ليس لهم تطلع لإقامة دين الله تعالى في الأرض، بل هم يشغلون أنفسهم بأمور أهمها: الاشتغال بأوراد وأذكار، غالبًا ما تكون طريقتهم في الذكر غير مطابقة للسنة، وتوسلهم بالأولياء والصالحين والاستغاثة بالمقبورين والاستعانة بهم، والتوجه إليهم بالدعاء[3].

ومن أعلام التصوف البدعي:

البوصيري:

هو محمد بن سعيد البوصيري، نسبة إلى أبي صير في بني سويف بمصر، وتوفي بالإسكندرية، عاش ما بين (608 - 696هـ، 1212 - 1296م)، له ديوان شعر، وأشهر أشعاره البردة، وفيها ما فيها من المخالفات الشرعية، والعقائدية[4].

البرعي:

وهو عبدالرحيم بن أحمد بن علي البرعي اليماني، وهو شاعر متصوف من سكان اليمن، درس العلم وأفتى ودرس، له ديوان شعر مطبوع أكثره في المدائح النبوية، ينسب إلى برع بتهامة، توفي سنة 808هـ-1400م[5].

---

(1) الأعلام، 115/4.

(2) المصدر السابق، 269/7.

(3) انظر: مفهوم التصوف وأنواعه في الميزان الشرعي، ص52.

(4) الأعلام، 139/6.

(5) الأعلام، 343/3.

ج- التصـــوف الفلســـفي (الباطـــل) وأعلامه:

وهو التصوف الذي اختلط بالفلسفات القديمة حتى غلبت عليه أفكار الفلاسفة كالفلسفة الإشراقية والزرادشتية وهو أيضاً يشمل على رهبانية النصارى، ودردشة الهنادكة، ودخل إليه الشرك أيضاً عن طريق تأثره بالفلسفة اليونانية والرومانية والفارسية[1].

وظهرت فيه أفكار الحلول والاتحاد ووحدة الوجود، كما أثرت في ظهور نظريات الفيض والإشراق على يد الغزالي والسهروردي[2].

ومن أعلام التصوف الفلسفي الباطل:

الحلاج:

هو الحسين بن منصور الحلاج، ولد بفاس سنة 244هـ، صوفي متكلم، وله اتصال بالقرامطة، له شطحات كثيرة، من أصحاب عقيدة الحلول والاتحاد، واتهم بالزندقة، كثرت الوشايات به على المقتدر العباسي فأمر بالقبض عليه فسجن وعذب وضرب، وقال ابن خلكان: وقطعت أطرافه الأربعة ثم حزَّ رأسه وأحرقت جثته، ولما صارت رمادًا ألقيت في دجلة ونصب الرأس على جسر بغداد[3].

ابن عربي:

هو محمد بن علي بن محمد ابن عربي، أبوبكر الحاتمي الطائي الأندلسي، المعروف بمحيي الدين بن عربي، صوفي ومتكلم، وفقيه، وأديب، ومفسر، ولد في مرسية بالأندلس سنة 560هـ-1165م، كان يلقب بالشيخ الأكبر، والكبريت الأحمر، له آراء سقيمة أنكرها عليه كثيرٌ من أهل عصره، واتهموه بالزندقة، وعمل بعضهم على قتله خاصة في مصر، وحرم الشيخ جلال الدين السيوطي النظر في كتبه، له مؤلفات كثيرة منها: الفتوحات المكية، وفصوص الحِكَم، توفي في دمشق عام 638هـ - 1240م[4].

ابن سبعين:

هو عبدالحق بن إبراهيم بن محمد بن نصر بن سبعين الإشبيلي المرسي الرَّقُّوطي، ولد سنة 613هـ، وتوفي سنة 669هـ، وتوفي منتحرًا، قيل: أنه فصد الدم من يديه، وترك ينزف حتى تصفى فمات، وهو صوفي، وحكيم، من أقواله السقيمة: لقد تحجَّر ابن آمنة واسعًا بقوله:

---

(1) انظر: مفهوم التصوف وأنواعه، ص61.

(2) انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، تأليف: الندوة العالمية للشباب الإسلامي، إشراف الدكتور: مانع بن حماد الجهني، ص256، دار الندوة العالمية.

(3) الأعلام، 260/2.

(4) المصدر السابق، 281/6.

"لا نبي بعدي"، ومن مؤلفاته: أسرار الحكمة، وكتاب جواهر السر المنير، ولا تخلو مؤلفاته من الأقوال الباطلة، كان يكثر من القول بوحدة الوجود في مؤلفاته ومواعظه[1].

السهروردي:

الشِّهاب السُّهْروَردي: ولد سنة 549هـ–1154م، يحيى بن حبش بن أميرك، أبوالفتوح، شهاب الدين، السهروردي، اختلف المؤرخون في اسمه، فيلسوف ولد في سهرورد (من قرى رَغبان في العراق العجمي)، ونشأ بمراغة، وسافر إلى حلب فنسب إلا انحلال العقيدة، فأفتى العلماء بإباحة دمه فسجنه الملك الظاهر وخنقه في سجنه بقلعة حلب سنة 587هـ – 1191م، من كتبه: التلويحات، وهياكل النور، وحكمة الإشراق[2].

سابعاً: مفهوم غلاة الصوفية وأقسامه:

1- مفهوم غلاة الصوفية: هم الذين جاوزوا الحد في نظرتهم للألوهية فوقعوا في الحلول والاتحاد، وفي نظرتهم للرسول ﷺ فقالوا بالحقيقة المحمدية، وفي نظرتهم للأولياء فقاموا بتفضيل الأولياء على الأنبياء.

2- **أقسام غلاة الصوفية:**

أ- **القسم الأول: أهل المذهب الإشراقي:**

وهو الذي غلبت فيه الناحية الفلسفية على ما عداها من الزهد، والمقصود بالمذهب الإشراقي، الإشراق النفسي الذي يفيض في القلب بالنور، والذي يكون نتيجة للتربية النفسية والرياضة الروحية وتعذيب الجسم لتنقية الروح وتصفيتها ويمكن أن تكون تلك الصفة يشترك فيها جميع الصوفية وأهل هذا القسم توقفوا عند هذا الحد ولم يقعوا فيما وقع فيه غيرهم من القائلين بالحلول والاتحاد ووحدة الوجود، ولكن هذا الأسلوب مخالف لتعاليم الإسلام وهو مأخوذ من الديانات المنحرفة"[3] كالهندوسية[4] والبوذية[5].

---

(1) الأعــلام، 280/3.
(2) الأعلام، 140/8.
(3) حقيقة الصوفية في ضوء الكتاب والسنة، ص91.
(4) "الهندوسية: ديانة وثنية يعتنقها معظم أهل الهند، وقد تشكلت عبر مسيرة طويلة من القرن الخامس عشر قبل الميلاد إلى وقتنا الحاضر، إنها ديانة تضم القيم الروحية والخلقية إلى جانب المبادئ القانونية، متخذة عدة آلهة حسب الأعمال المتعلقة بها فلكل منطقة إلهاً ولكل عمل أو ظاهرة إله".
الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، ص 531.
(5) البوذية: "هي ديانة في الهند بعد الديانة البرهمية في القرن الخامس قبل الميلاد، كانت في بدايتها متوجهة إلى العناية بالإنسان، كما أن فيها دعوة إلى التصوف والخشونة، ونبذ الترف، والمناداة بالمحبة والتسامح، لكنها لم تلبث بعد موت مؤسسها بوذا أن تحولت إلى معتقدات باطلة ذات طابع وثني". الموسوعة الميسرة، ص 107.

ب- القسم الثاني: مذهب الحلول والاتحاد:

وهم القائلون بأن الله يحل في الإنسان – تعالى الله عن ذلك – وقد نادى بذلك بعض الغلاة من الصوفية كالحسين بن منصور الحلاج الذي أفتى العلماء بكفره وقتله، وقد نسب إليه:

سبحان من أظهر ناسوته سر نا لاهوته الثاقب

ثم بدا في خلقه ظاهرًا في صورة الآكل والشارب[1]

"فالحلاج حلولي يؤمن بثنائية الحقيقة الإلهية، فيزعم أن الإله له طبيعتان: هما اللاهوت والناسوت، وقد حل اللاهوت في الناسوت، فروح الإنسان هي لاهوت الحقيقة الإلهية وبدنه ناسوته"[2].

ت- القسم الثالث: مذهب وحدة الوجود:

القول بوحدة الوجود يقرر بأن الموجود واحد في الحقيقة وكل ما نراه ليس إلا تعينات للذات الإلهية وزعيم هذه الطائفة ابن عربي، ويقول في كتابه الفتوحات المكية:

العبد رب والرب عبد يا ليت شعري من المكلف

إن قلت عبد فذاك حق أو قلت رب أنى يكلف[3][4]

(1) ديوان الحلاج ويليه أخباره وطواسينه، جمعه: د. سعدي ضناوي، ص30، دار صادر، بيروت.

(2) حقيقة الصوفية، ص92.

(3) الفتوحات المكية، ص43.

(4) حقيقة الصوفية، ص92.

الفصل الأول

موقف الصوفية من النبوة

ويشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول: النبوة والرسالة.

المبحث الثاني: الوحي والإلهام.

المبحث الثالث: دلائل النبوة.

المبحث الرابع: النبوة مكتسبة عند غلاة الصوفية.

المبحث الأول

النبــوة والرســالــة

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: النبوة والرسالة لغةً واصطلاحاً.

المطلب الثاني: مذهب أهل السنة والجماعة في النبوة.

المطلب الثالث: النبوة والرسالة عند غلاة الصوفية.

المبحث الأول

النبوة والرسالة

المطلب الأول: النبوة والرسالة لغةً واصطلاحاً.

أولاً: تعريف النبوة:

أ- النبوة لغةً:

1- النبوة مأخوذة من (نبأ) بالهمز حيث جاء في معنى النبأِ الخبرُ، وإنَّ لفلان نبأً، أي خبرًا، تنبأ الرَّجُل: ادَّعى النبوة[1].

2- النبوة من نبا بغير همز بمعنى ارتفعَ، ولهذا النَبْوَةُ والنَبَاوةُ هي ما ارتفعَ من الأرض، وتطلق العرب لفظ النَّبيُّ على علمٍ من أعلام الأرض يهدى بها[2]، والنبي هو الذي أنبأ عن الله والمناسبة بين لفظ النبيِّ والمعنى اللغويِّ أن النبيَّ ذو رفعةٍ وقدر عظيم في الدنيا والآخرة، فالأنبياء هم أشرف الخلق، وهم الأعلام التي يهتدي بها الناس فتصلح دنياهم وأخراهم [3].

ب- النبوة اصطلاحًا:

وقد انقسم العلماء في تعريفهم للنبوة إلى قسمين:

القسم الأول: من جعلها بمعنى وحي الله إلى إنسان بخبر السماء ولم يؤمر بالتبليغ، وجاء في هذا المعنى التعريفات التالية:

قال محمد بن أبي العز الحنفي: "إن من نبأه الله بخبر السماء...وإن لم يأمره أن يبلغ غيره"[4].

قال السفاريني: "هو إنسان أوحي إليه بشرع وإن لم يؤمر بتبليغه"[5].

---

(1) تهذيب اللغة، تأليف: الإمام أبومنصور الأزهري محمد بن أحمد الهروي الأزهري، تحقيق: أحمد عبدالعليم البردوني، مراجعة: علي محمد البجادي، 485/15، الدار المصرية للتأليف والترجمة.

(2) انظر: لسان العرب، 351/15، وانظر: تهذيب اللغة، 487/15.

(3) انظر: الرسل والرسالات، أ.د. عمر سليمان الأشقر، ص13، 1426هـ–2005م، دار السلام للطباعة والنشر.

(4) شرح العقيدة الطحاوية، محمد بن أبي العز الحنفي، ص158، ط8، 1404هـ – 1984م، المكتب الإسلامي، بيروت.

(5) لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، تأليف: العالم الشيخ محمد بن أحمد السفاريني، 49/1، ط2، 1402هـ – 1982م، منشورات مؤسسة الخافقين.

القسم الثاني: من جعل النبوة بمعنى وحي الله إلى إنسان لينبئ الآخرين، ومما جاء في هذا المعنى التعريفات التالية:

قال ابن تيمية: "النبي هو المنبئ عن الله، وهو ينبئ بما أنبأ الله به"[1] أي أن النبي يوحى إليه بشيء معين، ويخبر بشرع من قبله، كأنبياء بني إسرائيل يخبرون أقوامهم بأشياء من الله، ولكن على شريعة موسى، ولا يرسلون إلى قوم كافرين يدعونهم إلى التوحيد، ويلاقون التكذيب والتعنت من قبلهم وعند ذلك يسمون رسلاً[2].

وقال الألوسي: "إن النبي من بعث لتقرير شرع من قبله"[3]

ومما سبق يتبين لنا أن التعريف المختار للنبي هو من بعثه الله لتقرير شرع من قبله، وسوف يتم توضيح سبب اختيار هذا التعريف من خلال ذكر الفرق بين النبي والرسول.

ثانياً: تعريف الرسالة:

أ- الرسالة لغةً:

رسل: الراء والسين واللام أصل واحد يدل على الانبعاث والامتداد، ويقول: جاء القوم أرْسالاً: يتبع بعضهم بعضًا، والرِّسل: الرخاء، واسترسلت إلى الشيء انبعثت نفسك إليه وآنسته[4]، والاسترسال إلى الشيء: كالطمأنينة إليه..والرسالة معروفة وجمعها رسائل، والرسول جمعه رسل[5].

ب- الرسالة اصطلاحاً:

انقسم العلماء في تعريف الرسالة إلى قسمين:

القسم الأول: من جعل الرسالة بمعنى وحي الله إلى إنسان وأمره بالتبليغ وجاء في هذا المعنى التعريفات التالية:

---

(1) النبوات، لابن تيمية، ص271

(2) المصدر السابق.

(3) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم، العلامة الألوسي البغدادي، 173/17، مكتبة دار التراث، القاهرة، بدون طبعة أو تاريخ نشر.

(4) معجم المقاييس في اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، حققه: شهاب الدين أبوعمرو، ص402-403، ط1، 1415هـ - 1994م، دار الفكر للطباعة والنشر.

(5) المحيط في اللغة، تأليف: إسماعيل بن عباد، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، 303/8-304، ط1، 1414هـ-1994، عالم الكتب، بيروت.

قال ابن تيمية رحمه الله: "من أرسل إلى من خالف أمر الله ليبلغه رسالة من الله إليه فهو رسول"[1].

قال السفاريني عن الرسول: "هو إنسان أوحي إليه بشرع الله وأمر بتبليغه"[2].

القسم الثاني: من عرف الرسالة بأن من أوحى الله إليه وأمره بتبليغه شرع جديد كما قال الألوسي في تعريف الرسول: "أنه من بعث بشرع جديد"[3].

ومن خلال التعريفات السابقة يتبين الفرق بين النبوة والرسالة:

1- فمنهم من قال: "إن الكلمتين مترادفتان، وإنهما ذات مدلول واحد، فكل نبي يسمى رسولاً، وكل رسول يسمى نبياً، غير أنه يسمى رسولاً بالنظر إلى ما بينه وبين الناس، فقد أرسله الله تعالى إليهم، ويسمى نبياً بالنظر إلى ما بينه وبين الله حيث إنه نبي وأوحي إليه، وكلاهما متلازمان، وقد ذهب إلى هذا الرأي القاضي عياض[4].

2- ومنهم من عرَّف النبي بأنه من أوحي إليه ولم يؤمر بالتبليغ، والرسول هو من أوحي إليه بشرع وأمر بتبليغه[5]، تعريف فيه نقص كما وضح ذلك د. الأشقر في كتابه الرسل والرسالات من عدة وجوه حيث قال: "وهذا الذي ذكروه هنا بعيد لأمور: **الأول:** إن الله نصَّ على أنه أرسل الأنبياء كما أرسل الرسل في قوله: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلاَ نَبِيٍّ**﴾ [الحج:52]، فإذا كان الفارق بينهما هو الأمر بالبلاغ فالإرسال يقتضي من النبيّ البلاغ. **الثاني:** أنَّ ترك البلاغ كتمان لوحي الله تعالى، والله لا ينزل وحيه ليكتم ويدفن في صدر واحد من الناس، ثمَّ يموت هذا العلم بموته. **الثالث:** قول الرسول ﷺ فيما يرويه عنه ابن عباس: [**عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ فَجَعَلَ يَمُرُّ النَّبِيُّ مَعَهُ الرَّجُلُ وَالنَّبِيُّ مَعَهُ الرَّجُلاَنِ وَالنَّبِيُّ مَعَهُ الرَّهْطُ وَالنَّبِيُّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ**][6]، فدل هذا على أن الأنبياء مأمورون بالبلاغ وأنهم يتفاوتون في مدى الاستجابة لهم"[7].

---

(1) النبوات، لابن تيمية، ص271.

(2) لوامع الأنوار، للسفاريني، 94/1.

(3) روح المعاني، للألوسي، 173/17.

(4) كبرى اليقينات الكونية، د. محمد سعيد البوطي، ص172، ط6، 1399هـ، مطبعة مودي، القدس، وادي الجوز.

(5) انظر: شرح الطحاوية، ص158.

(6) صحيح البخاري، كتاب الطب، باب من لم يرق، ح5752، 28/4-29، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الديل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب، ح220، ص104.

(7) الرسل والرسالات، د. الأشقر، ص13، دار النفائس، الأردن، ط8، 1419هـ-1999م.

3- أما التعريف الذي قال به شيخ الإسلام ابن تيمية في التفريق بين النبي والرسول وهو: "فالنبي هو الذي ينبئه الله، وهو ينبئ بما أنبأ الله، فإن أرسل مع ذلك إلى من خالف أمر الله ليبلغه رسالة من الله فهو رسول"(1)، والملاحظ أن هذا التعريف يظهر النبي بأنه يرسل إلى قوم غير مخالفين لأمر الله من خلال قوله: "فإن أرسل مع ذلك إلى من خالف أمر الله ليبلغه رسالة من الله إليه فهو رسول"(2).

أما التعريف الأخير في التفريق بين النبي والرسول الذي فيه: أن النبي من يوحى إليه ويأتي لتبليغ رسالة الله على شرع من قبله، أما الرسول من يأتي لتبليغ شريعة الله على شرع جديد(3)، يحتاج إلى ضبط أكثر من ذلك لأنه " ليس من شرط الرسول أن يأتي بشريعة جديدة، فإن يوسف كان رسولاً وكان على ملة إبراهيم، قال الله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ** ﴾[غافر:34].

ومما سبق عرضه يتبين لنا أن التعريف المختار للنبوة والرسالة هو: النبي من بُعث لتقرير شريعة من قبله، أما الرسول من بعثه الله بشرع جديد وقد يقر بشرع ماضٍ، ويصدقه بعض المخالفين ويكذبه آخرون.

المطلب الثاني: مذهب أهل السنة والجماعة في النبوة.

النبوة اصطفاء واختيار من الله تعالى، وهي لا تحصل بالاكتساب والمجاهدة، ولا بد من الإيمان بالأنبياء وأن نبوتهم حق، والإيمان بما علمنا اسمه كإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام، وما لا نعلمه نؤمن به إجمالاً، ونصدق ما صح من أخبارهم والعمل بشريعة خاتمهم محمد بن عبدالله ﷺ وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة في النبوة وأيضاً في الرسالة.

---

(1) النبوات، لابن تيمية، ص172.

(2) المصدر السابق، ص172.

(3) انظر: روح المعاني، للألوسي، 173/17، النبوات، لابن تيمية، ص173-174.

أولاً: النبوة اصطفاء:

النبوة فضل إلهي وهبة ربانية، يهبها الله لمن يشاء من عباده، ويختص لها من يريده من خلقه، وهي لا تدرك بالجد والتعب، ولا تنال بكثرة الطاعة والعبادة، وإنما هي بمحض الفضل الإلهي، ﴿ **يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ** ﴾ [آل عمران:74]" [(1)].

فهي إذاً اصطفاء واختيار، ولا تكون إلا لمن اختاره الله تبارك وتعالى لها، ممن هم أهل لحملها، لأنها حمل ثقيل وتكليف عظيم، لا يقدر عليه إلا أولو العزم من الرجال، والنبوة لا تكون بالوراثة، إنما هي اختيار[(2)].

وهي اصطفاء من الله تعالى لمن يشاء من عباده لحكم عظيمة يعلمها ﷻ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "واللَّه سبحانه قد أخبر أَنَّه يصطفي من الملائكة رسلًا ومن الناس، والاصطفاء افتعال من التصفية، كما أنَّ الاختيار افتعالٌ من الخيرة، فيختار من يكون مصطفى. وقد قال –سبحانه وتعالى– : ﴿ **اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ** ﴾ [الأنعام:124]، فهو أعلم بمن يجعله رسولًا ممن لم يجعله رسولًا، ولو كان كل الناس يصلح للرسالة لامتنع هذا، وهو عالمٌ بتعيين الرسول، وأنه أحق من غيره بالرسالة، كما دل القرآن على ذلك، والله سبحانه إذا اتخذ رسولًا فضله بصفات أخرى لم تكن موجودةً فيه قبل إرساله، كما كان يظهر لكل من رأى موسى وعيسى ومحمدًا من أحوالهم وصفاتهم بعد النبوة."[(3)].

والدعوة التي يقوم بها الأنبياء لا تصدر عن ذكائهم، أو من تألمهم للوضع المزري الذي يعيش فيه مجتمعهم...لا شيء من ذلك وحده يحثهم على الاندفاع للإصلاح، إنما مصدر ما يفعلون هو الوحي والرسالة لهذا لا يقاسون أبداً بالحكماء والمصلحين[(4)].

ثانياً: الإيمان بالأنبياء:

الإيمان بالأنبياء أحد الأركان الستة التي يقوم عليها إيمان العبد كما دلت على ذلك النصوص الشرعية، كقوله تعالى: ﴿ **آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ المَصِيرُ** ﴾ [البقرة:285].

---

(1) النبوة والأنبياء، تأليف: محمد علي الصابوني، ص8، دار الصابوني للنشر.

(2) المصدر السابق.

(3) منهاج السنة النبوية، 437/5، 439، باختصار.

(4) مع الأنبياء في القرآن الكريم، تأليف: عفيف عبدالفتاح طبارة، ص14، ط11، 1982م، دار العلم للملايين.

وثبت في صحيح البخاري من حديث أبي هريرة ﷺ قال: [**أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَوْمًا بَارِزًا لِلنَّاسِ إِذْ أَتَاهُ رَجُلٌ يَمْشِي فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الإِيمَانُ قَالَ الإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَلِقَائِهِ وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ الآخِرِ**][1].

والأنبياء كثر فأولهم: آدم ﷺ وآخرهم نبينا محمد ﷺ، وأما الرسل والأنبياء فالصحيح أن أولهم نوح ﷺ وآخرهم نبينا محمد ﷺ ودليل ذلك حديث الشفاعة وفيه طلب الناس من الرسل الشفاعة لهم في الموقف وفيه: [**فَيَأْتُونَ نُوحًا فَيَقُولُونَ يَا نُوحُ إِنَّكَ أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ...الحديث**][2].

وبذلك فإن الإيمان بجميع الأنبياء والمرسلين واجب على كل مسلم ومسلمة، واتفق علماء المسلمين على كفر من كفر أو كذب نبياً معلوم النبوة، وجعل الله ﷻ للذين يؤمنون بالرسل جميعاً أجراً عظيماً، قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا**﴾ [النساء:152][3].

ثالثًا: الحكمة من إرسال الرسل:

" خلق الله تعالى الناس وفطرهم على معرفته، وتوحيده، والإيمان به ﷻ، وأخذ عليهم الميثاق منذ كانوا ذرية في ظهور آبائهم، فكل مولود يولد على الفطرة، إلا أن الشياطين استطاعت أن تغير هذه الفطرة وتحرفها عن الحق، فحاجة الخلق إلى إرسال الرسل وبعثة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ضرورية، فلا يصلح لهم دين ولا دنيا إلا بذلك فهم أشد احتياجًا إلى ذلك من إرسال المطر والهواء؛ بل من النفس الذي لا بد منه، ولذلك يجب علينا أن نؤمن بأن جميع هؤلاء الرسل بعثهم الله؛ لتحقيق غرض أساس واحد وهو عبادة الله ﷻ وإقامة دينه"[4].

---

(1) صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: إن الله عنده علم الساعة، 243/3، ح4777، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله ﷻ، ص28، ح28.

(2) صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب (ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبدا شكورا)، 209/3، ح4712.

(3) انظر: العقائد الإسلامية، د. سعدون محمود الساموك، ص 156، ط1، 2004م، دار وائل للنشر.

(4) الإيمان: أركانه، حقيقته، نواقعه، تأليف: محمد نعيم ياسين، ص64، ط5، 1407هـ – 1987م، مكتبة الفلاح، الكويت.

وتتلخص حاجة الناس إلى الرسل فيما يلي:

1- إن الناس لو تُركوا في هذا الوجود دون تنبيه وإرشاد؛ لوقعوا في الضلالات وذلك بسبب اندفاعهم وراء شهواتهم وأنانيتهم وغرائزهم، ولذلك فهم بحاجة إلى الرسل، ليعرفوهم على خالقهم، ويبعدوهم عن هذه الانحرافات والضلالات(1).

2- إن الله تعالى خلق الناس ليختبر إرادتهم حسب التقويم الذي فطرهم عليه، وليبلوهم أيهم أحسن عملًا، ولولا أن الله تعالى أرسل إليهم الرسل مبشرين ومنذرين، لكان لهم عذر وحجة عند ربهم يوم القيامة لدى محاسبتهم على كفرهم، بأنه لم يرسل لهم من يدلهم على الحق، لذلك كان الناس بحاجة إلى الرسل(2).

3- الناس لا يستطيعون بأنفسهم أن يتوصلوا إلى جميع الخيرات والفضائل والكمالات الخلقية، ولن يتفقوا عليها، لأن غرائزهم وشهواتهم تصرفهم عن الحق والخير فتزين لهم الباطل والشر؛ لذلك فهم بحاجة إلى الرسل ليعلموهم ويبشروهم وينذروهم(3).

4- تذكير الناس بالنشأة والمصير، وتعريفهم بما بعد الموت من شدائد وأهوال، قال تعالى: ﴿يَا مَعْشَرَ الجِنِّ وَالإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آَيَاتِي وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾ [الأنعام:130](4).

5- إقامة الحجة على الناس يوم القيامة، قال تعالى: ﴿أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ﴾ [الأنعام:156](5).

رابعاً: وظائف الرسل عليهم السلام:

1- التبليغ:

"والمراد منه أن يبلغ الرسول كل ما أمر بتبليغه فلا يخفي منه شيئًا، ولا يكتمه بحال من الأحوال، فلا تحمله رغبة ولا رهبة على أن يكتم بعضًا مما أوحي عليه وأمر ببلاغه إلى الناس،

---

(1) انظر: العقيدة الإسلامية وأسسها، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، ص307، 1408هـ – 1988م، دار القلم.
(2) المرجع السابق
(3) انظر: المصدر نفسه، ص307-308.
(4) العقيدة الإسلامية، تأليف: د. محمود سالم عبيدات، ص377-378، دار الفرقان للنشر، دون طبعة.
(5) انظر: المرجع السابق، ص377-378.

والكتمان للوحي الإلهي يتعذر على المرسلين، ويستحيل في حقهم ولا يتأتى لهم، لأن الله تعالى أهّلهم للبلاغ عنه ما أراده لعباده من الهدى والخير، فمتى وجد الكتمان بطلت النبوة، وانتفت الرسالة"[1].

2- الدعوة إلى الله:

" لا تقف مهمة الرسل عند حد بيان الحق وإبلاغه؛ بل عليهم دعوة الناس إلى الأخذ بدعوتهم، والاستجابة لها، وتحقيقها في أنفسهم قولًا وعملًا، وهم في ذلك ينطلقون من منطلق واحد، فهم يقولون للناس: أنتم عباد الله، والله ربكم، والله أرسلنا لنعرفكم كيف تعبدونه ": ﴿ **وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ...** ﴾ [النحل:36][2].

"ومن أهم الشروط الواجب توافرها في الرسول ﷺ لكي يكون داعية إلى الله القدوة الحسنة، ولما كان سيدنا محمد ﷺ متحققًا بوصف القدوة الحسنة على أكمل ما يمكن أن تتصور قدوة حسنة؛ فقد شهد الله له بها، فقال الله تعالى: ﴿ **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ الله أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَاليَوْمَ الآَخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا** ﴾ [الأحزاب:21]، وقد أرشد الله رسله إلى اتخاذ أسلوب الحكمة، والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن، في توجيههم وتعليمهم، ثم التدرج بهم إلى التعنيف فالإنذار فالعقوبة"[3].

"لذلك نرى الله يأمر سيدنا محمداً ﷺ أن يدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، وأن يجادل بالتي هي أحسن، وذلك في قوله تعالى: ﴿ **ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالحِكْمَةِ وَالمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ** ﴾[النحل:125]"[4].

3- إصلاح النفوس وتزكيتها:

الله رحيم بعباده، ومن رحمته أن يحيي نفوسهم بوحيه، وينيرها بنوره، والله يخرج الناس بهذا الوحي من الظلمات إلى النور، ظلمات الكفر والشرك والجهل إلى نور الإسلام والحق: ﴿ **اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آَمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ**

(1) عقيدة المؤمن، تأليف: أبي بكر الجزائري، ص211-212، الناشر: مكتبة دار إحياء الكتب العربية.

(2) الرسل والرسالات، ص45.

(3) انظر: العقيدة الإسلامية، لحبنكة الميداني، ص312.

(4) المصدر السابق، ص 313.

الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة:257]، وإخراج الرسل الناس من الظلمات إلى النور لا يتحقق إلا بتعليمهم تعاليم ربهم، وتزكيه نفوسهم بتعريفهم بربهم بأسمائه وصفاته، وتعريفهم بملائكته وكتبه، وتعريفهم ما ينفعهم وما يضرهم ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ...﴾ [البقرة:129][1].

4- قيادة الأمة وسياستها:

فالرسول في قومه قائدهم وزعيمهم، ورئيسهم وحاكمهم، وقاضيهم ومدبر سياستهم الدينية والدنيوية، ولذلك أمر الله أتباع كل رسول بطاعة رسولهم، وجعل طاعتهم للرسول جزءًا من طاعته سبحانه، فقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللهِ...﴾ [النساء:64]، أما كون الرسول حاكمًا وقاضيًا في أمته، فتشهد له نصوص كثيرة من القرآن الكريم، منها قوله تعالى مخاطبًا رسوله محمدًا: ﴿وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾ [المائدة:49][2].

خامساً: عصمة الرسل:

العصمة: " هي حفظ الله لظواهرهم وبواطنهم من التلبس بمحرم أو مكروه من قول أو فعل، والعصمة ليست كسبية للأنبياء والرسل بل هي منحة من الله وفضل للأنبياء ليستقيم له شأنهم ولا يجدوا في أنفسهم معيناً للكفار والمعاندين عليهم"[3].

اتفقت الأمة الإسلامية على أن الرسل معصومون في تحمل الرسالة، فلا ينسون شيئًا مما أوحاه الله إليهم إلا شيئًا قد نسخ، وهم معصومون في التبليغ، فالرسل لا يكتمون شيئاً مما أوحاه الله إليهم، ذلك أن الكتمان خيانة، والرسل يستحيل أن يكونوا كذلك، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ...﴾ [المائدة:67].

واتفقت الأمة أيضًا على عصمة الأنبياء والرسل من الكبائر من الذنوب وقبائح العيوب كالزنى وعبادة الأصنام، والسحر، ونحو ذلك[4].

(1) انظر: الرسل والرسالات، ص50.
(2) انظر: العقيدة الإسلامية، لحبنكة، ص313-314.
(3) العقيدة الإسلامية، لعبيدات، ص407.
(4) انظر: الرسل والرسالات، ص105-108.

وذهب أكثر علماء الإسلام إلى أن الأنبياء ليسوا معصومين من الصغائر، وقال ابن تيمية: "القول بأن الأنبياء معصومون من الكبائر دون الصغائر هو قول أكثر علماء الإسلام، وجميع الطوائف، حتى إنه قول أكثر أهل الكلام، كما ذكر أبو الحسن الآمدي أن هذا قول أكثر الأشعرية، وهو أيضًا قول أكثر أهل التفسير والحديث والفقهاء"[1].

وأما ما ورد من بعض النصوص الشرعية التي يدل ظاهرها على وقوع المعاصي من بعض الأنبياء مثل معصية آدم بأكله من الشجرة التي نهاه الله عن الأكل منها، فعلى فرض أنها معصية فإنها كانت قبل النبوة، وعندما أكل من الشجرة كان ناسيًا، والنسيان يرفع الإثم عن فاعله، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا**﴾[طه:115][2]، ونبينا محمد ﷺ عاتبه الله عندما قبل الفدية من أسرى بدر، فإنها ليست معصية وإنما هي خلاف الأولى، ثم يرشد الله رسوله إلى ما هو أتم وأكمل ومعلوم أن من جتهد فأصاب فله أجران فإن أخطأ فله أجر واحد، وهذا يعني أنه لم يقع في الإثم ولا في المعصية[3].

"وعلى كلٍّ فإن خطأ النبي ﷺ في الاجتهاد لا يسمى خطأ إلا بالنظر لعلاقته ﷺ بربه أما بالنظر إلى الناس فلا يسعهم إلا اتباعه في كلا الحالين أي أن ما يأتيهم به النبي ﷺ صحيح في حقهم يجب قبوله واتباعه[4].

والسبب في عصمة الأنبياء من الكبائر وعدم عصمتهم من الصغائر، أن الرسل والأنبياء بشر من البشر، عصمهم الله في تحمل الرسالة وتبليغها، فلا ينسون شيئًا، ولا ينقصون شيئًا، وبذلك يصل الوحي الذي أنزله الله إلى الذين أرسلوا إليهم كاملًا، وهذه العصمة لا تلازمهم فينبههم الله إلى خطئهم، ويوفقهم للتوبة والأوبة إليه.

وهذه الصغائر التي تقع من الأنبياء لا يجوز أن تتخذ سبيلاً للطعن فيهم، والإزراء عليهم، فهي أمور صغيرة ومعدودة غفرها الله لهم، وتجاوز عنها، وطهرهم منها، وعلى المسلم أن يأخذ العبرة والعظة لنفسه من هذه، فإذا كان الرسل الكرام – عليهم السلام – الذين اختارهم الله واصطفاهم عاتبهم الله ولامهم على أمور كهذه، فيجب أن نكون على حذر وتخوف من ذنوبنا وآثامنا، وعلينا أن نتأسى بالرسل والأنبياء في المسارعة إلى التوبة إلى الله[5].

---

(1) مجموع الفتاوى، لشيخ الإسلام: تقي الدين أحمد بن تيمية الحرّاني، اعتنى وخرّج أحاديثها: عامر الجزار، أنوار الباز، 319/4، ط1، 1419هـ–1998م، الناشر: مكتبة العبيكان.

(2) انظر العقيدة الإسلامية، للعبيدات، ص411–412.

(3) انظر العقيدة الإسلامية، لعبيدات، ص417.

(4) كبرى اليقينات الكونية، ص167.

(5) انظر: الرسل والرسالات، ص113–114.

خامسًا: صفات الرسل عليهم السلام:

1. الذكورة:

" فلا تكون النبوة والرسالة لأنثى، واعلم أن دليلنا على ذلك هو كل من الواقع الذي عليه إخبار الله تعالى عن الرسل والأنبياء الذين بعثهم إلى الناس على مر الزمن وصفة الكمال التي يجب توافرها للرسل والأنبياء، وهي تنافي الأنوثة كما هو معلوم ولم يقع خلاف عند جمهور المسلمين في اشتراط هذه الصفة " كما قال تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ...**﴾ [الأنبياء:7][1].

2. البشرية[2]:

من تمام الحكمة الربانية أن يبعث الله على البشر رسولًا منهم فيه جميع غرائز البشر ليكون في دعوته وأفعاله وأخلاقه حجة عليهم، وليضرب بنفسه المثل على استطاعة البشر تطبيق أوامر الله واجتناب نواهيه، وإذا تعجب أهل الكفر أن يكون المرسل من الله إليهم بشرًا فتعجبهم من ذلك هو الذي يستدعي العجب، لأنه لو جاء الرسول للبشر من الملائكة فلا بد أن يأتي على صورة بشرية حتى يستطيعوا مشاهدته وحتى تتلاءم صورته الجسدية مع مستوى حواسهم، وإلا لكان أبسط عذر لهم أمام هذا الملك الرسول في تبرير مخالفتهم لأوامر الله ونواهيه أن يقولوا لك: إنك لا تحمل غرائزنا وليس لنفسك شهوات مثل شهواتنا ولو كان لك غرائز وشهوات لخالفت الأوامر والنواهي مثلنا ولاضطرك ذلك لأن تقع بالمعاصي.

3. الأمانة:

الأمانة هي العصمة ومعناها حفظ ظواهرهم وباطنهم – أي الأنبياء والرسل– من التلبس بمعصية ويستحيل عليهم الخيانة فهم محفوظون ظاهراً وباطناً من الزنا والكذب وأمثال ذلك من المنهيات.

ومن معاني الأمانة عصمة الله تعالى للأنبياء مما يخل بالرسالة من خيانة وتلبس بالمعاصي، فهم مبرؤون من المعايب والمعاصي، كما صفى أرواحهم وطهرهم وفضلهم على سائر مخلوقاته، والدليل على وجوب اتصافهم بالأمانة عليهم الصلاة والسلام أنهم لو خانوا بفعل محرم أو مكروه، لكنا مأمورين باتباعهم فيه، لأن الله قد أمرنا باتباعهم في أقوالهم وأفعالهم،

(1) كبرى اليقينات الكونية، ص166.

(2) انظر العقيدة الإسلامية، لحبنكة الميداني، ص 392.

وهو تعالى لا يأمر بمحرم ولا مكروه، وخلاف الأولى، فلا تكون أفعالهم محرمة ولا مكروهة[1].

4. الصدق:

إذا اصطفى الله إنسانًا بالوحي إليه، وكلفه تبليغ رسالته للناس، وزوده ببرهان المعجزة التي تشهد بصدقه، وبأنه رسول الله حقًا، ومبلغ عنه. فهل يمكن أن يقبل العقل أن يكون قد اصطفى لرسالته من يكذب عليه بتبليغ أشياء مخالفة لما أمره بتبليغه فيحرف فيه أو يبدل، أو بتبليغ أشياء من عنده، لم يأذن بها الله فيزيد شيئًا ما على ما أمره بتبليغه، وأوحى إليه به، أو أذن له فيه وقد شهد الله في كتابه لرسله، بأن ما جاؤوا به وحي من عنده، وبأنه هو الحق من ربهم، والحق في التبليغ هو الصدق فمن ذلك شهادة الله في قرآنه لنبينا محمد ﷺ في قوله: ﴿**وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ۞ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى**﴾ [النَّجم:3-4][2].

5. السلامة من العيوب المنفرة[3]:

ولما كانت مهمة الرسل عليهم الصلاة والسلام تستدعي مخالطة الناس لدعوتهم، وإرشادهم، وقيادتهم، وسياستهم، ولما كانت طبائع الناس تنفر من بعض الأمراض المشينة، كان من حكمة الله العالية أن يحمي رسله من مثل هذه الأعراض، والأمراض المنفرة، التي تتقزز منها طبائع الناس وتنفر منها نفوسهم.

لذلك فلا تتعرض أبدان الرسل عليهم الصلاة والسلام بعد الرسالة لما ينفر الناس منهم، ويبعدهم عنهم من أعراض أو أمراض، لأن ذلك كما عرفنا ينافي الرسالة التي تستدعي جلب قلوب أهل الكفر إلى الحق والطاعة بأفضل السبل وأحكمها، وتستدعي تأليف قلوب المسلمين للإقبال على رسولهم ومحبته، والشوق إلى مجالسته.

---

(1) انظر: العقيدة الإسلامية، للعبيدات، ص401-402.

(2) انظر: العقيدة الإسلامية، لحبنكة، ص387-388. (ماذا نكتب)

(3) انظر: المصدر السابق، ص 391.

المطلب الثالث: النبوة والرسالة عند غلاة الصوفية:

أولاً: الفرق بين النبوة والرسالة عند غلاة الصوفية:

النبوة أفضل من الرسالة وأن الولي أفضل من الرسول، يقول ابن عربي:

مقام النبوة في برزخ فويق الرسول ودون الولي(1)

يقول ابن القيم: "وهذا قلب للحقيقة التي اتفق عليها المسلمون وهو أن الرسول أفضل من النبي الذي ليس برسول، والنبي أفضل من الولي الذي ليس بنبي"(2).

وقيل النبوة: "قبول النفس القدسية حقائق المعلومات والمعقولات عن جوهر العقل الأول. والرسالة تبليغ تلك المعلومات والمعقولات إلى المستفيدين والقابلين "(3).

ويفرق الأحباش بين الأنبياء والرسل، فالرسول يأتي بنسخ بعض شرع من قبله، أو يأتي بشرع جديد، والنبي يوحي إليه ليتبع شرع رسول قبله ليقوم بتبليغه يقول الحبشي(4): "اعلم أن النبي والرسول يشتركان في الوحي، فكلٌ قد أوحى الله إليه بشرع يعمل به لتبليغه للناس، غير أن الرسول يأتي بنسخ بعض شرع من قبله أو بشرع جديد. والنبي غير الرسول يوحى إليه يتبع شرع رسولٍ قبله ليبلغه، فلذلك قال العلماء: كل رسول نبي وليس كل نبي رسولاً، ثم أيضاً: يفترقان في أن الرسول يوصف بها الملك والبشر، والنبوة لا تكون إلا في البشر(5)، ويزيد الحبشي الأمر وضوحاً بقوله: "الرسول ينزل عليه الوحي بشرع يعمل به،

---

(1) يوجد بما معناه، بين الولاية والرسالة برزخ فيه النبوة حكمها لا يجهل، الفتتوحات المكية، للشيخ الإمام أبي بكر محيي الدين محمد بن علي بن محمد بن عبدالله الحاتمي، المعروف "بابن عربي"، ضبطه: أحمد شمس الدين، 252/2، ط1، 1420هـ-1999م، دار الكتب العلمية.

(2) انظر مقال: النبوة أفضل من الرسالة عند الصوفية، مجلة البحوث الإسلامية، 227/41.

(3) موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي، د. رفيق العجم، ص959-960، مكتبة لبنان، ناشرون.

(4) يعد الحبشي من المتصوفة المعاصرين ومن أتباع الطريقة الرفاعية، ويبين ذلك أحد تلاميذه (فادي علم الدين) بقوله: فهو عالم عامل، صوفي المشرب، ورفاعي الطريقة والمسلك، بل إن الحبشي متعمق في الفكر الصوفي حيث حصل على الإجازة في الطريقة الرفاعية، ولما جاء في ترجمته أنه: أخذ الإجازة بالطريقة الرفاعية من الشيخ عبد الرحمن السبسبي الحموي، ولهذا يدافع الأحباش وينافحون عن الطرق الصوفية كالرفاعية، والجيلانية، وغيرها ويعتبرونها من البدع الحسنة. انظر: عقيدة الأحباش (الهررية) عرض ونقد، بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير بالجامعة الإسلامية، إعداد الطالب: محمد مصطفى الجدي، ص280، 1422هـ-2001م

(5) انظر: الصراط المستقيم، تأليف: الشيخ عبدالله الهرري، ص297، ط11، 1423هـ - 2002م، دار المشاريع.

ويوحي إليه بنسخ بعض شرع من قبله، أي بنسخ بعض الأحكام التي كانت في زمن الرسول الذي قبله أو ينزل عليه حكم جديد لم ينزل على من قبله من الأنبياء هذا يقال له رسول، أما الذي لم ينزل عليه شيء جديد إلا أن يعمل بشريعة الرسول الذي قبله كأن أمر فقيل له: بلغ شريعة موسى مثلاً فهذا يقال له نبي ولا يقال له رسول"(1).

وبعد هذا العرض للتفريق بين النبوة والرسالة عند الأحباش، يلاحظ على الحبشي أنه قال بالتعريف الصحيح الذي عليه السلف، وهذا ما سبق بيانه في تعريف النبوة والرسالة.

وأيضاً وافق الحبشي السلف في تفريقه بين النبوة والرسالة حيث إن الرسالة يوصف بها الملك والبشر، ولكن هذا التفريق ليس دقيقاً لأن إرسال الملائكة لا يكون لتبليغ رسالة بل لتفعل فعلاً معيناً، ويقول ابن تيمية رحمه الله في ذلك: "والإرسال اسم عام يتناول إرسال الملائكة، وإرسال الرياح، وإرسال الشياطين، وإرسال النار...لكن الرسول المضاف إلى الله إذا قيل رسول الله، فهم من يأتي برسالة من الله من الملائكة والبشر، كما قال تعالى: ﴿ اللهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [الحج:75] وقال الملائكة: ﴿يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ﴾ [هود:81]، وأما عموم الملائكة والرياح والجن، فإن إرسالها لتفعل فعلاً لا لتبليغ رسالة"(2).

وبذلك يتبين لنا، غلو بعض الصوفية في النبي، حيث فضلوا الولاية على النبوة، وهؤلاء هم غلاة الصوفية، والصوفية المعتدلون هم الذين قالوا بالتعريف الصحيح الذي عليه السلف الصالح.

ثانياً: مذهب المتصوفة في النبوة والأنبياء:

أما ما ورد عن غلاة المتصوفة في النبوة والأنبياء، فيمكن بيانه في النقاط التالية، وسيتم تناوله بالتفصيل في المباحث التالية:

1- قول غلاة المتصوفة إن الأولياء أفضل بن الأنبياء:

يقول ابن عربي في الفصوص: "وليس هذا العلم إلا لخاتم الرسل وخاتم الأنبياء، وما يراه أحد من الأنبياء إلا من مشكاة خاتم الأنبياء، وما يراه احد من الأولياء إلا من مشكاة خاتم

---

(1) الشرح القويم في حل ألفاظ الصراط المستقيم، تأليف: الشيخ عبدالله الهرري، المعروف بالحبشي، ص334، ط5، 1425هـ – 2004م، دار المشاريع.

(2) النبوات، لابن تيمية، ص174.

الأولياء، حتى إن الرسل إذا رأوه لا يرونه إذا رأوه إلا من مشكاة خاتم الأولياء، فإن الرسالة والنبوة تنقطعان، وأما الولاية فلا تنقطع أبداً"[1].

2- قول بعضهم بإمكان الاستغناء عن الأنبياء في تلقي الدين:

غلاة الصوفية يعتقدون بأخذ العلوم من الله مباشرة، فهم بذلك بغير حاجة للأنبياء في تلقي الدين، ومن أقوالهم الدالة على ذلك ما قاله ابن عربي.

"يقول ابن عربي بأن النبي والرسول يستمدان العلم والمعرفة من الملك الذي يبلغه الوحي الإلهي بواسطته، ولا يمكنه الأخذ من الله مباشرة بخلاف الولي، فإنه يستمد المعرفة من حيث يأخذها الملك الذي يؤدي بدوره إلى الأنبياء والرسل"[2].

3- ادعاء بعض مشايخ الصوفية أنه ولي يتلقى من المصدر الذي يتلقى منه الرسول ﷺ:

وغلاة المتصوفة سلكوا مسلك ملاحدة الفلاسفة في تفضيل الفيلسوف الكبير على النبي ولهذا قال ابن عربي: "إن خاتم الأولياء يأخذ من المعدن الذي يأخذ منه المَلَك الذي يوحى به إلى الرسول"[3].

ومما سبق يتبين لنا أن فريقاً من المتصوفة قد انحرفوا انحرافاً كبيراً في النبوة والرسالة، غُلُواً أو جفاءً، فمنهم من رأى أن النبوة يمكن أن تحصل في هذه الأمة لغير الرسول ﷺ، فسعَوْا إلى طلبها والحصول عليها، وبعضهم تنقص مقام النبوة، حتى صارت النبوةُ غير معظَّمة عنده، وخير السبيل ما كان عليه السلف الصالح، نسأل الله الهدى والسداد.

---

(1) فصوص الحكم، لمحيي الدين بن عربي، التعليقات عليه بقلم أبو العلا عفيفي، 62/1، دار إحياء الكتب العربية للنشر.

(2) المصدر السابق، 135/1.

(3) فصوص الحكم، 63/1.

المبحث الثاني
الوحـي والإلـهام

ويشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول: الوحي لغةً واصطلاحاً.

المطلب الثاني: مظاهر الوحي عند الصوفية.

المطلب الثالث: الإلهام لغةً واصطلاحاً.

المطلب الرابع: انحراف غلاة الصوفية في الوحي.

المبحث الثاني

الوحـــي والإلـــهام

تمهيد:

الوحي هو الأساس الأول الذي يقوم على حقيقته معنى النبوة والرسالة، ومن ثم فهو المنبع الأول لعامة الإخبارات الغيبية وشؤون العقيدة وأحكام التشريع، ذلك أن حقيقة (الوحي) هي الفيصل الوحيد بين الإنسان الذي يفكر عنده ويشرع بواسطة رأيه وعقله، والإنسان الذي يبلغ عن ربه دون أن يغير أو ينقص أو يزيد.

من أجل تحقيق هذه الغاية، حاول محترفو الغزو الفكري، تأويل ظاهرة الوحي وإبعادها عما ترويه صحاح السنة الشريفة، كما حاولوا تجريدها عن حقيقتها، وراح كل منهم يسلك ما يروق لخياله من فنون التصورات المتكلفة الغريبة.

أما نحن فنقول: إن مصدر كلمة (الوحي) في حياة محمد ﷺ هو الخبر الذي نقل إلينا عن طريق القرآن وعن طريق السيرة وصحاح السنة، فلولا أن الكلمة وردت من هذه المصادر، لما كان لها وجود في أفكارنا[1].

المطلب الأول: الوحي لغةً واصطلاحاً.

1- **الوحي لغةً:**

الإشارة والرسالة والكتابة، وكل ما ألقيته إلى غيرك ليعلمه، وحي كيف كان، ثم غلب استعمال الوحي فيما يلقى إلى الأنبياء من علم الله تعالى، أوحى بالألف المقصورة، والوحا: السرعة[2].

الوَحْي: الإشارة والكتابة والرسالة والإلهام والكلام الخفي وكل ما ألقيته إلى غيرك[3].

وقد أجمل الشيخ مصطفى عبد الرازق البحث حول أصل الوحي في اللغة في أربعة آراء: أولها: أن أصل الوحي في اللغة كلها أسرار وإعلام في خفاء، وهو رأي الزجاج ومن تبعه، ثانيهما: أن اشتقاق الوحي بمعنى الإلهام من الوحي بمعنى السرعة، لأن الوحي يجيء

---

(1) انظر: كبرى اليقينات الكونية، ص153-154.

(2) المصباح المنير، 327/2.

(3) لسان العرب، 443/15.

بسرعة ويتلقى بسرعة، وهو رأي الراغب الأصفهاني والقاضي عياض، ثالثهما: أن أصل المادة السرعة والخفاء معاً، فالوحي: الإعلام السريع الخفي، رابعها: أن أصل المادة هو إلقاء الشيء إلى الغير...وهو رأي الطبري[1].

2- **الوحي شرعاً:**

"كلام الله تعالى المنزل على نبي من أنبيائه، وهو تعريف له بمعنى اسم المفعول أي الموحى"[2].

ويوافقه القرطبي في تعريف الوحي بالإرسال فيقول: "الإيحاء هنا ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾ [آل عمران:44] الإرسال إلى النبي ﷺ والوحي يكون إلهاماً وإيماءً وغير ذلك"[3].

3. **الوحي اصطلاحاً:**

هو إعلام الله تعالى أحد أنبيائه، أو رسله بطريقة سرية خفية غير معتادة للبشر، كالوحي، أو الإلهام، أو من وراء حجاب[4].

الوحي عند الصوفية:

يكاد يقتصر العلم النبوي مطلقاً عند الصوفية على طريق الوحي الإلهي بوصفه مصدراً وحيداً للمعرفة عند النبي ﷺ، مبعدين أية احتمالات لعناصر النظر والاستدلال نافين أن يكون لها دور في هذا العلم، وأساس هذا الحصر يقوم على حكم الصوفية بقصور العقل عن الإدراك الحقيقي، ويقرر ابن عربي هذا الأساس بقوله: "إن الأنبياء لا تأخذ علومها إلا من الوحي الخاص الإلهي، فقلوبهم ساذجة عن النظر العقلي لعلمهم بقصور العقل من حيث نظره الفكري عن إدراك الأمور على ما هي عليه"[5].

---

(1) انظر: الوحي ودلالاته في القرآن الكريم والفكر الإسلامي، تأليف: د. ستار جبر حمود الأعرجي، ص14، ط1421هـ-2001م، دار الكتب العلمية، بيروت.

(2) مباحث في علوم القرآن، لمناع القطان، ص33، مؤسسة الرسالة، ط35، 1419هـ - 1998م

(3) الجامع لأحكام القرآن، 66/2.

(4) انظر: الرسل والرسالات، ص61، العقائد الإسلامية، ص153.

(5) فصوص الحكم، 331/1.

فخاصية النبوة أن علمها هو علم الوحي، وهو العلم الذي يعبر عنه الصوفية دائماً (بالعلم الظاهر) الذي يمثل عندهم أشرف مرتبة بين جميع علوم الخلائق، لأن محصوله عن الله تعالى بلا واسطة، وهو إرث خاص بالأنبياء والرسل، وقد انغلق بابه بخاتمهم محمد ﷺ[1].

حقيقة الوحي:

يختلف الصوفية في فهمهم لحقيقة الوحي وإن اتفقوا غالباً على إضفاء معان رمزية عليه وعلى عناصره المختلفة مع شيء من الالتزام عند بعضهم في المفاهيم الرئيسة التي تشكل عقائد ثابتة في هذا الوحي.

فالحكيم الترمذي ينطلق في فهمه لحقيقة الوحي من أصل السرعة فيه، فالوحي عنده: سرعة المجيء انطلاقاً من أن قولهم: تَوَحَّ بمعنى: أسرع، ولهذا المجيء السريع أشياء تتضمنه، منها: الوحي الذي إنما سمي وحياً لسرعته، وهذه في رأي الترمذي هي الحقيقة الأساسية للوحي، فالشيء الذي إنما سمي وحياً لسرعة مجيئه[2].

المطلب الثاني: مظاهر الوحي عند الصوفية.

أولًا: الكشف لغةً واصطلاحًا:

يعُدُّ المتصوفة، الكشف من مصادر التلقي.

تعريف الكشف الصوفي:

لغةً: الكشف رفعك الشيء عما يواريه، ويغطيه، كشفه يكشفه كشفا، وكشفه فانكشف، يقال: تكشف البرق إذا ملأ السماء، وكشف الأمر يكشفه كشفاً أظهره، والكشف مصدر الأكشف، وهو الذي لا ترس معه كأنه منكشف غير مستور[3].

اصطلاحاً: جاء في التعريفات للكشف أنه: "الاطلاع على ما وراء الحجب من المعاني الغيبية، والأمور الحقيقية وجوداً، أو شهوداً"[4]، وأيضاً: "هو العلم الصحيح، وهو ما يقذفه الله في قلب العالم، وهو نور إلهي يختص به من يشاء من عباده، من ملك، أو رسول، أو نبي، أو ولي،

---

(1) انظر: الوحي ودلالاته في القرآن الكريم والفكر الإسلامي، ص184، نقلاً عن رسائل الإمام الغزالي، 105/3.

(2) انظر: الوحي ودلالاته، ص186.

(3) لسان العرب، 358/9.

(4) التعريفات، ص210.

ومؤمن، ومن لا كشف له لا علم له، حيث يكشف الله للمختلي جميع أشياء الكون في السموات والأرض من المخلوقات جميعاً، ونبات، وحيوان، عالم علوي، وعالم سفلي"[1]، هذا حسب زعم الصوفية الغلاة، وكذلك زعموا أن الكشف هو: "رفع الحجب أمام قلب الصوفي، وبصره ليعلم ما في السموات، والأرض جميعاً، فلا تسقط ورقة إلا بنظره، ولا تقع قطرة ماء من السماء إلا بعلمه، ولا يولد مولود، أو يتحرك ساكن، أو يسكن متحرك إلا بعلم الصوفي[2].

ثانيًا: الرد على الكشف عند الصوفية:

يعتبر الكشف من صفات الأولياء التي يعتقدها غلاة الصوفية، والكشف الذي يزعمه الصوفية فيه مبالغة عظيمة، لأنه نتج عن ادعاء الغيب، في حين أن النبي ﷺ والصحابة ﭫ لم يستدلوا على وقائعهم بالكشف كما ادعى غلاة الصوفية.

وقــد بين شيخ الإسلام ابن تيمية "أن الكشف مهما قوي وكان صاحبه صالحًا، فإنــه لا يعصــمه عن الخطأ، لذا لابد من عرض كل كشف على الكتاب والسنة فقال: ...فقد ثبت أن لأولياء الله مخاطبــات ومكاشفات، فأفضــل هؤلاء فــي هذه الأمة بعد أبي بكر عمر ابن الخطاب ﭬ، فإن خير هذه الأمة بعد نبيها أبوبكر ثم عمر، ومع ذلك فعمر يفعل ما هو الواجب عليه، فيعرض ما يقع له على ما جاء به الرسول، فتارة يوافقه فيكون ذلك من فضائل عمر، وتارة يخالفه، فيرجع عمر عن ذلك[3].

فها هو عمر ﭬ وهو أفضل الملهمين، ومع هذا كان يتهم نفسه، ويراجع قوله، ليس كما يقول غلاة الصوفية "حدثني قلبي عن ربي" فصحيح أن قلبه حدثه، ولكن عمن؟ عن شيطانه أو عن ربه؟ ومحدث الأمة – أي عمر يقول ذلك وقد أعاذه الله من أن يقول كذلك، بل كتب كاتبه يومًا: "هذا ما أرى الله به أمير المؤمنين عمر بن الخطاب" فقال: لا، امحه واكتب: هذا ما رأى عمر بن الخطاب، فإن كان صوابًا فمن الله، وإن كان خطأ فمن عمر"[4].

ويظهر ذلك أيضًا من خلال كلامهم عنه، وهذا الكشف نتج عنه ادعاء علم الغيب، والصحابة ﭫ لم يستدلوا على وقائعهم، وعلمهم بالمسائل، على وحي الكشف كما يزعم الغلاة، ومن هذه الدلائل، ما روي عن أبي هريرة ﭬ قال: **[خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ خَيْبَرَ فَلَمْ نَغْنَمْ ذَهَبًا وَلاَ فِضَّةً إِلاَّ الأَمْوَالَ وَالثِّيَابَ وَالْمَتَاعَ فَأَهْدَى رَجُلٌ مِنْ بَنِي الضُّبَيْبِ يُقَالُ لَهُ**

---

(1) انظر: موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي، ص791.
(2) انظر: الفكر الصوفي، عبدالرحمن عبدالخالق،ص235، ط4، 1413هـ – 1993م، دار الحرمين للطباعة.
(3) انظر: موقف ابن تيمية من الصوفية، ص357-358.
(4) السنن الكبرى للبيهقي، كتاب آداب القاضي، باب ثم من أفتى وأقضى بالجهل، ح20135.

رِفَاعَةُ بْنُ زَيْدٍ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ غُلاَمًا يُقَالُ لَهُ مِدْعَمٌ فَوَجَّهَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى وَادِي الْقُرَى حَتَّى إِذَا كَانَ بِوَادِي الْقُرَى بَيْنَمَا مِدْعَمٌ يَحُطُّ رَحْلًا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذَا سَهْمٌ عَائِرٌ فَقَتَلَهُ فَقَالَ النَّاسُ هَنِيئًا لَهُ الْجَنَّةُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَلاَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ الشَّمْلَةَ الَّتِي أَخَذَهَا يَوْمَ خَيْبَرَ مِنْ الْمَغَانِمِ لَمْ تُصِبْهَا الْمَقَاسِمُ لَتَشْتَعِلُ عَلَيْهِ نَارًا فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ النَّاسُ جَاءَ رَجُلٌ بِشِرَاكٍ أَوْ شِرَاكَيْنِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ شِرَاكٌ مِنْ نَارٍ أَوْ شِرَاكَانِ مِنْ نَارٍ][1]، فلو كان الكشف مصدر التلقي لعلم الصحابة ﷺ حقيقة هذا الرجل، لأنهم أولياء الله تعالى ويكشف لهم، فدل على أن هذا مرفوض أيضاً.

وبزعمهم هذا تعطيل لصفة طلب العلم التي حث عليها الله تعالى ورسوله ﷺ، قال تعالى: ﴿ ...وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه:114]، وعن معاوية ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **[وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَإِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ]**[2].

ثالثًا: الإسراءات والمعارج عند غلاة الصوفية:

1- الإسراء والعروج لغةً:

الإسراء لغةً هو: سير الليل عامته، وقيل كله، وسريت سرى ومسرى وأسريت، بمعنى: إذا سرت ليلاً[3].

الإسراء اصطلاحاً: السفر برسول الله ﷺ بجسده من المسجد الحرام إلى بيت المقدس ليلاً[4].

العروج لغة: العرج والعرجة: موضع العرج من الرَّجل. والتَّعريج على الشيء: الإقامة عليه. وعَرَجَ في الدرجة والسلَّم، يعرج عُروجاً. أي ارتقى وعرج في الشيء وعليه يعرج، ويعرج عرجاً أيضاً: رقي. وعرج الشيء، فهو عريج: ارتفع وعَلاَ. وجمع المعراج: مَعَارِج – ومَعَارِيج، مثل: مفاتح، ومفاتيح[5].

---

(1) صحيح البخاري، كتاب الأيمان، باب هل يدخل في الأيمان والنذور الأرض والغنم والزروع والأمتعة، 143/8، ح6707.

(2) صحيح البخاري، كتاب: العلم، باب: من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين، 39/1، ح71.

(3) لسان العرب، 14/ص468.

(4) انظر الرحيق المختوم، تأليف: صفي الرحمن المباركفوري، ص 160، ط4، 1422هـ– 2001م، دار الوفاء للطباعة.

(5) انظر: لسان العرب، 2/ص373-374.

والمعــراج اصطلاحاً: هــو العروج بالرسول ﷺ ليلاً من بيت المقدس إلى السماء الدنيا[1].

2- الإسراءات والمعاريج عند غلاة الصوفية:

يقول ابن عربي: "وأما الأولياء، فلهم إسراءات روحانية برزخية،...ولهم الإسراء في الأرض وفي الهواء، غير أنهم ليست لهم قدم محسوسة في السماء، وبهذا زاد على الجماعة، رسول الله ﷺ، بإسراء الجسم، واختراق السموات والأفلاك حساً، وقطع مسافات حقيقية محسوسة، وذلك كله لورثته معنى حساً، من السموات فما فوقها،...فمعاريج الأولياء معارج أرواح، ورؤية قلوب وهو برزخيات، ومعان متجسدات..."[2].

وقد ذكر للمعراج الروحي عند صوفي متقدم، وهو أبو يزيد البسطامي، وذلك قوله: "عرج بروحي، فخرقت الملكوت، فما مررت بروح نبي إلا سلمت عليه، وأقرأتها السلام، غير روح محمد ﷺ، فإنه كان حول روحه ألف حجاب من نور..."[3].

3- الرد عليهم:

قد يتساءل المرء، هل الصوفية حقاً يخصون معارج الأبدان، بالنبي محمد ﷺ كما يقول ابن عربي وغيره؟ وهل أطبقت الصوفية على عدم حصوله للأولياء؟ أم أن الأمر بخلاف هذا؟

فالجواب: أن منهم من ادعى لنفسه معراجاً كمعراج النبي ﷺ، فقد ذكر الإمام ابن الجوزي عن أبي يزيد البسطامي أنه كان يقول: لي معراج كما كان للنبي معراج ﷺ [4].

ولعل في عبارة القاضي عياض –رحمه الله– [5] ما يدل على اعتقاد بعض المتصوفة بالعروج البدني للأولياء، وعدد جملة من المكفرات فعدَّ منها: "من ادعى مجالسة الله –تعالى– والعروج إليه، ومكالمته، أو حلوله في أحد الأشخاص كقول الصوفية"[6].

---

(1) انظر الرحيق المختوم، ص 160.

(2) الفتوحات المكية، 3/342-343.

(3) المصادر العامة للتلقي عند الصوفية، ص292.

(4) انظر: تلبيس إبليس، للحافظ أبي الفرج بن الجوزي البغدادي، تحقيق: السيد الجميلي، ص207، 597ه – 1201م، دار الريان للتراث.

(5) القاضي عياض، هو: عياض بن موسى بن عياض بن عمرو، اليحصبي، السَّبتي، أبو الفضل، عالم المغرب، وإمام أهل الحديث في وقته. ولد في سبتة عام 476هــ، وولي القضاء فيها، توفي بمراكش مسموماً سنة 544هــ. انظر: سير أعلام النبلاء، 20/212-218.

(6) المصادر العامة للتلقي عند الصوفية، ص294.

إذا نظرنا في نصه نجد أن أبا يزيد زعم أنه تبادل الحديث مشافهةً مع الله ﷻ حيث عرج به إلى السموات العلى فرأى الجنان، ومع ذلك لم يجد شيئاً يعجبه، فلم يسأل الله شيئاً وذلك لأن الجنة لا تساوي عند غلاة الصوفية شيئاً لأنهم حسب زعمهم لا يعبدون الله حباً في جنته ولا خوفاً من نـــاره، وإنمـــا يعبدوه متجـــردين عن الرغبة والرهبة وهذه عبارة مخالفة لما شرعه الله ﷻ.

وبذلك يتبين لنا أن ابن عربي ومن سار على نهجه جعلوا لأنفسهم منزلة الرسول ﷺ بدعوى أنهم أسري بهم كما أسري بالنبي ﷺ، ومجرد ذكر هذا القول يتضح بطلانه، فحال هؤلاء كما قال سبحانه: ﴿وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾ [الكهف:17].

رابعًا: الرؤى والمنامات:

1- الرؤى لغةً واصطلاحًا:

الرؤيا: ما رأيت في منامك، ويقال: رأيته بعيني رؤية، ورأيته رأي العين أي حيث يقع البصر عليه ويقال: من رأى القلب ارتأيت[1].

أما في الاصطلاح: الرؤية: المشاهدة بالبصر حيث كان أي في الدنيا والآخرة[2].

والرؤيا كما ذكر أهل العلم ثـــلاثـــة أنـــواع[3]:

1- الرؤيا الصادقة: مثل رؤيا الأنبياء، ومن تبعهم من الصالحين، وقد تقع لغيرهم نادراً.

2- الأضغاث: وهي أنواع فقد تكون من تلاعب الشيطان ليحزن الرائي، مثل أن يرى الإنسان أن رأسه قطع وأنه يتبعه. وقد تكون أن يرى أن بعض الملائكة تأمره أن يفعل المحرمات مثلاً، وهذا من المحال عقلاً وشرعاً.

3- أو يرى ما تحدثه به نفسه في اليقظة فيراه في المنام.

وإذا كانت الرؤيا على ثلاثة أقسام، كما ورد في بعض الأحاديث: **[والرؤيا ثلاثة: فرؤيا الصالحة بشرى من الله، ورؤيا تحزين من الشيطان، ورؤيا مما يحدث المرء به نفسه]** [4].

---

(1) انظر: لسان العرب، 14/364-366.

(2) التعريفات، للجرجاني، ص112.

(3) انظر: هذا التقسيم عند ابن حجر: فتح الباري، 12/401.

(4) صحيح مسلم، كتاب الرؤيا، ص 892، ح2263.

وللرؤى المنامية أهمية ومنزلة كبيرة عند غلاة الصوفية، فقد عولوا عليها في مطالبهم الدينية والدنيوية، ويعملون بها عند تعارض أدلتهم التي يوردونها.

وقد بين أهل العلم استناد الصوفية عامة على المنامات، ومن ذلك ما ذكره الشاطبي[1] رحمه الله في كتابه الاعتصام حيث قال:"وأضعف هؤلاء احتجاجاً قوم استندوا في أخذ الأعمال إلى المنامات، وأقبلوا وأعرضوا بسببها، فيقولون: رأينا فلاناً؛ الرجل الصالح، فقال لنا: اتركوا كذا، واعملوا كذا.

ويتفق مثل هذا كثيراً للمترسمين برسم التصوف، وربما قال بعضهم: رأيت النبي ﷺ في النوم، فقال لي: كذا، وأمرني بكذا، فيعمل بها ويترك بها، فيعمل بها معرضاً عن الحدود الموضوعة في الشريعة"[2].

وغلاة الصوفية يجعلون الرؤيا المنامية، ورؤية النبي ﷺ فيها، من مصادر التلقي والمعرفة عندهم، فقد ذكر الكردي[3]: "فعن العارف الوكائي قال: رأيت رسول الله ﷺ، فقال لي عن نفسه الشريفة: "لست بميت وإنما موتي عبارة عن تستري عمن لا يفقه عن الله، وأما من يفقه عن الله فها أنذا أراه ويراني"[4].

وجاء في كتاب درة الأسرار وتحفة الأبرار: "حدثني الشيخ الصالح الفقيه أبو عبد الله ابن حريز قال: حدثنا رجل من العلماء الفضلاء من أهل الجزيرة القبلية قال: خطر ببالي ليلة ان كان في زماننا من يقتدى به من السادات وأهل خرق العادات، فرأيت رسول الله ﷺ فقال لي: أنوار الشيخ أبي الحسن الشاذلي[5] لائحة في الأكوان، أو قال في الوجود فمن تمسك بشيء منها تمسك بالخير كله"[6].

---

(1) هو إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، فقيه وأصولي لغوي محدث مفسر، من علماء المالكية. اشتهر بالورع والزهد واتباع السنة والدعوة إليها. توفي سنة 1388م. انظر: الأعلام، 75/1.

(2) الاعتصام، للعلامة المحقق الأصولي الإمام أبي إسحاق بن موسى بن محمد، ج1، دار الفكر، مكتبة الرياض.

(3) هو الشيخ محمد أمين بن فتح الله الأربلي الكردي، واعظ، تعلم بالأزهر، وتوفي بالقاهرة 1332هـ-1914م، له كتب منها تنوير القلوب في الفقه والتصوف. انظر: الأعلام، للزركلي، 43/6.

(4) تنوير القلوب في معاملة علام الغيوب، تأليف: الشيخ محمد أمين الكردي، ، ص82، ط1، 1424هـ-2004م، دار الفكر للطباعة والنشر.

(5) هو أبو الحسن الشاذلي، 656هـ – 1258م، علي بن عبد الله بن عبد الجبار بن يوسف ابن هرمز الشاذلي المغربي، أبو الحسن: رأس الطائفة الشاذلية، من المتصوفة وصاحبا لأوراد المسماة "حزب الشاذلي"، سكن شاذلة قرب تونس، وتوفي بصحراء عيذاب في طريقه إلى الحج. انظر: الأعلام، للزركلي، 305/4.

(6) درة الأسرار وتحفة الأبرار، تأليف: ابن الصباغ محمد بن أبي القاسم الحميري، ص105، طبع هذا الكتاب بالمطبعة التونسية، 25 ذي القعدة.

2- الرد عليهم:

الرؤيا التي تحدث عنها الوكائي مخالفة لصريح الآيات التي تبين موت النبي ﷺ، قال تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ [الزُّمر:30]، يقول ابن كثير رحمه الله: "هذه الآية من الآيات التي استشهد بها الصديق ؓ عند موت الرسول ﷺ، حتى تحقق الناس من موته، مع قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ(144)﴾ [آل عمران][1].

فصريح الآيتين يبين كذبهم، وتثبتان حقيقة وفاة النبي ﷺ، ثم إن أبا بكر ؓ لم يفهم ما فهمه الوكائي؛ بل أثبتت الآية بمدلولها الواضح الصريح وفاة النبي ﷺ.

المطلب الثالث: الإلهام لغةً واصطلاحاً:

أولاً: تعريف الإلهام:

1. **الإلهام لغةً:** اللهم من الابتلاع، و"ألهمه الله خيراً أي لقنه إياه"[2]. وقال ابن منظور: "الإلهام نوعٌ من الوحي فقال: الإلهام أن يلقي الله في النفس أمراً يبعثه على الفعل أو الترك، وهو نوع من الوحي، يخص الله به من يشاء من عباده"[3].
2. **الإلهام اصطلاحاً:** عرفه الجرجاني بقوله: "ما يلقى في الروع، بطريق الفيض" أو "ما وقع في القلب من علم يدعو إلى العمل من غير استدلال بآية ولا نظر في حجة"[4]، وقد يسمى هذا الإلهام بالعلم اللدني، يقول ابن القيم رحمه الله: "والعلم اللدني: هو العلم الذي يقذفه الله في القلب إلهاماً بلا سبب من العبد، ولا استدلال، ولهذا سمي لدنياً"[5].

---

(1) تفسير القرآن العظيم، تأليف: أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي، تحقيق: محمد إبراهيم البنا، ج7، ط1، 1419هـ – 1998م، دار ابن حزم.

(2) القاموس المحيط، تصنيف: مجدي الدين الفيروزآبادي، توثيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، ص1046، دار الفكر، 1415هـ – 1995م

(3) لسان العرب، 346/12.

(4) التعريفات، للجرجاني، ص44، تحقيق الدكتور: عبدالمنعم الحفني، دار الرشاد.

(5) انظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لأبي عبدالله ابن قيم الجوزية، تحقيق: رضوان جامع رضوان، الجزء الثاني، ط1، 1422هـ – 2001م، ص184-185، مؤسسة المختار – القاهرة.

3. **الإلهام عند غلاة الصوفية:** قد عرفه كبيرهم أبو يزيد البسطامي في قوله: "أخذتم علمكم ميتاً عن ميت، وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت"[(1)].

ثانياً: الفرق بين الوحي والإلهام

يقول الشيخ محمد عبده في رسالة التوحيد عن معنى الوحي: وقد عرفوه شرعاً أنه إعلام الله تعالى لنبي من أنبيائه بحكم شرعي ونحوه، أما نحن فنعرفه على شرطنا بأنه عرفان يجده الشخص من نفسه مع اليقين بأنه من قبل الله تعالى بواسطة أو بغير واسطة.

ويفرق بينه وبين الإلهام، بأن الإلهام وجدان تستيقنه النفس وتنساق إلى ما يطلب من غير شعور منها من أين أتى، وهو أشبه بوجدان الجوع والعطش والحزن والسرور"[(2)].

والإلهام عند الصوفية سمي للوحي، فلا فرق عندهم بين وحي الأنبياء وإلهام الأولياء[(3)].

بل جعل بعض الصوفية يفضلون الإلهام على وحي الرحمن فقال كبيرهم: قال أبو يزيد البسطامي: "أخذتم علمكم ميتاً عن ميت، وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت [(4)].

وذهب الغزالي إلى التسوية بين وحي الأنبياء وإلهام الأولياء من جميع الوجوه، ولم يثبت بينهما فرقاً إلى في مشاهدة السبب، وهو المَلَك الذي استفاد منه العلم، فقال: "ولم يفارق الوحي الإلهام في شيء من ذلك، بل في مشاهدة المَلَك المُفيد للعلم، فإن العلم إنما يحصل في قلوبنا بواسطة الملائكة"[(5)]، إذن فما الداعي إلى إرسال الرسل إلى الناس، ما دام أن الوحي الذي جاء به الأنبياء مساوٍ للإلهام الذي عند الأولياء.

ثالثاً: أدلة الصوفية على صحة الاحتجاج بالإلهام والرد عليها:

يزعم غلاة الصوفية أن ما يلقى في قلوبهم من إلهامات من الله وحده، وهم معصومون أن يقع عليهم خطأ في الإلهامات، وهذه أدلتهم على ذلك:

- قال كبيرهم أبو يزيد البسطامي: "أخذتم علمكم ميتاً عن ميت، وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت" [(6)].

---

(1) الفتوحات المكية، 382/3.

(2) رسالة التوحيد، محمد عبده، ص56، www.al-mostafa.com

(3) إحياء علوم الدين، أبي حامد الغزالي، تحقيق: سيد عمران، 19/3-20، 1425هـ-2004م، دار الحديث – القاهرة.

(4) الفتوحات المكية، 382/3.

(5) إحياء علوم الدين، أبي حامد الغزالي، 25/3.

(6) الفتوحات المكية، 382/3.

- وقال الشعراني: "الولي غايته الإلهام الموافق لشريعة محمد ﷺ بعد الفتح، فلا يعمل به مستقلاً، لأن نبوة التشريع قد انقطعت بموت رسول الله ﷺ، فيصير ملك الإلهام يُفهم ذلك الولي شريعة محمد ﷺ، ويطلعه على أسرارها، حتى كأنه أخذها عن رسول الله ﷺ بلا واسطة..."(1).
- ثم نجد مثل ما تقدم من وجوب التسليم لإلهامات الأولياء – عند إبراهيم الدسوقي، الذي يقول: "عليكم بتصديق القوم في كل ما يدعون، فقد أفلح المصدقون، وخاب المستهزئون، فإن الله تعالى يقذف في سرّ خواصّ عباده ما لا يطلع عليه ملك مقرب ولا نبي مرسل....فما للعاقل إلى التسليم، وإلا فاتوه وفاتهم، وحرم فوائدهم، وخسر الدارين"(2).

فإذا كانوا يرون وجوب التسليم للأولياء، فيما يلقى في قلوبهم، فكيف لا يكون الإلهام، ذا حجة، ولا سيما أن المكذب لهم، عاقبته الخسران في الدارين، أو من الذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله؟!!

الرد عليهم:

الإلهام عند أهل السنة من جملة أصناف الوحي، فالإلهام عام للمؤمنين بحسب إيمانهم، فكل مؤمن ألهمه الله رشده الذي حصل له بالإيمان وهذا هو الإلهام الشرعي(3).

واتفق الأصوليون على أن الإلهام من الله تعالى لأنبيائه حق، وهو بالنسبة للنبي ﷺ حجة في حقه، كذلك هو في حق أمته، ويكفر منكر حقيقته، ويفسق تارك العمل به كالقرآن(4).

"أما إلهام غير الأنبياء من المسلمين، فإنه ليس بحجة، لأن من ليس معصوماً لا ثقة بخواطره، لأنه لا يأمن من دسيسة الشيطان فيها، وهو قول جمهور أهل العلم، وهو المختار عند الحنفية، ولا عبرة بما قاله قوم من الصوفية بأنه حجة في الأحكام"(5).

---

(1) المصادر العامة للتلقي عند الصوفية، تأليف: صادق سليم صادق، ص270، مكتبة الرشد، الرياض، ط1، 1415هـ – 1994م.
(2) المصادر العامة للتلقي عند الصوفية، ص 497
(3) المصدر السابق، ص271.
(4) انظر الموسوعة الفقهية، إصدار وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، ج6، ط4، 1414هـ– 1993م، الكويت.
(5) التقرير والتحبير، شرح العلامة المحقق ابن أمير الحاج علي تحرير الإمام الكمال بن الهمام في علم الأصول الجامع بين اصطلاحي الحنفية والشافعية، 296/3، ط2، 1403هـ – 1983م، دار الكتب العلمية، بيروت.

وقال السمعاني في ذلك: "إنكار الإلهام مردود، ويجوز أن يفعل الله بعبده ما يكرمه به، ولكن التمييز بين الحق والباطل في ذلك أن كل ما استقام على الشريعة المحمدية ولم يكن في الكتاب والسنة ما يرده فهو مقبول، وإلا فمردود يقع من حديث النفس ووسوسة الشيطان"[1].

وأما الإلهام البدعي الذي جاء به غلاة الصوفية، فهو من أخطر البدع الموجودة لديهم، لأنهم فارقوا به أهل الجماعة لاعتقادهم أنهم غير محتاجين للتلقي عن الرسل، لأنهم يأخذون مباشرة عن جبريل عليه السلام، وقد يرتقي بهم الحال فيأخذون عن الله مباشرة.

وقد رد ابن تيمية – رحمه الله – على الإلهام البدعي الذي جاء به غلاة الصوفية، فقد كذب ابن تيمية ذلك في قوله عن أحوال بعض الصوفية ومصادرهم في التلقي "...فمنهم من يظن أنه يُلقن القرآن بلا تلقين، ويحكون أن شخصًا حصل له ذلك، وهذا كذب، ويقول بعضهم، قال: أخذوا علمهم ميتًا عن ميت، وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت، ...فليس عندهم فرقان يفرق بين الرحماني والشيطاني، فغن الفرق الذي لا يخطئ هو القرآن والسنة فهو حق، وما خالف ذلك فهو خطأ"[2].

وبالجملة، فلا يخفى على أحد ممن له إلمام بمعرفة دين الإسلام، أن الإلهام ثابت، فقد يكرم الله بعض أوليائه بأن يقذف في قلبه نورًا وقد يدرك به بعض الحقائق، ولا تعتبر مصدر تشريع مطلقاً، ولا يستغنى بها عن الوحي، فهذا افتراء وكذب.

المطلب الرابع: أسباب انحراف غلاة الصوفية في الوحي:

ولانحراف الصوفية في مسألة الوحي أسباب كثيرة منها: الغلو في الأولياء والمشايخ؛ فهذا الغلو أساس أكثر المصائب التي حلت بالصوفية في أبواب الاعتقاد، مع انتشار الجهل بعقيدة السلف فازداد الأمر سوء إلى سوء، فبهاتين البليتين أعني الغلو مع عدم معرفة مذهب السلف الصالح في هذه المسألة العظيمة؛ المبنية على نصوص الكتاب والسنة، أدى بهم ذلك إلى الانحراف عن عقيدة أهل السنة والجماعة، ويظهر ذلك الانحراف في الآتي[3]:

---

(1) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، 439/12.

(2) موقف ابن تيمية من الصوفية، ص325.

(3) الصوفية في حضرموت: نشأتها – أصولها – آثارها، تأليف: أمين بن أحمد بن عبدالله السعدي، ص599، ط1، 1429هـ–2008م، الناشر: دار التوحيد للنشر.

1- نزول الوحي على الأولياء كما ينزل على الأنبياء:

لقد زعم عبد العزيز الدباغ بأن الأولياء ينزل عليهم الوحي من الله تعالى، وأنه ليس هناك فرق بين وحي الأولياء والأنبياء في طريقة التلقي؛ بل طريقة تلقي الوحي هي نفس الطريقة التي يتلقى بها النبي الوحي عن الله، وإليك نص من كلامه، قال الدباغ: "وأما ما ذكروه في الفرق بين النبي والولي من نزول الملك وعدمه فليس بصحيح لأن المفتوح عليهم سواء كان ولياً أو نبياً لابد أن يشاهد الملائكة بذواتهم على ما هم عليه ويخاطبهم ويخاطبونه وكل من قال إن الولي لا يشاهد هذا الملك ولا يكلمه فذلك دليل على أنه غير مفتوح عليهم"[1].

2- دعوى نزول الوحي على أوليائهم ومشايخهم:

انحرفت الصوفية في معرفة الطريقة الشرعية التي يتلقى الوحي منها، فابتدعت طرقاً منحرفة عن الحق، فتارة تكون بسماع نداء خاص يأمر بفعل أمر ما، وتارة بادعاء نزول الملائكة لإقرار فعل ما.

ومن نصوصهم في زعمهم رؤية مشايخهم للملائكة ما قاله الغزالي: "ومن أول الطريق تبتدئ المكاشفات والمشاهدات حتى أنهم في يقظتهم يشاهدون الملائكة وأرواح الأنبياء ويسمعون منهم أصواتاً ويقتبسون منهم فوائد ثم يرتقي الحال من مشاهدة الصور والأمثال إلى درجات يضيق عنها نطاق النطق"[2].

إذا نظرنا في هذا النص نجد الغزالي بالفعل صرح بأن الأولياء يرون الملائكة ويتلقون منهم فوائد.

ومن طرق تلقي الوحي اعتقادهم أخذ العلوم من الله تعالى مباشرة من غير طريق الوحي، ويزعم ابن عربي أن الولي يستمد العلم مباشرة من الله بخلاف النبي وهذا نص كلامه: "ويزعم ابن عربي بأن النبي والرسول يستمدان العلم والمعرفة من الملك الذي يبلغه الوحي الإلهي بواسطته ولا يمكنه الأخذ من الله مباشرة بخلاف الولي فإنه يستمد المعرفة من حيث يأخذها الملك الذي يؤدي بدوره إلى الأنبياء والرسل "فمرجع الرسول والنبي المشرع إلى الولاية والعلم"[3].

---

(1) الإبريز من كلام سيدي عبدالعزيز الدباغ، تأليف: سيدي أحمد بن المبارك السجلماسي المالكي، ص217، ط3، 1423هـ - 2002، دار الكتب العلمية.

(2) المنقذ من الضلال، للغزالي، ص334، مع أبحاث في التصوف ودراسات عن الإمام الغزالي، دار الكتب الحديثة، مطبعة حسان.

(3) فصوص الحكم، 135/1.

ومن طرق تلقي الوحي التي يدعيها القوم لأوليائهم: تكليم الله تعالى لمشايخهم بلا وساطة، فقد ذكر عبد القادر العيدروس[1] عن القشيري أنه أبا يزيد البسطامي الأكبر: "لما أقامه الحق في مقام الخلافة، قال تعالى له: اخرج بصفتي إلى خلقي، فخطى خطوة، ثم صاح، فناداه الحق تبارك وتعالى: ردوا علي حبيبي، فإنه لا صبر له عني، وذلك لإيثار جناب الحق، والتخلص من حمل أعباء مقام الدعوة، فافهم"[2].

وذكر عبد القادر العيدروس كلاماً طويلاً لبعض الصوفية جاء فيه: يقول بعض السلف: "أخبرني قلبي عن ربي، وأخبرني ربي عن قلبي...." [3].

والشاهد قوله: أخبرني قلبي عن ربي، وفي هذا النص تنقص لعلم الله تعالى – تعالى الله عن قولهم علواً كبيرا" – حيث يعتقدون خلو اللوح المحفوظ من بعض العلوم، وفي هذا تكذيب لله تعالى، فالله تعالى قد كتب في اللوح المحفوظ المقادير كلها.

وبعد ذكر نصوصهم في مسألة الوحي، يتضح حرمان هؤلاء القوم من خير عظيم به حياة القلوب والأرواح، وسبب انحرافهم هو اتباع الهوى والشيطان والتزام منهج مخالف لشرع الله تعالى، إذ الشريعة لا يعمل بها إلا المؤمنون المخلصون، أما المكاشفات ونحوها فقد تقع للمنافقين والفجار.

3- الرد على نزول الوحي والملائكة عليهم:

الوحي أمانة حملها الله تعالى صفوة الناس من خلقــه، كما قال تعالى مخاطباً نبينا محمداً ﷺ: ﴿**إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا**﴾[النساء:163]، ومن المتقرر عند المسلمين أن الشرع يتلقى بالوحي الذي أنزله تعالى على أنبيائه المرسلين، وأمرنا باتباع خاتمهم وهو نبينا محمد ﷺ، قال تعالى: ﴿**مَا أَفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَللهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ**

---

(1) عبد القادر بن شيخ بن عبد الله بن شيخ بن عبد الله العيدروس، ولد 978هـ- 1038هـ، مؤرخ، من أهل اليمن، سكن حضرموت، وانتقل إلى أحمد أباد في الهند، فتوفي فيها، من كتبه المشهورة "النور السافر عن أخبار القرن العاشر"، انظر الأعلام 38/4.

(2) تاريخ النور السافر عن أخبار القرن العاشر، العيدروس، ص124، www.al-mostafa.com

(3) المصدر السابق، ص121.

لاَ يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ العِقَابِ﴾ [الحشر:7].

وتقرير مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة ومنها مسألة النبوة تتلقى من مشكاة النبوة لا من الأذواق والعقول والكشوفات.

ومع كثرة النصوص الداعية لمتابعة الرسول ﷺ والتحذير من مخالفة شرعه، تجد انحراف طوائف، فضلت واتبعت سبيل إبليس وجنده، ومنها غلاة الصوفية التي ضلت الطريق في كثير من أصول الدين، ومن تلك المسائل – والتي نحن بصدد الحديث عنها – مسألة الوحي، الذي هو حياة القلوب والنور الذي من اهتدى به فاز وأفلح، ومن تنكب عنه خاب وخسر.

فلقد انقطع الوحي، ولم ينزل جبريل بعد النبي ﷺ، ولا ينزل إلا على نبي، أما في ليلة القدر فينزل هو، والملائكة عليهم السلام، ويشهد بذلك القرآن الكريم، قال تعالى: **﴿تَنَزَّلُ المَلاَئِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾** [القدر:4]، وقال النبي ﷺ: **[وَلاَ نَبِيَّ بَعْدِيْ]**[1]، فإن كان المقصود بنزول جبريل عليه السلام نزوله بالوحي، فهذا غير صحيح؛ لأن الوحي – وحي النبوة – قد انقطع بوفاة الرسول ﷺ، عن أنس رضي الله عنه قال: قال أبو بكر رضي الله عنه بعد وفاة رسول الله ﷺ لعمر رضي الله عنه: **[انْطَلِقْ بِنَا إِلَى أُمِّ أَيْمَنَ نَزُورُهَا، كَمَا كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَزُورُهَا، فَلَمَّا انْتَهَيْنَا إِلَيْهَا بَكَتْ، فَقَالاَ لَهَا: مَا يُبْكِيكِ؟ مَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ لِرَسُولِهِ ﷺ؟ فَقَالَتْ: مَا أَبْكِي أَنْ لاَ أَكُونَ أَعْلَمُ أَنَّ مَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ لِرَسُولِهِ ﷺ، وَلَكِنْ أَبْكِي أَنَّ الْوَحْيَ قَدِ انْقَطَعَ مِنَ السَّمَاءِ، فَهَيَّجَتْهُمَا عَلَى الْبُكَاءِ. فَجَعَلاَ يَبْكِيَانِ مَعَهَا]**[2]، أما نزوله ليلة القدر فهذا ثابت كما سبق، أما أن جبريل ينزل على أولياء الصوفية، فهذا مرفوض.

أما ما يدعيه غلاة الصوفية من رؤيتهم للملائكة، وجلوسهم معهم فهذا يلزمه سند صحيح يثبت صحة ما يدعون، فرؤية الصحابة رضي الله عنهم للملائكة كانت برؤيتهم على هيئة بشر، والصحابة رضي الله عنهم أفضل الأولياء كانوا لا يرون الملائكة على صورتها الحقيقية فكيف تثبت لمن بعدهم، وعلى هيئتها الحقيقية، فهذا يفتقر إلى دليل مسند.

---

(1) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، 60/2، ح3455.

(2) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أم أيمن، ص956، ح2454.

المبحــث الثــالــث

دلائــل النبــوة

ويشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول: دلائل النبوة

المطلب الثاني: الأمور التي تخرج عن كونها معجزة.

المطلب الثالث: الكرامة.

المطلب الرابع: كرامات الأولياء.

المبحث الثالث

دلائل النبوة

المطلب الأول: دلائل نبوة محمد ﷺ:

تمهيــد :

أولاً: تعريف المعجزة لغةً واصطلاحاً.

أ- **المعجزة لغةً:** وأصل المعجزة من (العَجْز) والعجز الضعف، تقول: عجزت عن كذا، أعجز بالكسر عجزاً ومعجزة معجزاً بالفتح[1]، وجاء في معنى الإعجاز: "الفوت والسبق، يقال أعجزت فلان أي فاتني...إذا عجزت عن طلبه وإدراكه" [2]، والمعجزة: "واحد معجزات الأنبياء"[3]، وبالتالي فإن المعاني الواردة في المعجزة تدل على ضعف الخصم وتأخره وعدم قدرته على المواجهة بالشيء المتحدى به.

ب- **المعجزة اصطلاحاً:** إطلاق لفظ (المعجزة) على ما يأتي به النبي لإظهار صدقه في دعواه للنبوة لم يرد في الكتاب ولا في السنة ولا على ألسنة الأئمة المتقدمين وإنما الذي ورد لفظ الآي، والبينة، والبرهان [4].

وقد تتابع العلماء على تسمية هذه الآيات بالمعجزات.

وبهذا يتبين أن لفظ (المعجزة) لفظ متأخر قرن بما يدعيه صاحب النبوة من دلائل تظهر صدقه، ولهذا عرف العلماء (المعجزة) بتعريفات مختلفة ترجع في معناها إلى مفهوم واحد، ومن هذه التعريفات ما يلي:

قال الجرجاني إنها: "أمر خارق للعادة، داعية للخير والسعادة، مقرونة بدعوى النبوة، قصد بها إظهار صدق من ادعى أنه رسول من الله"[5].

قال السيوطي هي: "أمر خارق للعادة، مقرون بالتحدي، سالم من المعارضة"[6].

---

(1) الصحاح للجوهري، تاج اللغة، تاليف: إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، 883/3-884، ط2، 1399هـ-1979م، دار العلم للملايين.

(2) تهذيب اللغة، للأزهري، 340/1.

(3) الصحاح، للجوهري، 884/3.

(4) انظر: النبوات، لابن تيمية، ص313، الرسل والرسالات، د. الأشقر، ص122.

(5) التعريفات، للجرجاني، ص249.

(6) الإتقان في علوم القرآن، للإمام: جلال الدين السيوطي، 116/2، دار الفكر، ولوامع الأنوار البهية، 289/2-290.

زعم الأحباش "من المتصوفة المعاصرين" (السبيل في معرفة النبي المعجزة).

يستدل الحبشي على نبوة النبي بالمعجزة، ويجعلها الشاهد والدلالة على صدق دعواه، يقول الحبشي: "اعلم أن السبيل إلى معرفة النبي المعجزة"[1].

مما سبق بيانه يظهر اتباع الحبشي للمتكلمين في تقرير نبوة الأنبياء من خلال المعجزات، وجعلها السبيل الوحيد لمعرفة صدق النبي، والذي يشار إليه في هذا الجانب "أن المعجزات دليل صحيح، لكن الدليل غير محصور في المعجزات"[2] وهناك دلائل أخرى تثبت نبوة سيدنا محمد ﷺ مثل:

ثانيًا: تبشير الأمم السابقة بنبوة سيدنا محمد ﷺ:

بشارات الأمم السابقة بسيدنا محمد ﷺ كثيرة ومتعددة حيث إن القرآن الكريم ذكر أن سيدنا محمد ﷺ مذكور في الكتب السماوية السابقة، ومعلوم لديهم من خلال أخبار أنبيائهم بمقدم سيدنا محمداً ﷺ ونبوته، يقول تعالى: ﴿ **وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ** ﴾ [الصَّف:6]، وجاء في تفسير هذه الآية: "التوراة قد بشرت بي وأنا مصداق ما أخبر عنه، وأنا مبشر بمن بعدي وهو الرسول النبي الأمي العربي المكي أحمد فعيسى عليه السلام بشر بمحمد ﷺ وهو خاتم الأنبياء والمرسلين الذي لا رسالة بعده ولا نبوة[3]، وما أحسن ما أورده البخاري...عن رسول الله ﷺ يقول: [**إِنَّ لِي أَسْمَاءً، أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَنَا أَحْمَدُ**][4].

ومن البشارات التي جاءت تبشر بنبوة سيدنا محمد ﷺ من غير المعجزات ما جاء في الكتب السابقة مثاله: ما جاء في سفر التكوين، الإصحاح السابع عشر، فقرة (5): "وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه: ها أنا أباركه وأثمره وأكثرة كثيراً جداً اثني عشر رئيساً يلد واجعله أمة كبيرة"[5].

---

(1) الصراط المستقيم، تأليف: الشيخ عبدالله الهرري، ص98، ط11، 1423هـ-2002م، دار المشاريع.
(2) شرح الطحاوية، لابن أبي العز، ص150.
(3) صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله تعالى: (يأتي من بعدي اسمه أحمد)، 284/32، ح4896.
(4) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، 3515/8.
(5) سفر التكوين 21/17.

ومن البشارات الواردة في العهد الجديد ما جاء في إنجيل متى الإصحاح الحادي عشر فقرة (14): "وأن أردتم أن تقبلوا فهذا هو إيليا المزمع أن يأتي من له أذنان لسمع فليسمع"[1]، وقد أخبرنا أن الرسول ﷺ أخبرنا: "أنه ليس بينه وبين عيسى نبي، فيكون إيليا الذي بشر به عيسى هو محمداً ﷺ وإيلياء وبحساب الجمل الذي أغرقت به اليهود يساوي محمداً"[2].

ثالثاً: إخباره ﷺ بغيوب تحققت في حياته ووفاته.

الغيب سر الله، فهو وحده يعلم السر وأخفى، والنبي ﷺ كسائر البشر لا يعلم الغيب.

فإذا ما أخبر النبي ﷺ عن شيء من الغيوب، فإنما يخبر بشيء من علم الله الذي خصه به وأطلعه عليه، ليكون برهان نبوته ودليل رسالته.

والغيوب التي أخبر بها ﷺ على ضروب، فمنها ما تحقق حال حياته، ومنها بعده، وفي كل ذلك دلائل على نبوته ورسالته.

ومن الغيوب التي تنبأ بها حال حياته خبر الريح التي تنبأ بها ﷺ بهبوبها وهو منطلق وأصحابه إلى تبوك فقال: [**أَمَا إِنَّهَا سَتَهُبُّ اللَّيْلَةَ رِيحٌ شَدِيدَةٌ فَلاَ يَقُومَنَّ أَحَدٌ وَمَنْ كَانَ مَعَهُ بَعِيرٌ فَلْيَعْقِلْهُ فَعَقَلْنَاهَا وَهَبَّتْ رِيحٌ شَدِيدَةٌ فَقَامَ رَجُلٌ فَأَلْقَتْهُ بِجَبَلِ طَيِّءٍ**[3]][4].

ومن الأمور الغيبية التي تحققت بعد وفاته، إخباره عن ظهور الدجالين الذين يدعون النبوة، فقال محذراً منهم: عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: [**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَخْرُجَ ثَلَاثُونَ دَجَّالُونَ كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ**][5].

دعا النبي ﷺ على سبعة من قريش يؤذونه ثم على ابن أبي لهب وما ظهر في ذلك من الآيات: حدثنا أبو إسحاق عن عمرو بن ميمون عن عبدالله بن مسعود قال: "استقبل رسول الله ﷺ البيت فدعا على نفر من قريش سبعة فيهم أبوجهل، وأمية بن خلف، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وعقبة بن أبي معيط، قال عبدالله: فأقسم بالله لقد رأيتهم صرعى على بدرٍ قد غيرتهم الشمس وكان يومًا حارًا"[6].

(1) إنجيل متى 14/11.
(2) الرسل والرسالات، د. الأشقر، ص176.
(3) صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب خرص التمر، 354/1، ح 1481.
(4) دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، ص238-239، ط1، 1408هـ - 1988م، دار الكتب العلمية.
(5) سنن أبو داوود ، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء، ص347، ح 6327، حديث صحيح.
(6) دلائل النبوة، للبيهقي، 95/2.

وبهذا يتبين أن النبوة لا تقتصر على المعجزة بل تعدتها لأمور أخرى، وهذا ما يؤكده شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله: "والمقصود هنا أن دلائل نبوة محمد ﷺ كثيرة ومتنوعة...وبينا أن من يخصص دلائل نبوة محمد ﷺ بنوع فقد غلط بل هي أنواع كثيرة"[1]. وهذا هو منهج السلف أهل السنة والجماعة.

المطلب الثاني: الأمور التي تخرج عن كونها معجزة.

1- "أن تكون المعجزة مما لا يقدر عليها إلا الله ﷻ، وإنما وجب حصول هذه الشروط للمعجزة حيث لو كان زمان فيه يصح مجيء الرسل، وادعى أحدهم الرسالة وجعل معجزته مثلاً القيام والقعود، وما شابهها من أمور يستطيع فعلها جميع الخلق لا تعد معجزة دالة على صدقه"[2].

2- أن تكون المعجزة خارقة للعادة على يد مدعي النبوة، حيث لو قال مدعي النبوة: آيتي مجيء الليل والنهار لم تكن معجزة، لأنها أمور حاصلة قبل ادعائه النبوة، ولم تحصل هذه الأمور من أجله[3].

3- أن تقع المعجزة وفق دعوى المتحدى بها المستشهد بكونها معجزة له، حيث لو ادعى المدعي أن آية نبوته أن ينطق الحجر بصدقه، فنطق الحجر بتكذيبه، فلا يكون معجزة له مع أنه أمر خارق للعادة، لكنه جاء على غير مراد مدعي النبوة بل مكذباً له[4].

المطلب الثالث: الكرامة.

تعد الكرامة نوعاً من خوارق العادات. والعادة هي: "الحالة المتكررة على نهج واحد، كعادة الحيض في المرأة" [5]. وخرق العادة إنما يكون بتمزيقها ووقوعها على خلاف الحال المعهودة المألوفة التي استقر وقوعها عليه[6].

---

(1) انظر: التفسير الكبير، لابن تيمية، 148/2، تحقيق: د. عبدالرحمن عميرة، الناشر: الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1408هـ-1988م.
(2) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، 71/1. بتصرف.
(3) انظر: المرجع السابق، 71/1.
(4) المرجع نفسه، 72/1. بتصرف.
(5) المعجم الوسيط، ص635.
(6) انظر: النبوات، لابن تيمية، ص34-35.

كما أن تلك الخوارق منهـــا ما يكون محموداً إذا أعان صاحبه على البر والتقوى، كمعجزات الأنبياء وكرامات الصالحين لحجة في الدين أو حاجة بالمسلمين، ومنها ما يكون مذموماً حيث كان عوناً على الظلم والفــجور، كخوارق السحرة والفجرة، وما لم يكن من هذا ولا ذاك كأن كان عوناً لصاحبه على قضاء حاجته فإنه المباح، ثم إن استُغل في خير أو شر صار محموداً أو مذموماً[1].

أولاً: الكرامة لغةً واصطلاحاً.

الكرامة لغة: "الكرامة مصدر كَرُمَ بضم الراء، وكرَّمه: عظَّمه ونزَّهه وهو ضد اللؤم ونقيضه" [2].

وقيل: "كرم الشيء كرمًا نفس وعزَّ، فهو كريم، والجمع كرام وكرماء، والأنثى كريمة، جمعها كريمات وكرائم، وكرائم الأموال، نفائسها وخيارها ويطلق الكرم على الصفح"[3].

الكرامة اصطلاحاً: لم ترد الكرامة بهذا اللفظ في الكتاب ولا السنة ولا كلام الصحابة، وقد سماها الله – ﷻ – آية، فقال بعد ذكر كرامة أهل الكهف في ازورار الشمس عن كهفهم المفتوح جهتها: ﴿...ذَلِكَ مِنْ آَيَاتِ اللهِ...﴾ [الكهف:17]، فهي آيات وبراهين على قـــدرة الله، ودالة على كرامة صاحبها وإنما سميت بهذا تمييزاً لها عن المعجزة، وهذا التفريق في اللفظ إنما قال به كثير من المتأخرين[4]، ثم شاع، وصار هو المقول به في عامة أقوال العلماء.

هي ما يكرم الله به أولياءه بما يظهر على أيديهم، وليس شرطها: أن تكون خارقة للعادة[5].

أو هي: أمرٌ خارقٌ للعادة يجريه الله على يد ولي من أوليائه قاصر عن النبوة في الرتبة[6].

(1) انظر: النبوات، ص27-28.

(2) القاموس المحيط، ص1040.

(3) المصباح المنير، 2/191-192.

(4) انظر: النبوات، ص15.

(5) العقيدة الإسلامية، عبيدات، ص432.

(6) انظر: تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي، تأليف: محمد أحمد لوح، 2/278، ط1، 1422هـ-2002م، دار ابن القيم للنشر، ودار ابن عفان للنشر والتوزيع.

الفرق بين الكرامة والمعجزة[1]:

أولاً: وهو ما اتفق عليه العلماء، أن المعجزة تكون مقرونة بالتحدي لا يستطيع أحد من الناس معارضتها والإتيان بمثلها، بخلاف الكرامة التي لا تحدي فيها، ويمكن معارضتها، والإتيان بمثلها، بل بأبلغ منها، بأن يجريها الله على يد كثيرٍ من أوليائه.

ثانياً: النبي يعلم بمعجزته، ويستطيع إظهارها كلما طلب منه ذلك، أو كلما دعت الحاجة إليها، يتحدى بها، وأما الولي فمن المحتمل أن لا يعلم بالكرامة قبل وقوعها، وإنما تجرى على يده فجأة، ودون قصد.

ثالثًا: أن المعجزة تقع للنبي مقترنة بدعوى النبـوة، وليست كذلك كرامة الولي. رابعًا: أن المعجزات من الدلائل على صدق النبي وتأييد الله له، وتأتي لحاجة الخلق وهدايتهم، وتحصل للأنبياء وهم عالمون بوقوعها، كما يجب عليهم إظهارها، خاصة إذا توقف إيمان الناس عليها، ولا يشترط كل ذلك في الكرامة[2].

وهذه – بحمد الله – قاعدة واضحة للتمييز بين المعجزة والكرامة، يشهد لها قول النبي ﷺ: **[مَا مِنْ الأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ إِلاَّ أُعْطِيَ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ]**[3]. ومعنى الحديث أن الله أعطى كل نبي آية، أو علامة، من شأن من يشاهدها من البشر أن يؤمن به لأجلها.

المطلب الرابع: كرامات الأولياء.

أولاً: كرامات الأولياء عند غلاة الصوفية.

إن أول انحراف صوفي يلقاه الباحث عندما يقرأ أي كتاب من كتب التراث الصوفي هو اعتمادهم الكلي على الخوارق، واهتمامهم في نشر خوارق الشيوخ، وتركيزهم على اختلاق قصص خيالية، ليرفعوا بها ما للشيوخ، والأولياء من مكانة، وتعظيمهم لدرجة العبادة.

---

(1) المعجزة القرآنية، تأليف: محـمد حسـن هيتو، ص19، ط2، 1419هـ – 1998م، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر.

(2) انظر مقال: كرامات الأولياء بين أهل السنة ومخالفيهم، عبداللطيف بن محمد الحسن www.forsanelhaq.com، أصدر بتاريخ 6 – مايو – 2010، أخذ بتاريخ 30 – 7 – 2012م.

(3) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب كيف نزول الوحي وأول ما نزل، 321/3، ح4981.

1- مكانة الكرامة عند غلاة الصوفية:

يرى بعض المتصوفة اشتراط حصول كرامة للولي، وهذا الرأي عند الشعراني القائل: "إن من شرط صحة بداية المريد في دخوله الطريق أن يمشي على الماء والهواء وتطوى له الأرض ومن لم يقع له ذلك فليس له في مقام الإرادة قدم. وبعضهم يرى أن ظهور الكرامة دلالة على الولاية والصدق لأن الكاذب لا تظهر عليه الكرامة"[(1)].

2- أمثلة على كرامات أولياء غلاة الصوفية، ومناقشتها:

بالغ غلاة الصوفية في كثير من كراماتهم، وحكيت قصص عن أوليائهم كثيرة منها للخيال أقرب منه للحقيقة، ومن هذه القصص:

1. وهذا ما يرويه عبدالرؤوف المناوي من أنواع الكرامات فيقول: "إن أبا عبيد اليسري غزا ومعه دابة فماتت فسأل الله أن يحييها فقامت تنفض أذنيها" وأن مفرجاً الدماميني أحضر له فراخ مشوية، فقال: طيري بإذن الله تعالى فطارت.. [(2)].
2. يقول صاحب تنوير القلوب: "ومنها أنه كان من أصحابه شيخ صالح كلما رُزق ولدٌ مات في اليوم السابع بمرض فجائي، فاتفق أن زاره فوجده يبكي، وحدثه بالخبر، فقال له: لا خوف على ولدك إن شاء الله، وكان للشيخ ابنة في سن هذا الغلام فتمنى على الله أن يأخذ ابنته، ويبقى غلام صاحبه، فكان ما تمناه، فما ذهب إلى منزله حتى وجدها قد ماتت، وعاش الغلام سالماً ببركة دعائه، وتوجهه"[(3)].

من خلال القصة السابقة فإن فعل ذلك الشيخ الموسوم بالولاية مخالف لنهج النبي ﷺ الذي كان ينهى عن الدعاء على الولد، كما في الحديث، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **[لا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ وَلاَ تَدْعُوا عَلَى أَوْلادِكُمْ وَلاَ تَدْعُوا عَلَى خَدَمِكُمْ وَلاَ تَدْعُوا عَلَى أَمْوَالِكُمْ لاَ تُوَافِقُوا مِنْ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى سَاعَةَ نَيْلٍ فِيهَا عَطَاءٌ فَيَسْتَجِيبَ لَكُمْ]**[(4)]، وكان الأولى بهذا الشيخ أن يدعو الله تعالى لبقاء غلام صاحبه دون تمني الموت لابنته.

---

(1) أولياء الله بين المفهوم الصوفي والمفهوم السني، تأليف: الشيخ عبدالرحمن دمشقية، ضمن موسوعة الرد على الصوفية، ص60، نقلاً عن كتاب: لطائف المنن، ص578.
(2) حقيقة الصوفية في ضوء الكتاب والسنة، ص105.
(3) تنوير القلوب، ص12.
(4) سنن أبو داوود، كتاب الوتر، باب النهي عن أن يدعو الإنسان على أهله وماله، ص235، ح1532، حديث صحيح.

3- "أنه كان يعشي المريدين بعد الختم فيأتي بالقليل من الخبز، فيضعه في موضع ويأمر الخادم أن يأتي منه، فلا يزال كلما وضع يده وجد حتى يكفي الجمع الكثير ويبقى الخبز بحاله، بقي الأمر كذلك زمناً ليس بالقليل، ثم عادت الحال كالعادة، فسألته ﷺ عن السبب في ذلك فقال: وجدت الخيانة من بعض أهل المنزل فذهب ذلك السر بشؤم خيانتهم، وقد شاهدنا تلك البركة بعد ذلك في أسفاره ﷺ في المواضع التي يدعى فيها لتناول الطعام"[1].

4- "وهرب بعض مماليك السلطان عنده خوفًا من السلطان، فأرسل يقول للسلطان اصفح عن هؤلاء فقال: إن كنت فقيرًا فلا تدخل في أمر السلطنة، فطلب منه السلطان مماليكه ليردهم فلم يفعل فقال أنت تتلف مماليك السلطان فقال: إنما أنا أصلحهم فنزل إليه السلطان فأخرج إليه الشيخ مملوكًا منه وقال له: قل لهذه الأسطوانة كوني ذهبًا فقال لها ذلك فصارت ذهبًا يراه السلطان بعينه، فاستغفر وقبل رجل الشيخ وقال له الشيخ: هذا صلاح أو فساد، فعرض على الشيخ أرزاقًا يوقفها على الفقراء فأبى وقال: لا أعود أصحابي على معلوم"[2].

ثانياً: كرامات الأولياء عند أهل السنة والجماعة.

1- مكانة الكرامة عند أهل السنة والجماعة:

الإيمان بكرامات الأولياء حق، وعقيدة ثابتة، وتقع للأولياء، وهي من عقيدة أهل السنة والجماعة، وقد دل عليها الكتاب، والسنة، "ومن أصول السنة التصديق بكرامات الأولياء، وما يجري الله على أيديهم من خوارق، وعادات في أنواع العلوم، والمكاشفات، والتأثيرات كالمأثور عن سلف الأمة، وأئمتها، وسالف الأمم في سورة الكهف، وسورة مريم..."[3].

2. أمثلة على كرامات الأولياء:

أجمع أهل السنة والجماعة على إثبات كرامات الأولياء، وقد حدثت الكرامات في زمن الأمم السابقة، وفي زمن النبي ﷺ، وفي زمن الصحابة ﷺ، وهي ثابتةٌ لكل مؤمن متبع نهج الأنبياء، ومن أمثلة هذه الكرامات:

---

(1) تنوير القلوب، ص12.

(2) الطبقات الكبرى المسماة بلواقح الأنوار في طبقات الأخيار، تأليف: أبي المواهب عبدالوهاب بن أحمد ابن علي الأنصاري المعروف بالشعراني، 66/2، المكتبة الشعبية للنشر.

(3) قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر، تأليف: محمد صديق حسن خان القنوجي، تحقيق: د.عاصم بن عبدالله القريوتي، ط1، 1984م، عالم الكتب للنشر، بيروت.

أ- **مثل ما كان لأسيد بن حضير، ورجل من الأنصار:** "حدثنا علي بن مسلم ﷺ: "أن رجلين خرجا من عند النبي ﷺ في ليلة مظلمة، وإذا نورٌ بين أيديهما حتى تفرّقا فتفرق النور معهما"[1].

ب- **سفينة مولى النبي ﷺ**، لما ركب في البحر- سمي سفينة، لأنه كان يحمل الأمتعة في الأسفار- فركب مرة في البحر فانكسرت، فركب لوحاً منها فطرحه في أجمة - غابة- فيها أسد، فقال سفينة ﷺ: يا أبا الحارث -وهي كنية الأسد عند العرب- أنا سفينة مولى رسول الله ﷺ، قال: فطأطأ رأسه، وجعل يدفعني بجنبه، أو بكتفه حتى وضعني على الطريق"[2].

(1) صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب منقبة أسيد بن حضير وعباد بن بشر، 445/2، ح3805.
(2) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، للحافظ أبي نعيم الأصفهاني، 369/1، دار الفكر.

المبحث الرابع

النبوة مكتسبة عند غلاة الصوفية

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: النصوص الدالة على انحراف غلاة الصوفية في النبوة وأنها مكتسبة.

المطلب الثاني: الرد عليهم.

المبحث الرابع

النبوة مكتسبة عند غلاة الصوفية

تمهيد:

غلاة الصوفية كسائر الفرق المخالفة لعقيدة السلف الصالح في أبواب الاعتقاد فمنهم من غلا فنحى منحى الفلاسفة، الذي يرون أن النبوة مكتسبة.

وهذا الانحراف نشأ بسبب شدة البعد عن عقيدة أهل السلف في ذلك، وسبب شدة غلوهم في المخلوق، فقد نظروا لجانب التعظيم والإجلال دون النظر إلى جانب التوحيد، وسد الذرائع التي توصل إلى الشرك بالله تعالى، وإلى مخالفة أمر الله ورسوله ﷺ.

فمن أكبر وأهم أسس الإسلام: الإيمان بالله تعالى والإيمان برسوله ﷺ وهذان الأساسان الكبيران هما المدخل إلى الإسلام، ولكن الإيمان بمحمد ﷺ لا يكتمل إلا بالإيمان بأنه خاتم النبيين والمرسلين.

فختم النبوة والرسالة برسول الإسلام محمد ﷺ من مداخل الإسلام الرئيسة، ومن مفاتيح العقيدة التي يعلمها الصغير قبل الكبير، ولا يقبل الإسلام بدون ذلك، ولا يقبل من أحد الجهل به.

لكن الصوفية وبعض فرق الشيعة؛ من الخطابية والخرمية، والمنصورية وغيرها، اخترعوا عقيدة فاسدة تدعي أن رسالة الله لا تنقطع أبداً، وأن النبوة جارية، ويأتي نبي حيناً بعد حين.

هذه العقيدة لم تعتنقها فرق الشيعة إلا للقضاء على الإسلام وهدم كيانه، وفتح الأبواب على الدجالين والكذابين لترويج نبواتهم الباطلة، وإخراج المسلمين عن حظيرة الإسلام، وإدخالهم في بؤرة الكفر والارتداد، وإبعادهم عن محمد الصادق المصدوق الأمين ﷺ وعن شريعته السماوية السمحاء[1].

---

(1) انظر مقال بعنوان: استمرار النبوة دون انقطاع...عقيدة شيعية صوفية مأخوذة من اليهود، للشيخ إبراهيم الحناوي، تاريخ المقال 21 – 6 – 2009م، أخذ بتاريخ 16 – 6 – 2012م www.shareah.com

المطلب الأول: النصوص الدالة على انحراف غلاة الصوفية

أولاً: النصوص الدالة على انحراف غلاة الصوفية في النبوة وأنها مكتسبة:

ومن الذين يرون أن النبوة مكتسبة بالرياضة – محاكاة لقول الفلاسفة – وذلك لعدم فقه هذه المسألة العظيمة، فقد ذكر عبد القادر العيدروس في كلام له عن المسافات التي يقطعها المريد في سيره إلى الله تعالى: مسيره من قلبه إلى ربه المعبر عنه بالحقيقة وهو محو ما سوى الله تعالى عن القلب بمداومة الأنس بذكره، ولهذا السفر عدة وبضاعة إلى أن قال: وهو مبدأ سفر الأنبياء ﷺ: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الصَّافات:99]، ومعنى الذهاب إلى ربه والتوجه إليه العبور بالباطن عما سوى الله تعالى[1].

ويقول ابن عربي أيضاً مفرداً استمرار النبوة وعدم انقطاعها: "ويجمع النبوة كلها أم الكتاب ومفتاحها بسم الله الرحمن الرحيم فالنبوة سارية إلى يوم القيامة في الخلق...فإنه يستحيل أن ينقطع خبر الله وأخباره من العالم إذ لو انقطع لم يبق للعالم غذاء يتغذى به في بقاء وجوده"[2]، فهذه هي عقيدة القوم بلسان تحديهم وفي فتوحاته التي يقولون فيها، وفيه:

فتوحات شيخي غادة مدنية	كستها نفيسات العلوم ملابساً
فلا عجب لو تشتهيها نفوسنا	وأبحاثها أبدت إلينا نفائساً

فلله در الشيخ أكبر عصره بأنفاسه لا زال يحيي المجالس وهذه العقيدة هي التي شجعت الكثيرين من المتنبئين والكذابين على الله أن يدعو النبوة بعد محمد ﷺ، مثل الغلام القادياني الذي اسشتهد على تنبئه بكلام ابن عربي، وغيره من الدجاجلة الآخرين، مع تصريح رسول الله ﷺ، **[لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَخْرُجَ ثَلاثُونَ دَجَّالُونَ كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ]**[3].

ولكن ابن عربي يقول معاكساً لذلك في فتوحاته: ويضمن هذا الباب الحائل التي لا يعلمها إلا الأكابر من عباد الله، الذين هم في زمانهم بمنزلة الأنبياء في زمان النبوة، وهي النبوة العامة.

وهذا نص كلامه: "إذ النبوة والرسالة خصوص رتبة في الولاية على بعض ما تحوي عليه الولاية من المراتب، فيعلم أنه أعلى من الولي الذي لا نبوة تشريع عنده ولا رسالة"[4].

---

(1) انظر: الصوفية في حضرموت، ص651–652.
(2) الفتوحات المكية، 90/2.
(3) سنن أبو داوود، ص 347، ح6327.
(4) فصوص الحكم، 136/1.

فإن النبوة التي انقطعت بوجود رسول الله ﷺ إنما هي نبوة التشريع لا مقامها فلا شرع يكون ناسخاً لشرعه ﷺ، ولا يزيد في حكمه شرعاً آخر، وهذا معنى قوله ﷺ الرسالة والنبوة انقطعت، فلا رسول بعدي ولا نبي، أي لا نبي بعدي على شرع يكون مخالفاً لشرعي، بل إذا كان، يكون تحت حكم شريعتي... فهذا هو الذي انقطع وسدّ بابه، لا مقام النبوة"[1].

فهل يقول المتنبئون الدجالون الكذابون غير هذا؟

فإنهم لا يلتقطون إلا من موائد الصوفية، ولا يستوون إلا من أمثال شيخهم الأكبر.

ويقول ابن عربي مجيباً على سؤال الترمذي الملقب بالحكيم: أين مقام الأنبياء من مقام الأولياء؟ يجيب على هذا ويقول: "وإن كان سؤاله عن مقام الأنبياء من الأولياء، أي أنبياء الأولياء – وهي النبوة التي قلنا إنها لم تنقطع، فإنها ليست نبوة الشرائع – وكذلك في السؤال عن مقام الرسل، الذين هم أنبياء فلنقل في جوابه: إن أنبياء الأولياء، مقامهم من الحضرات الإلهية الفردانية، والاسم الإلهي الذي تعبدهم (هو) الفرد، وهم المسمون الأفراد، فهذا هو مقام نبوة الولاية، لا نبوة الشرائع. وأما مقام الرسل، الذين هم أنبياء فهم الذين لهم خصائص على ما تعبدوا به أتباعهم. كمحمد ﷺ، فيما قيل له: ﴿خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأحزاب:50] في النكاح دون الهبة، فمن الرسل من لهم خصائص على أمتهم ومنهم من لا يختصه الله بشيء دون أمته"[2].

"ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن فريقاً من هؤلاء المتصوفة يطلبون أن يحصل لهم ما يحصل للأنبياء، فيخلو أحدهم ويتعبد، فتتنزل عليه الشياطين، فيظن ذلك وحياً"[3].

قال الشيخ: "وقد جرب أن من سلك هذه العبادات البدعية أتته الشياطين، فحصل له تنزل شيطاني وخطاب شيطاني، وبعضهم يطير به شيطانه وأعرف من هؤلاء عدداً طلبوا أن يحصل لهم من جنس ما حصل للأنبياء من التنزيل، فنزلت عليهم الشياطين، لأنهم خرجوا عن شريعة النبيﷺ"[4].

وقال رحمه الله: "...فلهذا كانت النبوة عندهم مكتسبة، وصار كل من سلك سبيلهم كالسهروردي وابن سبعين وأمثالهما يطلب النبوة؛ ويطمع أن يقال له، قم فأنذر"[5].

---

(1) التصوف: المنشأ والمصادر، ص229.

(2) المصدر السابق، ص193.

(3) موقف ابن تيمية من الصوفية، ص725.

(4) الفتاوى لابن تيمية، 395/10.

(5) المصدر السابق، 588/7.

والمتصوفة اخترعوا هذه العقيدة ليوصلوا أئمتهم وشيوخهم الفاسدين إلى مقام النبوة ومكانتها وقد جاءت الأدلة متواترة ويقينية من الكتاب والسنة على ضلال هذه العقيدة الفاسدة.

المطلب الثاني: الرد عليهم.

النبوة اصطفاء من الله تعالى ومنحة إلهية، يختص بها من يشاء من عباده، لا تنال بالمجاهدة، وتختلف عن الولاية اختلافا كبيرا، رغم أن الأنبياء بشر، يحدث لهم ما يحدث لغيرهم، وقد بين الله ﷻ في أكثر من آية أن النبوة اختصاص إلهي ونعمة ربانية، يمن بها على من يشاء من عباده، قال الله تعالى لموسى ﵇ : ﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى﴾ [طه:13]، فالنبوة اصطفاء، واختيار من الله تعالى، قال تعالى:﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [الحج:75]، ويؤكد الكلام السابق ما قاله السفاريني رحمه الله: " فمذهب أهل الحق أن النبوة لا تنال بمجرد الكسب بالجد والاجتهاد، وتكلف أنواع العبادات، واقتحام أشق الطاعات، والدأب في تهذيب نفسه، وتنقية خواطره وتطهير أخلاقه، ورياضة نفسه وبدنه، وتهذيب ذلك، فالله سبحانه يؤتي فضله من شاء ممن سبق علمه، وإرادته الأزليان باصطفائه لها، فالله أعلم حيث يجعل رسالته، وهذا خلاف قول الفلاسفة المشائين(1) المجوزين اكتساب النبوة بزعمهم أن من لازم الخلوة، والعبادة، ودوام المراقبة، وتناول الحلال، وأخلى نفسه من الشواغل العائقة عن المشاهدة بعد كمال ظاهره، وباطنه بالتهذيب، والرياضة"(2)، إذن النبوة، والرسالة لا يمكن لأحد أن يكتسب أحدهما عن طريق المجاهدة، والرياضة، والتقوى، وغيرهما؛ لأنهما منحة من الله تعالى يختص بهما من يشاء من عباده، ويتفضل بهما على من يختاره من خلقه، فهما إذاً من شأن الله وحده لا دخل للخلق فيهما بأي وجه من الوجوه، وعقيدة ختم النبوة هي إحدى العقائد التي قررها كتاب الله ﷻ وبينها رسوله محمد ﷺ في كل موطن يتطلب ذلك وأجمع عليها الصحابة ﵃ وعلماء الأمة الإسلامية من صدر الإسلام إلى اليوم(3).

---

(1) الفلاسفة المشائين: هم أتباع أرسطو، وأفلاطون، وغيرهم، أصحاب التعاليم الذين لهم التصانيف المعروفة في الفلسفة، والذين يوجد فى كلامهم من الباطل، والضلال نظير ما يوجد فى كلام اليهود والنصارى، انظر: درء تعارض العقل والنقل، تأليف: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، تحقيق : محمد رشاد سالم، 157/1، دار الكنوز الأدبية – الرياض، طبعة 1391هـ.

(2) لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، تأليف: شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي، مؤسسة الخافقين ومكتبتها – دمشق، ط2، 1402هـ–1982م، 267/2.

(3) انظر العقيدة الإسلامية، عبيدات، ص445.

ويقصد بختم النبوة عند العلماء: أن سيدنا محمداً ﷺ هو خاتم الأنبياء والمرسلين، وأن باب النبوة قد أغلق، فلا يفتح لأحد بعده ﷺ إلى قيام الساعة.

وفي هذا المطلب سأورد الأدلة النقلية من الكتاب والسنة التي تدل على أن النبوة قد ختمت وأن الدين قد كمل وأنه لا يمكن أن يتلقى أحد علوماً عن الله مهما كانت مكانته بعد رسول الله ﷺ لأن طريق التلقي عن الله طريق واحد فقط وهو طريق النبوة ولا نبوة بعد محمد ابن عبد الله عليه أفضل الصلاة والسلام وكل من زعم أنه يتلقى عن الله فقد ادعى أنه نبي رضي أم كره لأن المهم ليس المسمى وإنما المهم المضمون.

أولاً: الأدلة من القرآن الكريم على ختم النبوة:

قال تعالى: ﴿**مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا**﴾ [الأحزاب:40] ففي هذه الآية التصريح بخاتميته ﷺ للأنبياء قبله فلا نبي بعده ولا رسول وهذا هو ما فهمه المفسرون لكتاب الله ﷻ من صدر الإسلام إلى اليوم.

ويقول الفضل بن الحسن الطوسي في تفسيره "خاتم النبيين أي آخر النبيين ختمت النبوة به فشريعته باقية إلى يوم الدين وهذه فضيلة له ﷺ اختص بها من بين المرسلين" (1).

ويقول القرطبي رحمه الله في تفسير خاتم النبيين: "ولكنه رسول الله وخاتم النبيين الذي ختم النبوة فطبع عليها فلا تفتح لأحد بعده إلى قيام الساعة"(2).

وأما ما يزعمه محيي الدين بن عربي أن محمدًا ﷺ ختم الله به الرسالة، ولم يختم به النبوة، وأن النبوة سارية لا تتوقف إلى قيام الساعة، يخالف فيه القرآن والسنة الصحيحة، ولا وجه له، وقد استغله المتنبئون، فليس بعد قول الله: ﴿...**وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ**...﴾ [الأحزاب:40] قول وقد أجمع علماء الأمة وثقاتها على ذلك، ومن ينكره ينكر معلومًا من الدين بالضرورة(3).

ومن الآيات التي تدل على أن باب النبوة والتلقي عن الله قد أغلق، وأكمل هذا الدين، قال تعالى: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا**﴾[المائدة:3]، فيقول سيد قطب في تفسير الآية: فأعلن لهم إكمال العقيدة وإكمال الشريعة معاً

(1) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، م12، 7043/22.
(2) الجامع لأحكام القرآن، 127/14.
(3) الإيمان: حقيقته وأثره في النفس والمجتمع، أصوله وفروعه مقتضياته ونواقضه، تأليف: د. محمد عبدالله الشرقاوي، ص261-262، ط2، 1410هـ - 1990م، دار الجيل - بيروت.

فهذا هو الدين، ولم يعد لمؤمن أن يتصور أن بهذا الدين نقصاً يستدعي الإكمال ولا قصوراً يستدعي الإضافة...وإلا فما هو مؤمن وما هو بمقر بصدق الله وما هو بمرتضٍ ما ارتضاه الله للؤمنين(1).

ثانياً: الأدلة من السنة على ختم النبوة.

إن المتتبع لأحاديث رسول الله ﷺ سيرى أنها قد أكدت بأن النبوة قد ختمت وأن الوحي قد انقطع بعد الرسول محمد ﷺ بألفاظ متعددة بحيث لا يبقى مجال للشك أو التردد في كون رسول الله ﷺ خاتم الأنبياء لا نبي بعده ولا شرع بعد شرعه، ولم يبق منها إلا المبشرات التي أعطاها الله ﷻ للصالحين من أمة محمد ﷺ.

ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما قال: **[أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنْ مُبَشِّرَاتِ النُّبُوَّةِ إِلاَّ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ يَرَاهَا الْمُسْلِمُ أَوْ تُرَى لَهُ]**(2).

ومن الأدلة لختم النبوة الحديث الذي رواه أبو هريرة ﷺ قال: **إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: [إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ الأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ إِلاَّ مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ وَيَعْجَبُونَ لَهُ وَيَقُولُونَ هَلاَّ وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبِنَةُ قَالَ فَأَنَا اللَّبِنَةُ وَأَنَا خَاتِمُ النَّبِيِّينَ]**(3).

ثالثاً: أقوال العلماء في ختم النبوة.

فمن العلماء الذين أكدوا إجماع المسلمين على القول بختم النبوة برسول الله ﷺ البغدادي رحمه الله فقد قال: "وإن أقروا بالقرآن ففيه أن محمداً ﷺ خاتم النبيين، وقد تواترت الأخبار عنه بقوله "لا نبي بعدي"، ومن رد حجة القرآن والسنة فهو كافر"(4).

أنه ﷺ ذكر أنه أرسل إلى أهل الكتاب اليهود والنصارى كما ذكر انه أرسل إلى الأميين رسولًا، بل ذكر أنه أرسل إلى جميع بني آدم عربهم وعجمهم من الروم، بل إنه أرسل إلى الثقلين الجن والإنس جميعًا.

---

(1) في ظلال القرآن، لسيد قطب، م2، 843/6، ط32، 1423هـ – 2003م، دار الشروق.

(2) صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب النهي عن قراءة القرآن في الركوع والسجود، ص182، ح 479.

(3) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب خاتم النبيين محمد ﷺ، 386/2، ح3535.

(4) أصول الدين، تأليف: عبدالقاهر بن محمد البغدادي، ص163، ط3، 1401هـ– 1981م، دار الكتب العلمية، بيروت.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "ولما كان محمد ﷺ رسولاً إلى جميع الثقلين جنهم وإنسهم عربهم وعجمهم وهو خاتم الأنبياء لا نبي بعده كان من نعم الله على عباده ومن تمام حجته على خلقه"(1).

وقال الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز يقول في خطبته بعد توليه الخلافة: "أيها الناس: إنه لا كتاب بعد القرآن، ولا نبي بعد محمد ﷺ وإني لست بقاضٍ ولكن منقذ، وإني لست بمبتدع ولكني متبع"(2).

فالأدلة من القرآن الكريم والسنة النبوية وأقوال العلماء فجميعها تثبت أن النبي محمد ﷺهو خاتم النبيين ولا نبي بعده، وبذلك لا يبقى مجال للكذب والادعاء بأن أحداً ما يزعم أنه يتلقى العلم عن الله بعد رسول الله وإلا يصبح كاذباً مفترياً على الله تعالى.

---

(1) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، لشيخ الإسلام ابن تيمية، 49/1، مكتبة المدني ومطبعته.

(2) البداية والنهاية، 254/9.

الفصل الثاني

معتقدات غلاة الصوفية في النبي ﷺ

ويشتمل على سبعة مباحث:

المبحث الأول

خصائص النبي ﷺ عند غلاة الصوفية

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: اختصاص النبي ﷺ بالألوهية.

المطلب الثاني: اختصاص النبي ﷺ عند الغلاة بمحو الذنوب وعلم ما في اللوح المحفوظ والقلوب

المطلب الثالث: اختصاص النبي ﷺ عند الغلاة بتلقين مشايخ الصوفية الأوراد وحضور حلق ذكرهم بعد موته يقظة لا مناماً.

المبحث الأول

خـــصائـــص النـــبي ﷺ عند غلاة الصوفية

تمهيـــد:

خصَّ الغلاة الرسول ﷺ بخصائص هي من جنس خصائص ربِّ العزة والجلال من غير علم ولا هدى ولا كتاب منير، يتبعون كل شيطانٍ مريد يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً بالتلبيس، والتدليس، وإلقاء الوساوس، والشُّبه؛ ليُخرجوا بها من قل نصيبه من العلوم وقامت حقائق الإيمان في قلبه مقام الرسوم، من النور إلى الظلمات قال تعالى: ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنْسِ وَالجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ القَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ۞ وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآَخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ**﴾ [الأنعام:112-113][1].

المطلب الأول: أولًا: اختصاص النبي ﷺ بالألوهية عند غلاة الصوفية:

حيث وصف غلاة الصوفية النبي ﷺ بأسماء وصفات هي خاصة بالله تعالى – مثل ما ورد في كتاب دلائل الخيرات "بأنه صاحب الفرج – وكاشف الكرب رؤوف رحيم"[2].

وقيل عنه أيضًا في دعائهم "اللهم صل على كاشف الغمة، مجلي الغمة، مولي النعمة، مؤتي الرحمة"[3].

وقيل عنه إنه سبب كل وجود فقالوا: "اللهم صل على إنسان عين الوجود والسبب في كل موجود"[4].

---

(1) خصائص المصطفى بين الغلو والجفاء، تأليف: الصادق بن محمد بن إبراهيم، ص174، ط1، 2000م، مكتبة الرشد.

(2) دلائل الخيرات، تأليف: أبوعبدالله محمد بن سليمان الجزولي، ص27، تم طبعه في محرم 1333م على ذمة عبدالرحمن أفندي محمد بمصر، www.al-mostafa.com

(3) المصدر السابق، ص57.

(4) المصدر نفسه، ص68.

إن صاحب دلائل الخيرات خالف القرآن وسوى بين الله ﷻ وبين رسوله ﷺ في أسمائه وصفاته وهذا ما يتبرأ منه الرسول ﷺ كما قال: **[لاَ تُطْرُونِي، كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ]**[1]

وقد امتد هذا الأثر المغالي في تصور شخصية الرسول ﷺ فوصفوا الرسول بما لا يقره الشرع، أنه خلق مــن نور، وأنه أقدم المخلوقات، ومصدر الخلق، وهو يعلم الغيب، ويبالغون في ذلك فيجعلــون له كثيراً من الأوصاف التي هي أوصاف النبوة؛ بل ومنها أوصاف إلهية خاصة بالله ﷻ.

وما يهمنا في هذا المجال موقف الحلاج من الرسول ﷺ الذي يدور حول النور المحمدي، إذ يرى الحلاج أن للنبي ﷺ صورتين مختلفتين:

(أ) صورته نوراً أزلياً قديماً كان قبل أن تكون الأكوان ومنه استمد كل علم وعرفان.

(ب) ثم صورته نبياً مرســـلاً وكائناً محدثاً تعين وجوده في مكانٍ وزمانٍ محدودين والنبي المرسل ﷺ إنما صدر في رسالته عن ذاك النور الأزلي القديم[2] يقول الحلاج:

(" طس " سراج من نور الغيب بدأ وعاد، وجاوز السراج وساد. قمر تجلى بين الأقمار. كوكب برجه في فلك الأسرار... ما أخبر إلا عن بصيرته، ولا أمر بسنته إلا عن حق سيرته، حضر فأحضر، وأبصر فأخبر... أنوار النبوة من نوره برزت، وأنوارهم من نوره ظهرت، وليس في الأنوار نور أنور وأظهر وأقدم سوى نور صاحب الكرم... همته سبقت الهمم، ووجوده سبق العدم، واسمه سبق القلم لأنه كان قبل الأمم، ما كان في الآفاق وراء الآفاق ودون الآفاق. أظرف وأشرف وأعرف وأنصف وأرأف وأخوف وأعطف من صاحب هذه القضية وهو سيد البرية، الذي اسمه أحمد. العلوم كلها قطرة من بحره...والأزمان كلها ساعة من دهره، الحق وبه الحقيقة، هو الأول في الوصلة، وهو

---

(1) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب "واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها"، 367/2، ح3445.

(2) انظر: الفلسفة الصوفية في الإسلام: مصادرها ونظرياتها ومكانها من الدين والحياة، تأليف: د. عبدالقادر محمود، ص 379- 380، ط1، 1966-1967م، مطبعة المعرفة عمارة التأمين – القاهرة.

الآخر في النبوة، والباطن بالحقيقة، والظاهر بالمعرفة... الحق ما أسلمه إلى خلقه، لأنه هو وإني هو، وهو هو...)[1].

فهذا النص يدور حول النور المحمدي وأنه هو المصدر الذي استمد منه الأنبياء والرسل قبله، والأولياء من بعده هذا النور. ويؤكد الحلاج في هذا النص على قدم وجود النبي ﷺ وأسبقيته على وجود الكون. فيقول: "همته سبقت الهمم ووجوده سبق العدم واسمه سبق القلم لأنه كان قبل الأمم"[2].

4- يقول البوصيري[3] في البردة التي يترنم بها ملايين الصوفية:

يا أكرم الرسل ما لي من ألوذ به	سواك عند حلول الحادث العمم
ولن يضيق رسول الله جاهك بي	إذا الكريم تجلى باسم منتقم
فإن من جودك الدنيا وضرتها	ومن علومك علم اللوح والقلم[4]

فالبوصيري وصف رسول الله ﷺ بأوصاف الربوبية والألوهية ما لا يوصف أحد به إلا الله وحده، فجعل الرسول ﷺ ملاذه ومعاذه عند نزول الشدائد ثم نسب إلى الرسول ﷺ، الشفاعة مطلقًا كما يعتقده المشركون في الشفاعة الشركية التي تكون بدون إذن ولا رضى من المشفوع عنده وإنما تكون بجاه الشافع ومكانته فقط.

ثم نراه يجعل الدنيا والآخرة من جود النبي ﷺ، وأن علم اللوح والقلم من بعض علومه وهذا مع ما فيه من الشرك كفر بالله ﷻ؛ لأنه رفع النبي ﷺ فوق مقامه البشرية.

وهؤلاء الغلاة ظنوا ظنًا خاطئًا بإعطاء النبي ﷺ تلك الخصائص، والصفات يكون تعظيمه وتوقيره وتبجيله، فهم فتحوا على أنفسهم بابًا إلى الجحيم بدعوى محبتهم للنبي ﷺ فجاء غلاة الصوفية وزعموا أنه ﷺ خلق من نور وأنه يصدر الخلق، وأنه شريك لله تعالى في الخلق

---

(1) ديوان الحلاج ويليه أخباره وطواسينه، ص145-146، وانظر: الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ، تأليف: محمود عبدالرءوف القاسم، ص263-264، توزيع دار الصحابة، ط1، 1408هـ-1987م

(2) محبة الرسول بين الاتباع والابتداع، ص168.

(3) شرف الدين أبو عبد الله محمد بن سعيد بن حماد بن عبد الله الصنهاجي البوصيري المصري (608-696هـ) نسبة إلى بوصير من قرى بني سويف بمصر، شاعر. أغلب شعره في مديح النبي ﷺ على طريقة الصوفية، وله قصيدة البردة، الأعلام، 139/6.

(4) ديوان البوصيري، ص131، 132،

والتدبير وكشف الضر ودفع البلاء، وهذا المقام فيه من الكفر الصريح الذي يناقض ما جاء به النبي ﷺ من الدعوة إلى عبادة الله وحده وعدم الإشراك معه إلهًا آخر.

ثانياً: الرد على ألوهية النبي محمد ﷺ:

بشرية النبي محمد ﷺ

لقد كان سيدنا محمد ﷺ بهم بشرا قبل أن يبعثه الله رسولا، له طبيعة البشر، يأكل ويشرب،ويصحو ويرقد، إلى غير ذلك من أعمال البشر، ولكن هناك من أنكروا أن يكون النبي محمد ﷺ مثل البشر يأكل ويشرب ويمشي بالأسواق كما قال كفار قريش، فرد الله عليهم بقوله تعالى: ﴿ **وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الأَسْوَاقِ لَوْلاَ أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا ۞ أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلاَ رَجُلًا مَسْحُورًا** ﴾.[الفرقان7-8]..

ثم إن الله تعالى وصفه بأعظم ما يوصف به البشر المؤمنون، وصفه بالعبودية في ليلة بلغ فيها سنام الذروة العليا من السّموّ، حيث كُرِّمت فيه الإنسانية، وتألقت أمجادها ليلة الإسراء والمعراج: [**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ المَسْجِدِ الحَرَامِ إِلَى المَسْجِدِ الأَقْصَى**] {الإسراء:1}. ثم وصفه بالعبودية في مقام الدعوة، إذ يقول: [**وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللهِ يَدْعُوهُ**] {الجنّ:19}، ثم وصفه بالعبودية في مقام من أجل مقاماته، وهو مقام التحدي بالمعجزة الكبرى: القرآن [**وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا**]{البقرة:23}. ويقول الرسول ﷺ: [**لاَ تُطْرُونِي، كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ، وَرَسُولُهُ**][1]. وعلمنا في التشهد أن نقول: «وأشهد أن محمداً عبده ورسوله». وفي حديث الشفاعة: إن المسيح يقول لهم: [**اذْهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ، فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا فَيَقُولُونَ: يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ وَخَاتِمُ الأَنْبِيَاءِ، وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ**][2].

ومقتضى كونه بشرا فإنه ليس بآلهة، وليس فيه من صفات الألوهية شيء، ولا يدعي من صفات الله تعالى شيء، كما غلا الصوفية في النبي محمد ﷺ غلواً عظيماً.

---

(1) صحيح البخاري، 367/2، ح3445.

(2) صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبداً شكوراً، 210/3، ح4712.

وما أراده الحلاج وابن عربـــي والبوصيري ومن سار على نهجهم من الغلو في الرسول ﷺ بدرجة مساواته بالله ﷻ تعالى الله، وأنه يتصرف في الكون، ويملك النفع والضر، ويؤثر في إرادة الله، ويعلم الغيب، ينافي ما وصف الله به رسوله ﷺ.

المطلب الثاني: أولًا: اختصاص النبي ﷺ عند الغلاة بمحو الذنوب وعلم ما في اللوح المحفوظ والقلوب:

أولاً: النماذج الشعرية التالية توضح ما جعله الغلاة للرسول ﷺ من خصائص هي من جنس خصائص الربوبية والإلهية:

يقول البُرعي:

نداك من برع أسير ذنوبه ... أفلا تمن عليه بالإطلاق

أثقلتُ ظهري بالكبائر سالكاً ... سبل المهالك صحبة الفساق

ونقضت عهداً قد تقادم عهده ... يا وافياً بالعهد والميثاق

فاعطف على عبد الرحيم برحمة ... وافسح له عن ضيق كل خناق(1)

وهنا يستغيث البرعي بالنبي ﷺ كي يرحمه، يفسح عليه الضيق والكرب، ويغفر له زلاته وذنوبـــه وهـــذه الخصائص ليســـت من خصائص النبي ﷺ لأنه بشر وهذه خـــصائص رب البشر الله ﷻ.

ويقول البُوصِيري:

فإن من جودك الدنيا وضرتها ... ومن علومك علم اللوح والقلم(2)

ففي هذا البيت مبالغة في حق النبي ﷺ حيث يقول البوصيري أن ما في الدنيا والآخرة من خير فهو بإدارة النبي ﷺ وحيث غلا في علم النبي ﷺ لدرجة معرفته بما في اللوح ولا يعلم ذلك إلا الله.

ويقول النبهاني:

سيدي أبا البتول أغثني ... أنت أدرى بما حواه الضمير(3)

---

(1) ديوان البرعي، تأليف: عبدالرحيم البرعي الثماني، ص55، دون طبعة ودار نشر.

(2) البردة، تأليف: الإمام البوصيري، شرح شيخ الإسلام إبراهيم الباجوري، ضبطها: الشيخ عبدالرحمن محمود، ص132، مكتبة الآداب للنشر.

(3) شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق ﷺ، تأليف: العلامة الشيخ يوسف النبهاني، ص208، دون طبعة ودار نشر.

وهنا وصف النبهاني الرسول ﷺ بصفات الخالق حيث ساوى الخالق بالمخلوق، فجعل يطلب الغوث والإعانة من النبي ﷺ ولا يرجى ذلك إلا من الله فهو وحده الذي يفرج الكرب وهو أيضاً وحده الذي يعلم الخفايا وما تحتويه الضمائر.

ثانياً: الرد على معتقدهم باختصاص النبي ﷺ بعلم الغيب وعلم ما في الضمير واللوح المحفوظ:

قال شعراؤهم: (ناداك من برع) (تعلم ما حواه الضمير) (ومن علومك علم اللوح والقلم)، وهذا لا يكون إلا لله جل وعلا حيث أخبر سبحانه أنه غافر الذنب وقابل التوب، فقال تعالى: ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ...﴾ [غافر:3]، وتجلت عظمته أيضًا بأنه يغفر الذنوب جميعاً، قال تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزُّمر:53].

وهذه من خصائص رب الأرض والسموات قال تعالى: ﴿وَللهِ غَيْبُ السَّمَـٰوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ﴾[هود:123]، وقال تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي البَرِّ وَالبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلاَ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾[الأنعام:59]، بل إن الله تبارك وتعالى أمر نبينا محمداً ﷺ أن ينفي الغيب عن نفسه قال تعالى: ﴿قُلْ لاَ أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللهِ وَلاَ أَعْلَمُ الغَيْبَ وَلاَ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَ مَا يُوحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالبَصِيرُ أَفَلاَ تَتَفَكَّرُونَ﴾[الأنعام:50]، وأخبر ﷻ أنه العليم بذات الصدور، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَـٰوَاتِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾[فاطر:38]، ولا يُعترض بأن الرسول ﷺ يعلم الغيب بقوله تعالى: ﴿عَالِمُ الغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ۞ إِلاَ مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾ [الجنّ:26-27].

لما تمدَّح الله سبحانه بعلم الغيب واستأثر به دون خلقه، كان فيه دليلاً على أنه لا يعلم الغيب أحد سواه، ثم استثنى من ارتضاه من الرسل فأودعهم ما شاء من غيبه بطريق الوحي إليهم[1].

---

(1) تفسير القرطبي، 267/5.

والذي دفع البوصيري والنبهاني ومن سار على شاكلتهم إلى كتابة هذه الأشعار هو غلوهم في مدح النبي ﷺ وهو من باب المدح المذموم لقوله تعالى: ﴿**لاَ تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ**﴾[النساء:171]، وأيضاً فإن مادح النبي ﷺ بأمر لم يثبت عنه يكون كاذباً عليه فيدخل في وعيد: [**وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنْ النَّارِ**][1] "وليست الفضائل النبوية مما يتساهل فيها برواية الضعيف ونحوه لتعلقها بصاحب الشريعة ونبي الأمة الذي حرّم الكذب عليه وجعله من الكبائر العظيمة حتى قال أبو محمد الجويني والد إمام الحرمين بكفر الكاذب عليه ﷺ. وعلى هذا فما يوجد في كتب المولد النبوي وقصة المعراج من مبالغات وغلو لا أساس له من الواقع يجب أن تحرق لئلا يحرق أصحابها وقارئها في نار جهنم نسأل الله السلامة والعافية"[2].

المطلب الثالث: اختصاص النبي ﷺ عند الغلاة بتلقين مشايخ الصوفية الأوراد والمبالغة في فضلها وحضور حلق ذكرهم بعد موته يقظة لا مناماً:

أولاً: النصوص الدالة على اعتقادهم

قال عمر الفوتي[3]: (ولما أذن له ﷺ - أي لأحمد التجاني[4] - في هذه الطريقة الأحمدية والسيرة المصطفوية النبوية وفتح الله تعالى على يديه ﷺ وأخبره أنه مربيه وكافله وأنه لا يصل شيء من الله إليه إلا على يديه وبواسطته ﷺ وقال له: لا منة لمخلوق عليك من أشياخ الطريق، فأنا واسطتك وممدك على التحقيق، فاترك عنك جميع ما أخذت من جميع الطرق، وقال له الزم هذه الطريقة من غير خلوة ولا اعتزال عن الناس حتى تصل إلى مقامك الذي وعدت به وأنت على حالك من غير ضيق ولا حرج ولا كثرة مجاهدة واترك عنك جميع الأولياء)[5].

---

(1) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب ما يكره من النياحة على الميت، 305/1، ح2191.

(2) خصائص المصطفى بين الغلو والجفاء، ص189.

(3) عمر بن سعيد الفوتي، 1281هـ- 1864م، عالم سياسي من قبيلة التوكولول في غربي أفريقيا، اشتهر بعلمه الواسع وتقواه، كان من أشهر دعاة الطريقة التيجانية بغربي أفريقيا. انظر الموسوعة العربية العالمية، ص 585، ط2، 1419هـ- 1999م- مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع.

(4) أحمد بن محمد المختار التجاني، ولد سنة 1150هـ-1737م، لبعض أصحابه كتب في سيرته منها جواهر المعاني لعلي حرازم ت. سنة 1235هـ، وهو شيخ الطائفة التيجانية بالمغرب، تصوف ووعظ، وحج سنة 1186هـ، واستقر بفاس على أن توفي 1230هـ-1815م، الأعلام، (245/1).

(5) خصائص المصطفى بين الغلاة والجفاة، ص19، نقلاً عن رماح حزب الرحيم (191/1).

ومن تلك المبالغات ما ذكروه في خاصية صلاة الفاتح[1]: يقول علي حرازم نقلاً عن شيخه: (وخاصية صلاة الفاتح لما أغلق أمر إلهي لا مدخل للعقول فيه، فلو قدرت مائة ألف أمة في كل أمة مائة ألف قبيلة في كل قبيلة مائة ألف رجل وعاش كل منهم مائة ألف عام، يذكر كل واحد منهم في كل يوم ألف صلاة على النبي ﷺ من غير صلاة الفاتح لما أغلق... وجميع ثواب هذه الأمم كلها في هذه السنين كلها في هذه الأذكار كلها ما لحقوا كلهم ثواب واحدة من صلاة الفاتح لما أغلق)[2].

ولم يقتصر أحمد التجاني على هذه الدعاوى، بل تطاول ليصل إلى القرآن الكريم كتاب الله تعالى؛ منتقصاً له في مقابل الدعوة والترغيب في أوراده وأذكاره الموضوعة.

يقول التجاني عن فضل صلاة الفاتح لما أغلق: (لما أمرني ﷺ بالرجوع إليها سألته عن فضلها؟ فأخبرني أن المرة الواحدة منها تعدل من القرآن ست مرات، ثم أخبرني ثانياً أن المرة الواحدة منها تعدل من كل تسبيح وقع في الكون ومن كل ذكر ومن كل دعاء كبير أو صغير ومن القرآن ستة آلاف مرة)[3].

ثانيا: الرد عليهم

فالناظر في أذكار التجانية تلك وفضلها:

إما أن يقول بخيانة الرسول ﷺ للأمانة وعدم تبليغه للرسالة لإخفائه هذه الأذكار وهذا الفضل العظيم الذي يسع ثواب الخلق أجمعين بما فيهم الأنبياء والمرسلين عن أصحابه ﷺ أجمعين الذين ماتوا ولم يدركوا ما أدركه التجانيون من الفضل، فإن قالوا بهذا فقد كفروا بالله ورسوله وذلك للقدح في علم الله الذي خفي عليه ما أخفاه الرسول ﷺ، ولإثبات الخيانة لخيرة رسله ﷺ، فإن فروا من هذا وقالوا لا نقدح في علم الله ولا نثبت الخيانة لرسوله ﷺ وإنما هذه الأذكار وهذا الفضل لم يكن يعلمه الرسول ﷺ وقت حياته وإنما أوحاه الله له بعد وفاته[4]. إذن ما فائدة الوحي بعد الممات، وكيف بلغكم بعد الموت.

---

(1) نص صلاة الفاتح "اللهم صلّ على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق، والخاتم لما سبق، ناصر الحق بالحق، والهادي إلى صراطك المستقيم، وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم"، تقديس الأشخاص، ص290-291.
تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي، 290- 291.

(2) جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس التجاني، للعلامة سيدي علي حرازم ابن العربي، ضبط: عبداللطيف عبدالرحمن، ص102-103، دار الكتب العلمية للنشر، ط1، 1417هـ-1997م.

(3) المصدر السابق، ص100.

(4) انظر: خصائص المصطفى بين الغلو والجفاء، ص222.

وإما أن يقول إن هذه الأذكار من جملة شرائع الإسلام أو أنها من غير شرائع الإسلام. فإن قالوا إنها من جملة شرائع الإسلام نقول لهم لقد كذَّبتم الله تعالى الذي أخبر عن إكمال شرائع دينه وإتمام النعمة علينا بذلك، قال تعالى: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا**﴾ [المائدة:3].

وتكذيب الله كفر به، إذ يخبر تعالى عن إكمال الدين ثم يزعم التجانيون أن تلك الأذكار أمور إلهية جاء بها جبريل لرسول الله ﷺ بعد وفاته وأنها من جملة شرائع الإسلام. فإن فروا من هذا طوّق عنقهم الإلزام الآخر وهو أن يقولوا: إنها من شريعة غير شريعة الإسلام وإنها دين آخر غير دين الإسلام، فإن قالوا بهذا فلنا معهم طرق أخرى منها الدعوة إلى الإسلام أو أخذ الجزية عن يد وهم صاغرون أو القتال[1].

والطريقة التجانية، كغيرها من طرق الصوفية في عقائدها إذ يزعمون أن النبي ﷺ يلقن مشايخهم الأوراد ويلتقي بهم يقظة لا منامًا، ولكل طريقة منهم طقوس وأوراد خاصة، فهذا كله من خزعبلات الصوفية، فالنبي ﷺ مات ولا يلتقي بأحد ولا يعلم ما الذي جاء به غلاة الصوفية هي أوراد كتبوها واخترعوها بأنفسهم، والنبي ﷺ منهم براء.

(1) انظر: خصائص المصطفى بين الغلو والجفاة، ص223.

المبحث الثاني
عقيدة الحقيقة المحمدية عند غلاة الصوفية

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الحقيقة المحمدية.

المطلب الثاني: الرد على الحقيقة المحمدية.

المطلب الثالث: الآثار العقدية للحقيقة المحمدية.

المبحث الثاني

عــقيدة الحــقيقة المــحمدية عند غلاة الصوفية

المطلب الأول: تــعريف الحــقيقة المحمــدية:

الحقيقة المحمدية: هي أول التعيينات أي أول المخلوقات، ومبدأ خلق العالم، وهي النور الذي خلقه الله قبل كل شيء وخلق منه كل شيء، أو هي العقل الإلهي الذي تجلى الحق فيه لنفسه فكان هذا التجلي بمثابة أول مرحلة من مراحل التنزل الإلهي في صور الوجود، وهي الصورة الكاملة للإنسان الكامل الذي يجمع في نفسه جميع حقائق الوجود[1].

وعرفت كذلك بأنها: "الذات مع التعين الأول، وهي اسم الله الأعظم"[2].

ويستحيل علينا أن نفهم ما يريده المتصوفة بقولهم (الحقيقة المحمدية) إلا بمعرفة عقيدتهم في الله. فالنظرية الصوفية الفلسفية قد وصلت في نهاية القرن الثالث إلى القول بأن الله هو هذا الوجود القائم المتجدد المتغير، فهو السموات والأرض والعرش والكرسي والملائكة والإنسان والحيوان والنبات. – تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً – ويقولون عنه نفس وجود الموجودات: هو وجود الله فليس هناك اثنان في الوجود خالق ومخلوق بل المخلوق هو عين الخالق، والخالق هو نفس المخلوق، اعتقد بذلك ونشره في الناس كبار الصوفية من أهل الزندقة والإلحاد كابن عربي، والحلاج، وهؤلاء الصوفية أنكروا في كتبهم على من يشهد بأن الله ﷻ هو الإله القائم بنفسه المستوي على عرشه البائن من خلقه، والذي هو معتقد المسلمين في ربهم ﷻ[3].

وهذه العقيدة الإلحادية هي العقيدة الأساس التي قام الفكر الصوفي كله بعد ذلك عليها، فإذا علمنا ماذا يعنيه المتصوفة المتفلسفون بوحدة الوجود وأن الله عندهم ليس ذاتاً يراها المؤمنون في الآخرة وتستوي على العرش، وإنما هو نفس الوجود بكل درجاته وتناقضاته، فالله عندهم هو عين وجود الملك والشيطان والإنس والجان، والحيوان والنبات[4].

وقد فصل هذه العقيدة الجيلي الزنديق في كتابه "الإنسان الكامل" فالرسول ﷺ عندهم ليس هو الرسول عندنا، بل هو عند أساطينهم ومحققيهم هو الله المستوي على العرش، وعند جهلائهم

---

(1) فصوص الحكم، ص320.

(2) التعريفات، للجرجاني، ص95.

(3) الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة، ص175-176.

(4) انظر: الفكر الصوفي، ص177.

وأغبيائهم هو المخلوق من نور العرش، أو من نور الله وهؤلاء ربما يعتقدون أن الله موجود قبل الرسول ﷺ، وأن العرش مخلوق قبل الرسول ﷺ، ولكن أولئك – المحققين في زعمهم– يعتقدون أن وجود الرسول ﷺ سابقاً على وجود العرش بل وجود كل مخلوق لأنه أول (التعينات) أي أول من أصبح عيناً أي شيئاً معيناً ومن نوره تخلقت كل الخلائق بعد ذلك. وأما المغفلون منهم فيقولون: يا أول خلق الله، ظانين أنه مخلوق قبل كل البشر، فهو عندهم مخلوق قبل آدم نفسه، وأولئك يقولو: يا أول خلق الله على الأرض قبل العرش والكرسي والسموات والأرض والجنة والنار، بل كل هذه في زعمهم خلقت من نور الرسول ﷺ[1].

وقد وضح الشيخ محمود عبد الرؤوف القاسم مقصود الصوفية بالحقيقة المحمدية فقال: وملخص أقوالهم أن الله ﷻ عما يصفون عندما أراد أن يجعل قسماً من ذاته متعيناً بشكل مخلوقات كان أول شيء فعله هو أنه قبض قبضة من نور وجهه وقال لها كوني محمداً فكان محمد هو أول التعيينات وهذه القبضة من النور هي التي يطلقون عليها اسم الذات المحمدية ومن هذه الذات المحمدية انبثقت السموات والأرض والدنيا والآخرة التي يسمونها فيما يسمونها "تعينات" فهي كلها تصدر عن الذات المحمدية ثم تعود إليها وهذا هو ما يسمونه الحقيقة المحمدية[2].

ويتضح مما سبق أن نظرية الحقيقة المحمدية لم تقف عند ابن عربي، بل تأثر بها كثيرون بعده من الفلاسفة والشعراء وبذلك ندرك مغزى ما يقوله البوصيري:

وكل آي أتى الرسل الكرام بها ... فإنما اتصلت من نوره بهم

فإنه شمس فضل هم كواكبها ... يظهرن أنوارها للناس في الظلم[3]

ويمكن تلخيص ما سبق في النقاط التالية:

1- القول بوحدة الوجود، وأن الله هو ذات الموجودات فيجعلون الرسول هو المخلوق الأول ومنه وعنه صدرت الموجودات جميعاً وهو الإله المستوي على العرش.

---

(1) انظر: دراسات في التصوف والفلسفة الإسلامية، د. صالح الرقب، د. محمود الشوبكي، ص40، ط1، 1427هـ–2006م.

(2) انظر: الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ، تأليف: محمود عبدالرءوف القاسم، ص280–281، ط1، 1408هـ–1987م، توزيع دار الصحابة.

(3) البردة، ص55–56.

2- ويعتقدون بالحقيقة المحمدية التي هي أول المخلوقات، وهي من ناحية صلتها بالعالم مبدأ الخلق؛ إذ هو النور الذي خلقه الله قبل كل شيء وخلق منه كل شيء، وهو أكرم الخلق ومن أجله خلق الله الكون.

3- ويعتقدون أن الرسول يعلم الغيب كله، ولا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السموات.

المطلب الثاني: الرد على الحقيقة المــحمدية:

الحقيقة المحمدية شعبة من شعب الغلو الذي وقعت فيه الصوفية بل من شعب الكفر، وهو مزيج من الغلوّ في رسول الله ﷺ والتأثر بالنظرية النصرانية.

يقول الدكتور زكي مبارك: وعلى ذلك تكون نظرية الحقيقة المحمدية عند غلاة الصوفية مأخوذة من أصول نصرانية فعيسى هو ابن الله ومعنى ذلك فيما افترض أنه الصلة بين الله وبين الوجود ومحمد أول التعينات وليس فوقه إلا الذات الأحدية كما لم يكن فوق عيسى إلا الأب والنصارى يتمثلون إليه حين يخاطبون عيسى فلولا عيسى لانعدم الوجود والصوفية يتمثلون الله حين يخاطبون محمداً فلولا محمد لانعدم الوجود وعيسى هو ابن الله ولكنه يتمثل في صورة بشرية فعيسى لولاه لامتنعت الصلة بين الله وبين الوجود فانعدم الوجود ومحمد حسب زعم الصوفية:

لولاه ما كان أرض ولا أفق ولا زمان ولا خلق ولا جيل

وعيسى هو الكلمة وأتباعه من الرسل الذين بلغوا دعوته كلمات، ومحمد عند الصوفية هو الكلمة وجميع الأنبياء كلمات لهم خصوصية وبعض أتباع محمد لهم خصوصية(1).

ويتضح مما سبق أن المتصوفة أخذوا هذا المعتقد الباطل "الحقيقة المحمدية" من المسيحية المحرفة والتي أخذته بدورها من الفلسفة اليونانية.

وعلى هذا فقول الصوفية بالحقيقة المحمدية متناقض مع صريح القرآن وصحيح السنة النبوية، فإن الله يقول: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ...﴾ [آل عمران:144]، كما يقول جل شأنه: "﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ...﴾ [الكهف:110].

(1) انظر: التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق، بقلم: الدكتور: زكي مبارك، ص212-213، ط1357هـ-1938م، مطبعة الرسالة للنشر.

وقد قال أبو بكر ﷺ عقب وفاة الرسول ﷺ: [**أَلاَ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا ﷺ فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لا يَمُوتُ**][1].

ولا يخفى أيضاً أن هؤلاء الغلاة من الصوفية لم يخطئوا فقط في حقيقة النبي ﷺ، بل أخطئوا كذلك في إعطاء كل ما وجب لله ﷻ من كمالات للرسول ﷺ، من دعاء، واستغاثة، وعبادة.

والمشكلة أن هذه التي يسمونها (الحقيقة المحمدية) هي غموض كامل وعماء في عماء، ولأنها نشأت في الأصل من خيال مريض وأوهام ليس لها أي رصيد في الواقع، ولذلك نلاحظ أن أقوالهم في تعريفها أو الكلام عنها غامضة أيضاً، فالرسول ﷺ أول موجود وأول مخلوق وهو القطب التي تدور عليه أفلاك الوجود من أوله إلى آخره[2]، وهو الذي انشقت له الأسرار ولا شيء إلا وهو به منوط[3]، وهو عين الإيمان الأعيان والسبب في وجود كل إنسان[4] وكأن الصوفية لم يستسيغوا أن يقال: إن رسول الله ﷺ هو كما وصفه القرآن الكريم بشرٌ رسولٌ، وقد جعلوا أقطابهم تتصف بما وصف الله ﷻ نفسه، فكيف برسول الله ﷺ فابتدعوا ما أسموه الحقيقة المحمدية.

وقد كان رسول الله ﷺ يخشى على أمته من الغلو فقال ﷺ محذراً: [**لاَ تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَى عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ** ﷺ **فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ**][5] ولكن الذي فعله هؤلاء هو أكبر من الغلو، إنه الشرك والضلال، وإلا كيف تفسر قول الشيخ الدباغ: إن مجمع نوره لو وضع على العرش لذاب. وقول أبي العباس المرسي: "جميع الأنبياء خلقوا من الرحمة ونبينا عين الرحمة"، قال تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ**﴾ [الأنبياء:107][6] فانظر إلى هذا الاستنتاج العجيب.

---

(1) صحيح البخاري، في كتاب المناقب، باب قول النبي ﷺ: لو كنت متخذاً خليلاً، 894/2، ح 3656.

(2) الصوفية نشأتها وتطورها، تأليف محمد العبدة، طارق عبد الحليم، ص48، ط4، 1422هـ-2001م، نقلاً عن كتاب ظهر الإسلام 220/4، معنى القطب: وقد يسمى غوثًا باعتبار النجاء الملهوف إليه، وهو عبارة عن الواحد الذي هو موضع نظر الله في كل زمان أعطاه الطلسم الأعظم من لدنه، وهو يسري في الكون وأعيانه الباطنة والظاهرة سريان الروح في الجسد. انظر: التعريفات، ص178.

(3) هذه هي الصوفية، تأليف: عبدالرحمن الوكيل، ص60، ط4، 1984م، دار الكتب، بيروت.

(4) التصوف الإسلامي، ص274.

(5) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله تعالى: "واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها"، 367/2، ح3445

(6) الصوفية: نشأتها وتطورها، ص49.

المطـلب الثــالث: الآثــار العــقدية للحــقيقة المحــمدية:

لقد رتب الذين تحدثوا عن شخصية الرسول بهذه الطريقة الفلسفية والغريبة عن روح الإسلام، رتبوا عليها آثاراً خطيرة من الناحية العقدية نذكر بإيجاز أثرين اثنين هما:

أولاً: وحدة الأديان:

فقد ذكر الحلاج – بناءً على قوله بالحقيقة المحمدية – أن الأديان واحدة ما دام الأنبياء جميعاً أخذوا من نور محمد وعلمه، يرى أن هذه الأديان فرضت فرضاً على الناس لا اختياراً منهم، وفي أخبار الحلاج ما يفيد ذلك الفهم، فقد ذكر عبد الله بن ظاهر الأزدي: "كنت أخاصم يهودياً في سوق بغداد، وجرى على لفظي أن قلت: يا كلب، فمر بي الحسين بن منصور "الحلاج" ونظر لي شزراً وقال: لا تنبح كلبك، وذهب سريعاً، فلما فرغت من المخاصمة قصدته، فدخلت عليه، فأعرض عني بوجهه، فاعتذرت إليه فرضي، ثم قال: يا بني، الأديان كلها لله ﷻ، شغل بكل دين طائفة لا اختياراً منهم بل اختياراً عليهم، فمن لام أحداً ببطلان ما هو عليه، فقد حكم أنه اختار ذلك لنفسه، وهذا مذهب القدرية، والقدرية هم مجوس هذه الأمة، واعلم أن اليهودية والنصرانية والإسلام، وغير ذلك من الأديان، هي ألقاب مختلفة، والمقصود منها لا تتغير ولا تختلف[1] وهذا ما وجدناه عند ابن عربي حيث يرتب قوله بوحدة الأديان على قوله بالحقيقة المحمدية أو الإنسان الكامل، ويرى أن العارف على التحقيق هو من يعبد الله في كل مجلى من مجالية فينظر إلى جميع الصور على أنها معبرة عن حقيقة واحدة هي "الله"[2].

تفكرت في الأديان جدً محققًا	فألفيتها أصلًا له شعب جمً
فلا تطلبن للمرء دينًا فإنه	يصد عن الوصل الوثيق وإنما
يطالبه أصل يعبُر عند	جميع المعالي والمعاني فيفهما[3]

ولا يخفى ما في هذه القصيدة عند الحلاج أو ابن عربي أو غيرهما، لا يخفى ما فيهما من تناقض حيث يجمع المعتقد في قلبه بين الحق والباطل، فضلاً عن أنها مبنية على أساس غير شرعي وهو الحقيقة المحمدية[4].

---

(1) انظر: ديوان الحلاج ويليه أخباره، ص126.

(2) في التصوف الإسلامي، أ.د. حسن الشافعي، أ.د. أبو اليزيد العجمي، ص156-157، ط1، 1428هـ-2007م، دار السلام للطباعة والنشر.

(3) ديوان الحلاج وطواسينه وأخباره، ص126.

(4) في التصوف الإسلامي، ص157.

ويقول الدكتور الجيلي: "وأما النصارى فهم أقرب من جميع الأمم الماضية إلى الحق فهم دون المحمديين وسببه أنهم طلبوا الله تعالى فعبدوه في عيسى ومريم وروح القدس، ثم قالوا بعدم التجزئة، ثم قالوا بقدمه على وجوده في محدث عيسى، وكل هذا تنزيه في تشبيه لائق بالجناب الإلهي لما حصروا ذلك في هؤلاء الثلاثة نزلوا عن درجة الموحدين(1).

ومن هذا القبيل ما روى الأمير شكيب أرسلان عن أحمد الشريف السنوسي(2) أن عمه الأستاذ المهدي كان يقول له: لا تحتقرن أحداً لا مسلماً ولا نصرانياً ولا يهودياً ولا كافراً، لعله يكون في نفسه عند الله أفضل منك، إذ أنت لا تدري كيف تكون خاتمتك. وهذا الكلام غير صحيح من الشيخ السنوسي لأننا عندما نحتقر الكافر نحتقره لكفره، وعندما يسلم نحترمه لإسلامه، ونحن لنا الظاهر، والله يتولى السرائر، ولكن أثر التصوف واضح فيه(3)، وبناءً على ذلك فوحدة الأديان خرافة كبيرة من خرافات الصوفية، وشطحة من شطحاتهم الكثيرة، لا فرق بين اليهودية والإسلام، ولا النصرانية وعبادة الشجر ولا عبادة البقر أو عبادة الحجر، ولكنها في نفس الوقت فكرة خطيرة لأنها تصادم سنن الله في الكون والحياة ومنها سنة الصراع بين الحق والباطل، بين الخير والشر، والجمع بين الكل على قدم المساواة هو خبث مركز لهدم الإسلام أو هذيان مقلد لا يدري ما يقول، وإلا فكيف نسوي بين من يعبد الله ﷻ وحده وبين من يعبد البقر، كيف نجمع بين الإيمان والكفر هذا لا يكون إلا ممن يؤمن بوحدة الوجود كابن عربي وتلامذته الذين يعتقدون أن كل موجود على الأرض صحيح ولا داعي للتفرقة، والله أوسع من أن يحصره عقيدة معينة فالكل مصيب، وأمّا عذاب أهل النار فهو مشتق من العذوبة(4).

ثانياً: ختم الولاية:

قد يبدو أن هذه الفكرة ليست لصيقة بالحقيقة المحمدية باعتبار بدايتها، كما جاءت عند الحكيم الترمذي (285هـ) وهذا صحيح؛ لأن فكرة الترمذي عن الحقيقة المحمدية لم تكن بالشكل

(1) الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل، تأليف: الشيخ عبدالكريم الجيلي، حقق نصوصه: أبوعبدالرحمن صلاح بن محمد بن عويضة، ص260، ط1، 1418هـ-1997م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

(2) من زعماء الحركة السنوسية ومن كبار السنوسيين أصحاب الطريقة المعروفة بهم في المغرب، ولد سنة 1284ه-1867م، التي ظهرت في ليبيا في العصر الحاضر ولهم مواقف ضد الاستعمار الإيطالي، حيث قاتلهم، رحل إلى الحجاز، فأكرمه الملك عبدالعزيز آل سعود، فأقام في ضيافته بالمدينة ضيفاً، ومكة شتاءً إلى أن توفي بالمدينة سنة 1351هـ-1933م، الأعلام، 1/134-135.

(3) انظر: دراسات في التصوف والفلسفة الإسلامية، ص61.

(4) انظر: الصوفية نشأتها وتطورها، ص50.

الفلسفي الذي ظهر عند الحلاج ومن بعده؛ لأن الترمذي يرى أنه في البدء كان الله و لا شيء معه فجرى الذكر، وظهر العالم، وجرت المشيئة، وأول ما جرى به الذكر محمد ﷺ، ثم ظهر في العلم علمه، ثم في المشيئة مشيئته، ثم في المقادير هو الأول، ثم في اللوح هو الأول، ثم في الميثاق هو الأول، وهو أول من تنشق عنه الأرض، وهو الأول في الشفاعة، فبهذا ساد الأنبياء جميعاً، وهو خاتم الأنبياء، وشفيع لهم وبيده لواء الحمد[1].

ولكن إذا عرفنا أن الترمذي بنى نظريته هذه على أثر يفيد أن الرسول لما قبض صيَّر الله في أمته أربعين صديقاً بهم تقوم الأرض من أهل بيته في الذكر لا في النسب حتى إذا انقرض عددهم وأتى وقت زوال الدنيا، بعث الله ولياً اصطفاه واجتباه وأعطاه ما أعطى الأولياء[2]، وخصه بخاتم الولاية، فيكون حجة الله يوم القيامة على سائر الأولياء، قارن الترمذي بين خاتم النبوة وخاتم الأولياء من حيث مكانتهما عند الله وأوليتهما في العلم، ووظيفتهما في حياة البشر، وعلامات معرفة كل منهما، فقال: إذا عرفنا ذلك أدركنا أن الأثر قد انتقل إلى كثيرين قبل ابن عربي كما يذكر الهجويري مما أضاع آثارهم التي دونوا فيهما آراءهم حتى وصل الأمر إلى ابن عربي[3].

"فإن ابن عربي جاء من بعد الترمذي ليزعم أنه خاتم الأولياء، وأنه أفضل من خاتم الأنبياء ﷺ وذلك بناءً على تفضيله الولي على النبي"[4].

وممن ادعى ختم الولاية لنفسه محمد عثمان الميرغني السوداني المتوفى سنة 1268هـ والذي كان يقول عن نفسه: "من رآني ومن رأى من رآني إلى خمسة لم تمسه النار: ولا حرج على ذلك فإن الله يختص برحمته من يشاء. وسمّى نفسه الختم، أو خاتم الأولياء، وجعل هذا الاسم أيضاً عَلَمَاً على طريقته الصوفية حيث أسماها (الختمية) أي خاتمة الطرق جميعاً[5]

وممن ادعى لنفسه ختم الولاية أيضاً أحمد التجاني الفاسي المتوفى 1230هـ. وهذا التجاني جاء ليكذب جميع الذين ادعوا الختمية من قبله على ألف سنة تقريباً. فإذا كان أول من ادعاها هو محمد بن علي بن الحسن الترمذي المسمى بالحكيم وكان ذلك في أواخر القرن الثالث

---

(1) في التصوف الإسلامي، ص157.

(2) المرجع السابق، ص157.

(3) المرجع نفسه، ص158.

(4) الفكر الصوفي، ص405.

(5) تاج التفاسير، للإمام محمد عثمان الميرغني، 4/1، دار الفكر للنشر.

الهجري فقد جاء التجاني في القرن الثالث عشر ليكذب جميع الذين أدعوا الختمية قبله وليزعم لنفسه أن الله قد ختم الأولياء به حقاً وصدقاً، وأن الرسول ﷺ قد بشره بذلك[1].

ثالثاً: الرد على ختم النبوة:

وقد تصدى الإمام ابن تيمية رحمه الله تعالى ورضي عنه لهذه المزاعم ومن ذلك قوله: "وكذا "خاتم الأولياء" لفظ باطل لا أصل له، وأول من ذكره محمد بن علي الحكيم الترمذي. وقد انتحله طائفة كل منهم يدعي أنه خاتم الأولياء: كابن عربي وبعض الشيوخ الضالين بدمشق وغيرها، وكل منهم يدعي أنه أفضل من النبي ﷺ من بعض الوجوه، إلى غير ذلك من الكفر والبهتان، وكل ذلك طمعا في رياسة خاتم الأولياء لما فاتتهم رياسة خاتم الأنبياء، وقد غلطوا؛ فإن خاتم الأنبياء إنما كان أفضلهم للأدلة الدالة على ذلك، وليس كذلك خاتم الأولياء، فإن أفضل أولياء هذه الأمة السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار، وخير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر رضي الله عنه ثم عمر رضي الله عنه ثم عثمان رضي الله عنه ثم علي رضي الله عنه وخير قرونها القرن الذي بعث فيه النبي ﷺ ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم وخاتم الأولياء في الحقيقة آخر مؤمن تقي يكون في الناس وليس ذلك بخير الأولياء، ولا أفضلهم، بل خيرهم وأفضلهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه ثم عمر: اللذان ما طلعت شمس ولا غربت على أحد بعد النبيين والمرسلين أفضل منهما"[2].

ومن زعم بأن التيجاني خاتم الأولياء بمعنى أفضلهم، فقد خالف كتاب الله وسنة رسوله ﷺ مع ما في هذا الادعاء من تزكية النفس، وقد نهى الله ورسوله عن ذلك، قال تعالى: ﴿...فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ...﴾ [النَّجم:32]، وإن خاتم الأولياء عند أهل السنة والجماعة هو آخر مؤمن تقي قبل قيام الساعة، ولا يلزم أن يكون أفضل من غيره من الأولياء، لأنه آخرهم، وإنما نشأ هذا الخطأ من تفضيلهم خاتم الأولياء على خاتم الأنبياء، فلما كان خاتم الأنبياء أفضلهم، قالوا بأن خاتم الأولياء أفضلهم. وفضل النبي ﷺ على سائر الأنبياء لم يكن لمجرد أنه خاتم الأنبياء، بل لدلالات أخرى دلت على ذلك[3].

---

(1) الفكر الصوفي، ص404، 408.

(2) الفتاوى، لابن تيمية، 242/6-243.

(3) المصدر السابق، 365/11.

المبحث الثالث

التبرك والتوسل والاستغاثة بالنبي ﷺ عند غلاة الصوفية

ويشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول: تعريف التوسل وأنواعه.

المطلب الثاني: نماذج من مقالات الصوفية التي تثبت توجههم إلى الرسول ﷺ بالتوسل والاستغاثة والاستعانة

المطلب الثالث: أهم شبه الصوفية لتجويز التوجه إلى النبي ﷺ بالتوسل والاستعانة من دون الله.

المطلب الرابع: حكم التوجه إلى الرسول بالتوسل والاستغاثة.

المبحث الثالث

جواز التبرك والتوسل والاستغاثة بالنبي ﷺ عند غلاة الصوفية

لقد غلا المتصوفة تجاه الرسول ﷺ غلواً شديداً حتى وصل بهم هذا الغلو إلى رفع الرسول ﷺ من منزلة العبودية إلى منزلة الألوهية فتوجهوا إليه بالتوسل والاستغاثة طالبين منه غفران الذنوب وتفريج الهموم والكروب ناسين الله ﷻ الذي قال في كتابه: ﴿**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ**﴾[البقرة:186] .

وقوله تعالى: ﴿**وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ**﴾ [غافر:60].

ومع أن الدعاء عبادة من أجل العبادات التي يتعبد الإنسان بها ربه فإن غلاة الصوفية دعوا الأنبياء والأولياء بحجة أنهم مقربون إلى الله ليكون لهم وسطاء بينهم وبين الله ﷻ وهذه هي نفس الحجة التي كان يحتج بها عباد الأوثان والأصنام الذين بعث إليهم الرسول محمد ﷺ سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلاً.

المطلب الأول: تعريف التبرك والتوسل والاستغاثة بالنبي:

أولًا: التبرك لغةً واصطلاحًا:

التبرك لغةً: برك، الباء والراء والكاف أصل واحد، وهو ثبات الشيء، وقيل من البرَكة: الزيادة والنماء، والتبريك: أن تدعو بالبركة[1]، وفي حديث أم سليم: **[فَحَنَّكَهُ وبَرَّكَ عَلَيْهِ، أَيْ: دَعَا لَهُ بِالْبَرَكَةِ]**[2].

التبرك اصطلاحًا: "هو طلب البركة، والتبرك بالشيء طلب البركة بواسطة "[3].

---

(1) انظر: معجم مقاييس اللغة، 227/1.

(2) النهاية في غريب الحديث، ص74.

(3) التبرك: أنواعه وأحكامه، تأليف: د. ناصر عبدالرحمن بن محمد الجديع، ص39، الناشر مكتبة الرشد، الرياض.

ثانيًا: التوسل لغةً واصطلاحًا

1- التوسل لغةً:

قال ابن فارس: "الوسيلة المنزلة عند المَلِك: والدرجة والقربة"[1].

يقال: وسل فلان يسل إلى الله وسيلة إذا عمل عملًا تقرب به عليه بالعمل، وسلا: رغب وتقرب. ووسّل فلان إلى الله، ووسلْت إليه، وتوسّل وسيلة توسيلاً؛ أي: عمل عملاً تقرّب به إليه، والواسل: الراغب إلى الله[2]، والوسيلة: في الأصل: ما يتوصل به إلى الشيء ويتقرب به وجمعها وسائل، يقال: وسل إليه وسيلة وتوسل[3].

وقال الراغب الأصفهاني: "الوسيلة التوصل إلى الشيء برغبة وهي أخص من الوصيلة لتضمينها لمعنى الرغبة، قال تعالى: ﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة:35] وحقيقة الوسيلة إلى الله تعالى: مراعاة سبيله بالعلم والعبادة وتحري مكارم الشريعة وهي كالقربة، والواسل: الراغب إلى الله تعالى"[4].

2- التوسل اصطلاحاً:

"هو التقرب إلى الله تعالى بطاعته وعبادته واتباع أنبيائه ورسله وبكل عمل يحبه الله ويرضاه"[5].

ويتضح مما تقدم أن التوسل لغةً وشرعًا لا يخرج عن معنى التقرب أو ما يؤول من القربى على الله تعالى بما يرضاه من الأعمال الصالحة[6].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "فالوسيلة التي أمر الله أن تبتغى إليه وأخبر عن ملائكته وأنبيائه أنهم يبتغونها إليه هي ما يتقرب إليه من الواجبات والمستحبات...وما ليس بواجب ولا مستحب لا يدخل في ذلك سواء كان محرماً أو مكروهاً أو مباحاً"[7].

---

(1) معجم مقاييس اللغة (110/6).

(2) انظر: القاموس المحيط، ص1379، ولسان العرب 866/11، والمعجم الوسيط ص1204.

(3) النهاية في غريب الحديث والأثر، تأليف: الإمام مجدالدين ابن الأثير، أشرف عليه: علي بن حسن الحلبي الأثري، ص972، ط2، 1423هـ، دار ابن الجوزي.

(4) المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، ت502هـ، ص523-524، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة – لبنان.

(5) التوصل إلى حقيقة التوسل، تأليف: محمد نسيب الرفاعي، ص14، ط3، دون دار نشر.

(6) المصدر السابق، ص14.

(7) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة، تأليف: شيخ الإسلام ابن تيمية، ص54، تحقيق: ربيع بن هادي عمير المدخلي.

وحقيقة الوسيلة كما مر معنا في قول الراغب الأصفهاني هي ما كان عن طريق العلم والعمل به مع تحري مكارم الشريعة.

ويؤيد هذا القول أن لفظة الوسيلة لم ترد في القرآن إلا مرتين ومعناها ما بيّنه المفسرون وهي طلب القربة من الله تعالى بالعلم والعمل بما يرغبه جلَّ وعلا[1].

فالموضع الأول: قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة:35][2].

والموضع الثاني: قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [الإسراء:57][3].

ثالثًا: تعريف الاستغاثة والاستعانة لغةً واصطلاحًا:

الاستغاثة لغةً: "من غَوَّثَ. واستغاثني فأغثته إغاثة ومغوثة"[4].

غوَّث الرجل: قال: واغوثاه، والاسم الغَوثُ والغواثُ. قال الفراء: أجاب الله دعاءه وغواثُه[5].

الاستغاثة اصطلاحًا: عبادة، وهي طلب الغوث وإزالة الشدة، والمسلم يطلب الغوث إذا نزلت به الشدة من الله[6].

الاستعانة لغةً: العَوْن: بمعنى الظهير للواحد، والجمع أعوان، واستعنته فأعانني، وتعاونوا أعان بعضهم بعضًا، وعاونه معاونةً وعوانًا، أعانة[7].

واستعنت: فأعانني وعاونني: وفي الدعاء: **[ربِّ أَعِنِّي وَلاَ تُعِنْ عَلَيَّ]**[8].

---

(1) انظر التوسل أنواعه وأحكامه، تأليف: محمد ناصر الدين الألباني، ص4، ط5، 1406هـ - 1986م، دون طبعة ودار نشر من موسوعة الرد على الصوفية.

(2) التوسل أنواعه وأحكامه، ص5.

(3) المصدر السابق، ص5.

(4) القاموس المحيط، ص222.

(5) انظر: الصحاح، 289/10.

(6) انظر: ما يجب أن يعرفه المسلم عن دينه، تأليف: عبدالله عبدالغني الخياط، ص9، دون طبعة ودار نشر.

(7) انظر: القاموس المحيط، ص1571.

(8) انظر: الصحاح، 2168/6-2169.

الاستغاثة اصطلاحًا: عبادة، وهي طلب العون والمساعدة، والمسلم يطلب العون إذا نزلت به الشدة من الله[1].

رابعاً: معنى التوسل والتبرك عند غلاة الصوفية.

انحرفت الصوفية في مسألة التوسل، وجانبوا الحق والصواب فيها، لعدم فهمهم لتوحيد العبادة، فلم يتخذوا الأسباب المشروعة في التوسل التي بينها الكتاب والسنة، ومشى عليها سلف الأمة ومن اقتفى أثرهم من أهل السنة والجماعة.

وقد كثرت نصوص القوم الدالة على انحرافهم في هذه المسألة نذكر بعضها:

يقول علوي اليمني: "التوسل: هو التوجه إلى الله في الدعاء بجاه النبي أو عبد صالح، مثاله: اللهم بجاه نبيك ﷺ اغفر لي ذنبي واستر لي عيبي..."[2].

ويرون أن "التوسل جائز بل مستحب بالأنبياء والأولياء والصالحين سواء كانوا أحياء أو أمواتاً. وهذا هو مذهب السلف"[3].

هذا هو معنى التوسل عند الصوفية، ويخلط القوم كذلك بينه وبين التبرك، ويسمى الجميع توسلاً كما يقول زين العابدين العلوي في أجوبته:

"س: هل التبرك بآثار الصالحين هو حقيقة التوسل بالذات؟

ج: نعم، التبرك بآثار الصالحين هو حقيقة التوسل بالذات، وأن هذا جائز ومشروع، إذ إن معناه أن يتخذ العبد وسيلة أي واسطة إلى الله في مقاصده لما ثبت لتلك الواسطة عند الله من الفضل"[4].

ومما تقدم يتبيّن الخلط بين معنى التبرك والتوسل عند غلاة الصوفية، وجهلهم بمعنى كلٍ منهما.

---

(1) انظر: ما يجب أن يعرفه المسلم عن دينه، ص8.

(2) انتبه دينك في خطر، للمؤلف: علوي اليمني، ص50، الناشر: دار المتنبي، الأردن، دون طبعة.

(3) انتبه دينك في خطر، ص50.

(4) الأجوبة الغالية في عقيدة الفرقة الناجية، تأليف: السيد الحبيب زين العابدين العلوي، ص50، ط1، دون دار نشر.

الفرق بين التوسل والتبرك[1]:

يتلخص الفرق بينهما بما يلي:

1- أن التبرك يرجى به شيء من الخير الدنيوي فحسب، بخلاف التوسل فيرجى به أي شيء من الخير الدنيوي والأخروي.

2- أن التبرك هو التماس الخير العاجل، بخلاف التوسل الذي هو مصاحب للدعاء ولا يستعمل إلا معه.

خامساً: تعريف الاستغاثة والاستعانة عند غلاة الصوفية:

الاستغاثة اصطلاحًا:

الاستغاثة: فهي طلب الإغاثة ممن يملكها على وجه الحقيقة وهو الله ﷻ، أو ممن أعطاهم الله بحوله وقوته القدرة عليها، وهم أنبياؤه وأولياؤه[2].

الاستعانة: فهي طلب العون ممن يملكه على وجه الحقيقة وهو الله تبارك وتعالى أو ممن أعطاهم الله بمنه وكرمه القدرة عليها، وهم أنبياؤه وأولياؤه[3].

وتعريف المؤلف للاستغاثة والاستعانة ينقسم إلى قسمين:

فالقسم الأول هو الاستغاثة بالله ﷻ، وهذا حق لا مرية فيه وهذا هو الأصل، قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر:60]، وقال تعالى: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ أَئِلَهٌ مَعَ اللهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل:62].

أما القسم الثاني فقوله في تعريف الاستغاثة: "أو ممن أعطاهم الله بحوله وقوته القدرة عليها، وهم أنبياؤه وأولياؤه"، وقوله في تعريف الاستعانة: "أو ممن أعطاهم الله بمنه وكرمه القدرة عليها وهم أنبياءه واولياؤه"[4].

---

(1) انظر التوسل أنواعه وأحكامه، ص 113.

(2) الموسوعة اليوسفية، للشيخ يوسف خطار، ص95، دون طبعة ودار نشر.

(3) الموسوعة اليوسفية، ص95.

(4) الرد على مبحث التوسل والاستغاثة والاستعانة من الموسوعة اليوسفيــة: لأبي عثمان الوادي النجدي، ص5-6، www.soufia/net

فهذا ينقسم أيضاً إلى قسمين[1] فالأول فيما يقدرون عليه في حال حياته مثل الاستقراض منهم أو استنفارهم لغزو العدو أو طلب الدعاء منهم او كما وقع لموسى عليه السلام قال تعالى: ﴿ **وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ** ﴾ [القصص:15] فهذا النوع لا خلاف به بل هو واقع كما دلت عليه النصوص.

أما القسم الثاني إن كان يقصد المؤلف بالعطية الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله ﷻ وهي خصائص الربوبية مثل غفران الذنب، وطلب الولد والرزق والعافية وشفاء المرض منهم فهذا الاستغاثة من الشرك الأكبر الذي نحذر الأمة من الوقوع به فكيف يكون الله ﷻ أعطاهم تلك الأمور، فالمؤلف يحتاج إلى تدعيم كلامه فما هو إلا مجرد دعوة لترويج الشرك على عوام الأمة، قال تعالى: ﴿ **قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ** ﴾ [الأعراف:29]، وقال: ﴿ **فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ** ﴾[غافر:14].

ويزداد الأمر سوء إذا كان من يستغيثون به ميت منذ قرون أو حي غائب، وليس لديهم دليل شرعي على جواز هذا الفعل.

وتعريفه للاستغاثة والاستعانة عليه ملاحظات هامة وهي:

1- عطف الأولياء على الله تعالى حيث جعلهم يغيثون المضطرين مثل الله تعالى.

2- الافتراء على الله ﷻ، من أين لكم أن الله تعالى أعطى أولياءكم حق إغاثة الناس ﴿ **هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ** ﴾ [البقرة:111]، فهذه دعوى منكم بأن الله تعالى صرّف أوليائكم بالكون، ولا شك ولا ريب أن هذا القول يجعل الناس يتعلقون بالمخلوقين من دون الخالق والعياذ بالله وكما هو واقع عند الصوفية وغيره[2].

(1) المصدر السابق، ص6.

(2) انظر: الرد على مبحث التوسل والاستغاثة من الموسوعة اليوسفية، ص6.

3- قياس معجزات الأنبياء وكراماتهم على ما ينسبونه إليهم باطل، وذلك لأن الأنبياء عليهم السلام أصحاب دعوة فلابد من المعجزة، وثانياً الله أخبرنا بتلك المعجزات، فكيف تساوون الأنبياء بأوليائكم[1].

وقوله: "أو ممن أعطاهم الله بحوله وقوته القدرة عليها، وهم أنبياؤه وأولياؤه" هذا يخالف ما جاءت به السنة النبوية، فعن ابن عباس قال: **[كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا فَقَالَ يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ احْفَظْ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلْ اللَّهَ وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ رُفِعَتْ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ]**[2].

ولم يأمر النبي ﷺ ابن عباس وحده أن يستعين بالله ﷻ، ولو أن النبي ﷺ أوصى ابن عباس وحده لكفى لأنه الخطاب للواحد يعني الخطاب للأمة، بل كان الرسول ﷺ يأمر قواد السرايا حين يبعثهم فيقول: **[فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَقَاتِلْهُمْ]**[3].

ومما مر يتبين الفرق الواضح الجلي بين الاستعانة والاستغاثة، فعند أهل السنة والجماعة لا يستعان ولا يستغاث إلا بالله ﷻ، أما عند غلاة الصوفية فجعلوا الاستعانة والاستغاثة من حق الأولياء وهذا باطل.

سادساً: أنواع التوسل:

يقسم العلماء التوسل إلى قسمين هما:

أولاً: التوسل المشروع.

ثانياً: التوسل الممنوع.

---

(1) انظر الرد على مبحث التوسل والاستغاثة، ص 7.

(2) سنن الترمذي، في سننه، حديث صحيح، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ، ص566-567.

(3) صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير (المغازي)، باب تأمير الإمام الأمراء على البعث ووصيته إياهم بآداب الغزو وغيرها، ص688، ح1731.

أولاً: التوسل المشروع وأنواعه:

التوسل المشروع هو الذي يكون عن طريق طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ بفعل الطاعات واجتناب المحرمات، وعن طريق التقرب إلى الله بالأعمال الصالحة وسؤاله بأسمائه الحسنى وصفاته العلا، فهذا هو الطريق الموصل إلى رحمه الله ومرضاته (1).

ومما تقدم يتضح أن التوسل المشروع الذي دلت عليه نصوص الكتاب والسنة ثلاثة أنواع وهي:

1- التوسل إلى الله تعالى به وبأسمائه وصفاته:

ودليله من القرآن قوله تعالى: ﴿ **وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾ [الأعراف:180].

وهذه الآية تحض على التوسل بأسماء الله الحسنى، وأيضًا على التوسل بصفاته العلى، ولأن هذا النوع من أعلى أنواع التوسل المشروع وأقرب أسباب الإجابة لدعاء الداعي، فجلت وعزت ذاته عن ذوات المخلوقين وتعالت أسماؤه وتنزهت عن أسماء المخلوقين، وتقدست صفاته وتسامت عن صفات المخلوقين(2).

عن أنس بن مالك ﷺ أنه كان مع رسول الله ﷺ جالسًا ورجلٌ يصلي، ثم دعا: [**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْمَنَّانُ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ إِنِّي أَسْأَلُكَ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِأَصْحَابِهِ تَدْرُونَ بِمَا دَعَا قَالُوا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ دَعَا اللَّهَ بِاسْمِهِ الْعَظِيمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى**](3).

فمن خلال هذا الحديث يتضح أن أسماء الله الحسنى هي أقرب التوسلات استجابة وأخصها بذلك اسم الله الأعظم.

فقد شهد رسول الله ﷺ للصحابي الذي دعا بذلك أنه دعى باسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى(4).

---

(1) انظر: حكم التوسل بالأولياء والصالحين، قرأها وراجعها، د. ناصر بن عبد الكريم العقل، دار الوطن للنشر.
(2) التوصل إلى حقيقة التوسل، ص19.
(3) سنن النسائي، كتاب السهو، باب الدعاء بعد الذكر، ص 211، ح 1300.
(4) التوصل إلى حقيقة التوسل، ص28.

أما عن دليله من السنة:

ثبت عن النبي ﷺ أنه كان يقول: [**إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ كَقَلْبٍ وَاحِدٍ يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ**][(1)].

وقوله ﷺ في دعائه: [**أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي وَنُورَ صَدْرِي وَجِلَاءَ حُزْنِي**][(2)].

2- التوسل إلى الله بدعاء العبد الصالح في حياة الرسول ﷺ :

ومن الأدلة على التوسل بدعاء العبد الصالح قوله تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّابًا رَحِيمًا**﴾ [النساء:64]، فهذه الآية الكريمة توضح أن الله ﷻ هو التواب الرحيم مهما اقترف عباده من الذنوب والخطايا ثم رجعوا إليه وأنابوا فإنه يتوب عليهم ويغفر لهم ذنوبهم، ففي هذه الآية يدلهم الله على هذه الأسباب فإنه تعالى يخبر في محكم آياته أنه لم يرسل إلى الناس من رسول إلا ليطاع ويستجاب لرسالته التي أرسلها إليهم فمن أطاع له الدرجات العلا ومن ظلم نفسه بالمعصية فقد فتح الله له باب العودة.

وذلك بأن يحضروا إلى الرسول الأعظم ﷺ ويستغفروا الله في مجلسه ثم يسألوه ﷺ أن يستغفر لهم أيضًا وهكذا فإن استغفارهم ربهم ثم استغفار الرسول لهم يكونان سببًا في توبته تعالى عليهم ورحمته بهم[(3)].

وكان الصحابة ﷺ يفعلون ذلك مع النبي ﷺ في حياته، ومع صالحيهم بعد موته. ودليل ذلك ما جاء في صحيح البخاري أنه حصل جدب في عهد عمر بن الخطاب ﷺ حتى سمي ذلك العام بعام الرمادة، فخرج بهم عمر ﷺ إلى المصلى وقال: [**اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا فَتَسْقِينَا، وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّنَا فَاسْقِنَا»، قَالَ: فَيُسْقَوْنَ**][(4)].

---

(1) صحيح مسلم، كتاب القدر، باب تصريف الله تعالى القلوب كيف شاء، ص1023، ح 2654.

(2) مسند الإمام أحمد، 391/1، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، 397/1، ح199.

(3) التوصل إلى حقيقة التوسل، ص94.

(4) صحيح البخاري، كتاب الاستسقاء، باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطوا، 238/1، ح1010.

ففي هذا الحديث بيان لمعنى التوسل الذي فعله الصحابة مع النبي ﷺ في حياته ومع صالحيهم من بعده ﷺ حيث جاء في آخر الأثر: [قم يا عباس فادع الله لنا]؛ أي أنهم توسلوا بدعاء العباس لا بذاته، لكن غلاة الصوفية لم يفرقوا هذا المعنى للتوسل مما جعلهم يتوسلون بذوات المخلوقين ويصرفون لهم كثيراً من العبادات كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

3- التوسل بالأعمال الصالحة:

وهي الأعمال التي يفعلها العبد تقرباً إلى الله تعالى، يتوسل بها إلى ربه جل وعلا لينال مطلوبه منه.

ودليله ما ثبت في الصحيحين عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **[انْطَلَقَ ثَلاَثَةُ رَهْطٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَتَّى أَوَوْا الْمَبِيتَ إِلَى غَارٍ فَدَخَلُوهُ فَانْحَدَرَتْ صَخْرَةٌ مِنْ الْجَبَلِ فَسَدَّتْ عَلَيْهِمْ الْغَارَ فَقَالُوا إِنَّهُ لاَ يُنْجِيكُمْ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ إِلاَ أَنْ تَدْعُوا اللَّهَ بِصَالِحِ أَعْمَالِكُمْ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ اللَّهُمَّ كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ وَكُنْتُ لاَ أَغْبِقُ قَبْلَهُمَا أَهْلًا وَلاَ مَالًا فَنَأَى بِي فِي طَلَبِ شَيْءٍ يَوْمًا فَلَمْ أُرِحْ عَلَيْهِمَا حَتَّى نَامَا فَحَلَبْتُ لَهُمَا غَبُوقَهُمَا فَوَجَدْتُهُمَا نَائِمَيْنِ وَكَرِهْتُ أَنْ أَغْبِقَ قَبْلَهُمَا أَهْلًا أَوْ مَالًا فَلَبِثْتُ وَالْقَدَحُ عَلَى يَدَيَّ أَنْتَظِرُ اسْتِيقَاظَهُمَا حَتَّى بَرَقَ الْفَجْرُ فَاسْتَيْقَظَا فَشَرِبَا غَبُوقَهُمَا اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ فَانْفَرَجَتْ شَيْئًا لاَ يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ وَقَالَ الآخَرُ اللَّهُمَّ كَانَتْ لِي بِنْتُ عَمٍّ كَانَتْ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيَّ فَأَرَدْتُهَا عَنْ نَفْسِهَا فَامْتَنَعَتْ مِنِّي حَتَّى أَلَمَّتْ بِهَا سَنَةٌ مِنْ السِّنِينَ فَجَاءَتْنِي فَأَعْطَيْتُهَا عِشْرِينَ وَمِائَةَ دِينَارٍ عَلَى أَنْ تُخَلِّيَ بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِهَا فَفَعَلَتْ حَتَّى إِذَا قَدَرْتُ عَلَيْهَا قَالَتْ لاَ أُحِلُّ لَكَ أَنْ تَفُضَّ الْخَاتَمَ إِلاَ بِحَقِّهِ فَتَحَرَّجْتُ مِنْ الْوُقُوعِ عَلَيْهَا فَانْصَرَفْتُ عَنْهَا وَهِيَ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ وَتَرَكْتُ الذَّهَبَ الَّذِي أَعْطَيْتُهَا اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ فَانْفَرَجَتْ الصَّخْرَةُ غَيْرَ أَنَّهُمْ لاَ يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ مِنْهَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ وَقَالَ الثَّالِثُ اللَّهُمَّ إِنِّي اسْتَأْجَرْتُ أُجَرَاءَ فَأَعْطَيْتُهُمْ أَجْرَهُمْ غَيْرَ رَجُلٍ وَاحِدٍ تَرَكَ الَّذِي لَهُ وَذَهَبَ فَثَمَّرْتُ أَجْرَهُ حَتَّى كَثُرَتْ مِنْهُ الأَمْوَالُ فَجَاءَنِي بَعْدَ حِينٍ فَقَالَ يَا عَبْدَ اللَّهِ أَدِّ إِلَيَّ أَجْرِي فَقُلْتُ لَهُ كُلُّ مَا تَرَى مِنْ أَجْرِكَ مِنْ الإِبِلِ وَالْبَقَرِ وَالْغَنَمِ وَالرَّقِيقِ فَقَالَ يَا عَبْدَ اللَّهِ لاَ تَسْتَهْزِئُ بِي**

فَقُلْتُ إِنِّي لاَ أَسْتَهْزِئُ بِكَ فَأَخَذَهُ كُلَّهُ فَاسْتَاقَهُ فَلَمْ يَتْرُكْ مِنْهُ شَيْئًا اللَّهُمَّ فَإِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ فَانْفَرَجَتْ الصَّخْرَةُ فَخَرَجُوا يَمْشُونَ][1].

ويتضح من الحديث أن هؤلاء الرجال المؤمنين الثلاثة حينما اشتد بهم الكرب، وضاق بهم الأمر، ويئسوا من أن يأتيهم الفرج من كل طريق إلا طريق الله تعالى وحده، فلجأوا إليه، فتوسلوا إليه سبحانه بتلك الأعمال؛ ورجوا الله جل شأنه أن يفرج عنهم ضائقتهم، ويخلصهم من محنتهم، فاستجاب سبحانه دعاءهم[2].

يقول الشيخ الألباني رحمه بعد أن ذكر هذه الأنواع الثلاثة للتوسل المشروع: "وأما ما عدا هذه الأنواع من التوسلات ففيه خلاف، والذي نعتقده وندين الله تعالى به أنه غير جائز، ولا مشروع، لأنه لم يرد فيه دليل، تقوم به الحجة...وقد رأينا في قضية التوسل التي نحن بصددها الحق مع الذين حظروا التوسل بمخلوق، ولم نر لمجيزيه دليلاً صحيحاً يعتد به، ونحن نطالبهم بأن يأتونا بنص صحيح صريح من الكتاب أو السنة فيه التوسل بمخلوق، وهيهات أن يجدوا شيئاً يؤيد ما يذهبون إليه، أو يسند ما يدعونه، اللهم إلا شبهاً واحتمالات"[3].

ثانياً: التوسل الممنوع وأنواعه:

التوسل الممنوع: "هو تقرب العبد إلى الله تعالى بعمل مخالف لكتابه ولسنة نبيه ﷺ"[4].

ومن أنواع التوسل الممنوع الذي وقعت فيه الصوفية ما يأتي:

1- التوسل بالذوات[5]:

وهو: جعل التوسل إلى الله تعالى بذات وشخص المتوَسل به.

من صوره: كأن يقول الشخص: كون فلان من عبادك الذين لهم حق عليك بوعدك الصادق أجب دعائي، ومن صوره أيضًا: بحق عمل فلان الصالح تقبل دعائي، وأيضًا بحق محبة فلان".

---

(1) صحيح البخاري، كتاب الإجارة، باب من استأجر أجيراً فترك أجره فعمل فيه المستأجر فزاد فيه أو من عمل في مال غيره فاستفضل، 2/536-537، ح 2272، ومسلم في صحيحه، كتاب التوبة، باب قصة أصحاب الثلاثة والتوسل بصالح الأعمال، ص1343، برقم 2743.

(2) التوسل: أنواعه وأحكامه، ص26-27.

(3) المصدر السابق، ص31.

(4) التوصل إلى حقيقة التوسل، ص121.

(5) انظر رسالة الشرك ومظاهره، لمبارك بن محمد الميلي، ص311، تحقيق: أبي عبدالرحمن محمود، ط1، 1422هـ - 2001م، دار الراية للنشر.

ومن الذين أجازوا التوسل بذات النبي ﷺ وبالشيخ التجاني، التجانيون من نصوصهم الدالة على ذلك حيث قال مؤلف "رماح حزب الرحيم" مشيراً إلى كيفية التوسل بالنبي ﷺ فقال: "وأما كيفية التوسل به ﷺ وبجده ﷺ، فهي أنك مهما أردت حاجة من حوائج الدنيا والآخرة، فصلِّ على رسول الله ﷺ بصلاة الفاتح لما أغلق مائة، واهدِ ثوابها لرسول الله ﷺ بنية قضاء الحاجة التي تريدها، ثم تقول: يا رب توسلت إليك بحبيبك ورسولك وعظيم القدر عندك سيدنا محمد ﷺ في قضاء الحاجة التي أريدها مائة مرة. ثم تقول: أسألك وأتوجه إليك بجاه القطب الكامل سيدنا أحمد التجاني وجاهه عندك أن تعطيني كذا وكذا، وتسمى حاجتك بعينها عشرًا"[1].

قال ابن أبي العز رحمه الله عن هذا التوسل: " وأي مناسبة في هذا وأي ملازمة؟ وإنما هذا من الاعتداء في الدعاء، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿**ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ**﴾[الأعراف:55]. وهذا ونحوه من الأدعية المبتدعة، ولم ينقل عن النبي ﷺ، ولا عن الصحابة، ولا عن التابعين، ولا عن أحدٍ من الأئمة ﷺ، وإنما يوجد مثل هذا في الحروز[2] والهياكل التي يكتب بها الجهال والطرقية، والدعاء من أفضل العبادات، والعبادات مبناها على السنة والاتباع، لا على الهوى والابتداعِ"[3].

حكم التوسل بالذوات عند غلاة الصوفية:

جوّز كثير من الصوفية التوسل بالذوات، والأدلة التي استدلوا بها على ذلك إما ضعيفة أو موضوعة.

منها ما قاله زين العابدين العلوي الحضرمي: "التوسل بأحباب الله من النبيين عليهم الصلاة والسلام والصالحين ﷺ جائز بإجماع من يعتد بإجماعهم من علماء المسلمين، بل هو سبيل المؤمنين وطريق عباد الله المرضيين، ولم يزل معروفاً سلفاً وخلفاً ومعلوماً لدى كل دين"[4].

---

(1) مختصر التجانية: دراسة لأهم عقائد التجانية على ضوء الكتاب والسنة، تأليف: د. علي بن محمد آل دخل الله، ص46، ط1، 1423هـ-2002م، جميع الحقوق محفوظة لدار العاصمة.

(2) الحِرز: بالكسر العُوذَةُ، والموضع الحصين. القاموس المحيط، ص 653.

(3) شرح العقيدة الطحاوية، ص237.

(4) الأجوبة الغالية في عقيدة الفرقة الناجية، ص53.

ولا يرى هذا الصوفي التوسل الشركي شركاً بل يقول في أجوبته عن ما يراه شركاً[1]: "لا عبرة بمن شذ وفارق الجماعة فزعموا أن التوسل شرك أو حرام، وحكموا على المتوسلين بكونهم مشركين، وهذا واضح البطلان؛ لأنه يؤدي إلى إجماع معظم الأمة على الحرام، أو الإشراك وذلك محال لثبوت عصمة هذه الأمة المحمدية من الاجتماع على الضلالة بإخبار رسول الله ﷺ حيث قال: **[إِنَّ اللَّهَ لَا يَجْمَعُ أُمَّتِي أَوْ قَالَ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ عَلَى ضَلَالَةٍ وَيَدُ اللَّهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ وَمَنْ شَذَّ شَذَّ إِلَى النَّارِ]**[2]".

واستدل – بزعمه – للتوسل الممنوع من الكتاب العزيز حيث قال: أما أدلة الكتاب عليه فقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الوَسِيلَةَ...**﴾ [المائدة:35] فهذا أمر من الله بابتغاء الوسيلة وهي كل ما جعله الله سبباً للزلفى عنده ووصله إلى قضاء الحوائج منه[3].

حكم التوسل بالذات:-

وأما عن حكم التوسل بالذات عند أهل السنة والجماعة: إن التوسل بذات وشخص المتوسل به إلى الله تعالى عمل غير شرعي لأنه لم يأمر به الله ولا بلغه رسول الله ﷺ[4].

"ومعلوم أن التوسل بالموتى بطلب الدعاء منهم توسل باطل، لا يحلن ولا يجوز"[5]

ولأنه كما تقدم لم يفرق القوم بين الشرك والتوحيد وسبب ذلك جهلهم بمعنى العبادة التي خلقوا لها، وجهلهم بما يضادها؛ لذا أكثروا من انتقاد أهل التوحيد الذين ينصحونهم بالعودة إلى الحق وترك ما هم عليه من الباطل.

وأما ادعاءات القوم بأنهم الجماعة وأن من خالفهم فقد فارق الجماعة فدعوى يتضح بطلانها لكل مسلم عرف التوحيد.

---

(1) الأجوبة الغالية، ص53.
(2) سنن الترمذي، كتاب الفتن، باب ما جاء في لزوم الجماعة، ص490، ح2167، حديث صحيح.
(3) المصدر السابق، ص54.
(4) التوصل إلى حقيقة التوسل، ص123.
(5) فتاوى أركان الإسلام، لفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، جمع وترتيب، فهد بن ناصر إبراهيم السلمان، ص 182، ط1، 1422هـ، دار الثريا للنشر.

2. توسل غلاة الصوفية بجاه النبي ﷺ:

وجاء في الموسوعة اليوسفية "ثم إن المسلم عندما يتوسل أو يستغيث بالنبي ﷺ أو بالرجل الصالح إنما يتوسل به لما يعلم من كرامته وجاهه عند الله ﷻ ولاعتقاده بأنه يمكن أن يكون قد أعطى القدرة على الإمداد والإعانة"[(1)].

أن التوسل بالذوات لاحتمال أن الله تعالى أعطاهم القدرة على الإمداد والإعانة، وهل تعقد العقائد بمثل هذا الظن ((بأنه يمكن أن يكون قد أعطى القدرة))، فأين ذهب اليقين وأين ذهب التواتر ؟؟!! نعم لرسولنا ﷺ عند الله ﷻ جاه، ولكن صاحب الشريعة لم يأمرنا بالاستغاثة به بعد موته[(2)].

"فالإنسان عندما يتوسل إلى الله تعالى بجاه نبي أو ولي فإن ذلك يعني أنه توسل إلى الله تعالى بفعل من أفعاله خلقه لذلك النبي وسماه جاها، وبصفة من صفاته سماها اختصاصا، وهذا من التوسل إلى الله بصفاته وأفعاله وهو مجمع على جوازه عند أهل الحق"[(3)].

وهذا تناقض آخر، فلو سلمنا له صحة هذا الاستنباط، فلماذا الاستغاثة والتوسل بالمخلوقين في ظلمات البحر، لماذا لا تفصحون فتقولون: يا من أعطاه الجاه للولي الفلاني نجني من ظلمات البحر ؟! وهذا أيضًا يناقض كلامه في الفقرة الماضية فالمؤلف علل التوسل بالذوات بقوله: بأنه يمكن أن يكون قد أعطى القدرة، والآن يقول التوسل بالذوات هو توسل بصفات وأفعال الله ﷻ[(4)].

"ونحن إذ نظرنا إلى كل فرد من أفراد المتوسلين والمستغيثين بالأنبياء والصالحين لا نجد في نفس أحد منهم إلا التقرب إلى الله تعالى لقضاء حاجاتهم الدنيوية والأخروية مع علمهم بأنهم كلهم عبيد لله تعالى فقلوبهم موقنة أنه ﷻ الفعال المطلق المستحق للتعظيم بالأصالة لا شريك له ولا رب ولا موجد سواه، ولا نافع ولا ضار إلا هو"[(5)].

وإذا كان الأمر[(6)] هكذا فلماذا يتركون الفعال المطلق المستحق التعظيم بالأصالة ويتجهون لمن ليس بيده شيء أي الفرع ؟؟!!، وكيف إذا انضاف إلى هذا مخالفة صريحة لكتاب

(1) الموسوعة اليوسفية، ص96.
(2) الرد على مبحث التوسل والاستغاثة والاستعانة، ص11.
(3) الموسوعة اليوسفية، ص97.
(4) انظر: الرد على مبحث التوسل والاستغاثة والاستعانة، ص11.
(5) الموسوعة اليوسفية، ص97.
(6) انظر: الرد على مبحث التوسل والاستغاثة والاستعانة، ص11-12.

الله، قال الله تعالى: ﴿ هُوَ الْحَيُّ لاَ إِلَهَ إِلاَ هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[غافر:65]، وقال الله تعالى : ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر : 60]، فالله يأمرنا بدعوته، والمؤلف هداه الله للحق يدعو لدعاء غيره من المخلوقين فكيف نرضى بهم بدلا.

وهنا يتكلم باسم جميع المستغيثين والمتوسلين وكأنه دخل في نياتهم، ثم أمر النية نرجعه إلى الله عز وحل، فنحن مأمورون بأن نأخذ الناس على الظاهر فقد أنب النبي ﷺ حبه أسامة ابن زيد عندما لم يأخذ بظاهر ذلك الرجل أخرج البخاري في صحيحه عن أسامة بن زيد رضي الله عنه يقول: **[بعثنا رسول الله ﷺ إلى الحرقة فصبحنا القوم فهزمناهم ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلاً منهم فلما غشيناه قال: لا إله إلا الله، فكف الأنصاري عنه فطعنته برمحي حتى قتلته، فلما قدمنا بلغ النبي ﷺ فقال: يا أسامة أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله، قلت: كان متعوذاً فما زال يكررها حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم**[1]، وكما قبل النبي ﷺ إسلام المنافقين ووكل سرائرهم إلى الله ﷻ، فإذا رأينا أمراً ظاهره الشرك أو أقل ما يقال فيه إن ظاهره الشرك، فلا بد من إنكاره، فكيف بمن إذا اشتد به البحر وأيقن بالهلاك استغاث بالعيدروس أو الجيلاني.[2]

حكم التوسل بجاه النبي ﷺ:

هذا النوع من التوسل ليس بجائز على الراجح من قول أهل العلم، فيحرم التوسل بجاه النبي ﷺ فلا يقول الإنسان: "اللهم إني أسألك بجاه نبيك كذا وكذا وذلك لأن الوسيلة لا تكون وسيلة إلا إذا كان لها أثر في حصول المقصود وجاه النبي ﷺ بالنسبة للداعي ليس له أثر في حصول المقصود[3].

وأما أيسر الأمر على الداعي إذا قال: "اللهم إني أسألك بإيماني بك وبرسولك كذا وكذا بدلًا من أن يقول: أسألك بجاه نبيك"[4].

---

(1) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب بعث النبي ﷺ أسامة بن زيد إلى الحرقات من جهينة، 79/3، ح4269.

(2) الرد على مبحث التوسل والاستغاثة والاستعانة، ص11-12.

(3) انظر: المجموع الثمين من فتاوى فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، فتاوى العقيدة، جمع وترتيب: فهدالدين بن ناصر السليمان، 81/1، ط3، 1411هـ، دار الوطن للنشر.

(4) المصدر السابق، ص82.

وأما التوسل المشروع فيكون بالإيمان بالنبي ﷺ واتباعه في حياته وبعد مماته والتوسل بدعائه في حال حياته فقط، فإن ذلك من الأعمال الصالحة التي يجوز أن يتوسل العبد بها إلى ربه ﷻ؛ وأما التوسل بجاه النبي فهذا لا يجوز لا في حال حياته، ولا بعد مماته لأنها من البدع المستحدثة وهي مخالفة لدين الله تعالى.

المطلب الثاني: نماذج من مقالات الصوفية التي تثبت توجههم إلى الرسول ﷺ بالتوسل والاستغاثة والاستعانة.

ومن المتصوفة الذين غلوا غلواً مفرطاً في مدح الرسول ﷺ عبد الرحيم البرعي[1]:

وإذا نظرنا في القصائد التي مدح بها الرسول ﷺ نرى أنه قد غلا فيها غلواً شديداً زائداً عن الحد حيث تجاوز بالرسول منزلة العبودية ورفعه إلى منزلة الألوهية.

وإليك نماذج من هذه المدائح البرعية:

فقد قال مادحاً للرسول ﷺ ومتوجهاً إليه بالدعاء والاستغاثة سائلاً إياه أن يأخذ بيده وينجيه مما هو فيه من الكرب والمصائب:

فخذ بيدي وجد بالعفو يا من ... إذا ناديته لبى سريعا
وقل عبد الرحيم غداً رفيقي ... وما يخشى رفيقك أن يضيعا
يا سيدي يا رسول الله خذ بيدي ... في كل هول من الأهوال ألقاه
إن كان زارك قوم لم أزر معهم ... فإن عبدك عاقته خطاياه
والعفو أوسع عن تقصير من قعدت ... به الذنوب فلم تنهض مطاياه
يا صاحب القبر المقيم بيثرب ... يا منتهى أملي وغاية مطلبي
يا من نرجيه لكشف عظيمة ... ولحل عقد ملتو متصعب
يا من يجود على الوجود بأنعم ... خضر تعم عموم صوب الصيب
يا غوث من في الخافقين وغيثهم ... وربيعهم في كل عام مجدب
يا رحمة الدنيا وعصمة أهلها ... وأمان كل مشرق ومغرب[2]

---

(1) عبد الرحيم البرعي هو عبدالرحيم البرعي الهاجري اليمني. انظر ترجمته في: "البدر الطالع"، للشوكاني، 212/2.

(2) ديوان البرعي، تأليف: عبدالرحيم بن أحمد البرعي، ص25، دون طبعة ودار نشر، مكتبة المصطفى الالكترونية.

وإذا نظرنا إلى هذه الأبيات التي قال بها البرعي، يتضح لنا بجلاء أنها تحتوي على التوجه إلى النبي ﷺ بالدعاء وطلب الاستغاثة منه بأن ينجيه من الهموم والكروب التي تصيبه في حياته ووصفه أيضًا بأنه يجود بالنعم لكل ما في الكون، وأنه مغيث لكل من في الخافقين، وأنه أمان لكل من في المشرق والمغرب، فهو بتلك الأوصاف تجاوز الحد في حق النبي ﷺ بأنه رفعه من منزلة البشرية إلى منزلة الألوهية من التوجه إليه بالدعاء والاستغاثة، ووصفه بأوصاف لا تليق إلا بالله ﷻ.

ونقل لنا النبهاني أبياتاً عديدة عن كثير من الذين غلوا في الرسول ﷺ وتجاوزوا به حد البشرية والعبودية إلى منزلة الألوهية بتوجههم إليه بالدعاء والاستغاثة ووصفه بأوصاف لا تليق إلا بالله ﷻ فمنها:

قال النبهاني:

يا ملاذي يا منجدي يا منائي   يا معاذي يا مقصدي يا رجائي

يا نصيري يا عمدتي يا مجيري   يا خفيري يا عدتي يا شفائي

أدرك أدرك أغث أغث يا شفيعي   عند ربي واعطف وجد بالرضاء

أنت عوني وملجأي وغياثي   وجلا كربتي وأنت غنائي[1]

والخلاصة بعد إيرادنا تلك الأبيات الشعرية عن المتصوفة ومن سار على نهجهم الذين مدحوا فيها الرسول وتجاوزا فيه الحد حيث غلوا في الرسول ورفعوه إلى منزلة الألوهية والربوبية نستطيع أن نقول: إن المتصوفة قد وقعوا في انحراف عقدي خطير جداً حيث توجهوا إلى الرسول بالدعاء والاستغاثة طالبين منه غفران الذنوب وتفريج الكروب وغير ذلك من المطالب تاركين الله ﷻ وراء ظهورهم معرضين عن دعائه ﷻ الذي قال في كتابه: ﴿ **ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ** ﴾[غافر:60].

وعلى هذا فالمتصوفة بتوجههم بالدعاء إلى الرسول والاستغاثة به وطلب غفران الذنوب مـــنه قد وقعوا في الإشراك بالله، لأن الدعاء عبادة فصرفه لغير الله يعدّ شركاً بالله ﷻ.

(1) شواهد الحق، ص193.

المطلب الثالث: أدلة الصوفية لتجويز التوجه إلى النبي ﷺ بالتوسل والاستغاثة من دون الله:

وقد احتج المتصوفة لتجويز هذا التوسل بالحديثين الآتيين وهما:

أولاً: حديث الضرير الذي رواه عثمان بن حنيف[1] أن رجلاً ضريراً أتى النبي ﷺ فقال: **[ادْعُ اللَّهَ أَنْ يُعَافِيَنِي، قَالَ: إِنْ شِئْتَ دَعَوْتُ لَكَ وَإِنْ شِئْتَ أَخَّرْتُ ذَاكَ فَهُوَ خَيْرٌ، وفي رواية: وإن شئت صبرت فهو خير لك، فَقَالَ: ادْعُهُ، فَأَمَرَهُ أَنْ يَتَوَضَّأَ فَيُحْسِنَ وُضُوءَهُ فَيُصَلِّيَ رَكْعَتَيْنِ وَيَدْعُوَ بِهَذَا الدُّعَاءِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ يَا مُحَمَّدُ إِنِّي تَوَجَّهْتُ بِكَ إِلَى رَبِّي فِي حَاجَتِي هَذِهِ فَتَقْضِي لِي اللَّهُمَّ شَفِّعْهُ فِيَّ، قال: ففعل الرجل فبرئ]**[2].

وقد استدل المتصوفة كالنبهاني بهذا الحديث على جواز التوسل بذات النبي ﷺ وبنوا على ذلك أن التوسل به باقٍ ولو بعد موته ولم يقفوا عند الرسول بل قالوا: يجوز التوسل بذوات الأولياء أحياءً وأمواتاً وذلك لأن النبي ﷺ علم الأعمى أن يتوسل به في دعائه وفعل الأعمى ذلك فعاد بصيراً هذا هو وجه استدلال المتصوفة بهذا الحديث ويا ليتهم وقفوا عند الاستدلال به على جواز التوسل بذات النبي والصالحين وذلك حتى يهون الشر وإن كان التوسل بالذوات هو الباب الذي وقع عن طريقه كثير من الأمة الإسلامية في الإشراك بالله[3].

الرد على شبهتهم:

ولو نظرنا إلى هذا الحديث وفهمنا معناه الفهم الصحيح سنرى أنه لا حجة فيه للمتصوفة وغيرهم الذين استدلوا به على جواز التوسل بذات النبي وغيره من الأولياء والصالحين بل الحديث دليل على التوسل المشروع بالنبي ﷺ وهو التوسل بدعائه[4].

وإليك قول ابن تيمية في تحليل ألفاظ الحديث والحكم عليه: "إن دعاء الموتى والغائبين من الأنبياء والملائكة والصالحين، والاستغاثة بهم والشكوى إليهم، فهذا مما لم يفعله أحد من السلف، من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، ولا رخص فيه أحد من أئمة المسلمين.

---

(1) عثمان بن حنيف بن وهب الأنصاري الأوسي، أبو عمرو، ولد 41هـ– 661م، وال من الصحابة، شهد أحداً وما بعدها، وتوفي في خلافة معاوية. انظر الأعلام 205/4.

(2) مسند الإمام أحمد، حديث عثمان بن حنيف، 478/2، ح17240، ط1، 1419هـ–1999م، مؤسسة الرسالة.

(3) التوسل والوسيلة، لشيخ الإسلام ابن تيمية، ص127.

(4) التوصل إلى حقيقة التوسل، ص231.

وحديث الأعمى هو من القسم الثاني من التوسل بدعائه، فإن الأعمى قد طلب من النبي ﷺ أن يدعو له بأن يرد الله عليه بصره. فقال له: **[إن شئت صبرت وإن شئت دعوت]**. فقال: بل ادعه، فأمره أن يتوضأ ويصلي ركعتين ويقول: **[اللهم إني أسألك بنبيك نبي الرحمة، يا محمد يا رسول الله، إني أتوجه بك إلى ربي في حاجتي هذه ليقضيها، اللهم فشفعه في]**. فهذا توسل بدعاء النبي ﷺ وشفاعته، ودعا له النبي ﷺ، ولهذا قال: وشفعه في، فسأل الله أن يقبل شفاعة رسوله فيه وهو دعاؤه.

فإن الدعاء نوع من الشفاعة كما ثبت في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ قال: **[مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَمُوتُ فَيَقُومُ عَلَى جِنَازَتِهِ أَرْبَعُونَ رَجُلًا لَا يُشْرِكُونَ بِاللَّهِ شَيْئًا إِلَّا شَفَّعَهُمْ اللَّهُ فِيهِ]**(1).

وهذا الحديث ذكره العلماء في معجزات النبي ﷺ ودعائه المستجاب، وما أظهر الله ببركة دعائه من الخوارق والإبراء من العاهات، فإنه ﷺ ببركة دعائه لهذا الأعمى أعاد الله عليه بصره"(2).

ثانياً: حديث عمر بن الخطاب:

ومن الأدلة التي يستدل بها المتصوفة وغيرهم في جواز التوسل بذوات الأنبياء والصالحين ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب فقال: **[اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا فَتَسْقِينَا وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّنَا فَاسْقِنَا قَالَ: فَيُسْقَوْنَ]**(3).

ولقد فهم الصوفية وغيرهم من القائلين بجواز التوسل بذوات الأنبياء والصالحين إلى الله من هذا الأثر بأن توسل عمر رضي الله عنه إنما كان بجاه العباس رضي الله عنه ومكانته عند الله تعالى وأن توسله كان مجرد ذكر للعباس في دعائه وطلباً منه لله أن يسقيهم من أجله وأما سبب عدول عمر رضي الله عنه عن التوسل بالرسول ﷺ بزعمهم وتوسله بدلاً منه بالعباس رضي الله عنه فإنما كان لبيان جواز التوسل بالمفضول مع وجود الفاضل ليس غير(4).

---

(1) مسند الإمام أحمد، 307/4، ح2509.

(2) التوسل والوسيلة، لشيخ الإسلام ابن تيمية، ص92.

(3) صحيح البخاري، 238/1، ح1010.

(4) شواهد الحق، ص78

لأن الرسول ﷺ كان يرى للعباس ما يرى الولد للوالد، فاقتدوا به في عمه، واتخذوه وسيلة إلى الله تعالى ففيه التصريح بالتوسل وبهذا يبطل قول منع التوسل مطلقًا سواء كان بالأموات أو الأحياء.

الرد على شبهتهم:

هناك قرائن كثيرة تدل على أن التوسل من عمر ﷺ كان بدعاء العباس لا بذاته ولا بجاهه ولا بمكانته وهذه القرائن هي:

- أن المراد بهذا التوسل إلى الله تعالى بدعاء النبي ﷺ ولو كان هذا من باب التوسل بالجاه لكان عمر ﷺ توسل بجاه النبي قبل أن يتوسل بجاه العباس، لأن جاه النبي ﷺ أعظم من جاه العباس وغيره، والحاصل أن التوسل إلى الله تعالى بدعاء من ترجى فيه الإجابة لصلاحه لا بأس به فقد كان الصحابة ﷺ يتوسلون إلى الله بدعاء النبي ﷺ وكذلك عمر ﷺ توسل بدعاء العباس ﷺ[1].
- فالتوسل إلى الله ﷻ بالرجل الصالح ليس معناه التوسل بذاته وبجاهه وبحقه، بل هو التوسل بدعائه وتضرعه واستغاثته بالله ﷻ، وهذا هو قول عمر ﷺ: (اللهم إنا من توسل إليك بنبينا فستقينا) أي: كنا إذا قل المطر نذهب إلى النبي ﷺ أو نطلب منه أن يدعو لنا جل شأنه[2].

ويقول الشيخ محمود شكري الآلوسي راداً على المتصوفة الذين يستدلون بتوسل عمر بالعباس على جواز التوسل بالذوات مبيناً بأن هذا الحديث دليل على عدم جواز التوسل بالذوات وأن التوسل المشروع هو التوسل بطلب الدعاء من الرجل الصالح إن وجد قال: " بل هو أقوى الأدلة وأرجحها وأعلاها وأوثقها وأصحها وأصدقها لما ندَّعِيهِ، فإن قول عمر: "اللهم إنا كنا إذا أجدبنا توسلنا".. إلخ؛ يدل دلالة ظاهرة على انقطاع ذلك الذي هو الدعاء بدليل قوله: "إنا كنا"، ولما كان العباس حياً طلبوه منه فلما مات فات، فقصرهم له على الموجودين ولو كانوا مفضولين دليل ساطع وبرهان لامع على هذا المراد، ولو كان المقصود الذوات كما يقولون لبقيت هذه التوسلات عندهم على حالها لم تتغير ولم تتبدل إلى المفضولين بعد وجود الفاضلين، سيما الأنبياء والمرسلين، فتأمل في هذا فإنه أحسن ما في هذه الأوراق، حقيق بأن يضرب عليه رواق الاتفاق، والله يهديك السبيل فهو نعم المولى ونعم الوكيل"[3].

---

(1) المجموع الثمين، ص85-86.

(2) التوسل: أحكامه وأنواعه وأحكامه، ص39.

(3) غاية الأماني في الرد على النبهاني، تأليف: الإمام محمود شكري الآلوسي، 288/1، طبع على نفقه عبدالعزيز ومحمد العبدالله الجميح.

وبهذا نخلص إلى أن الأحاديث الصحيحة التي استدل بها المتصوفة على جواز التوجه إلى الرسول بالدعاء والاستغاثة وبالأنبياء والصالحين ليس لهم أي دليل فيها بل هي ضدهم ومشائخ الصوفية لم يقعوا في هذا لعدم فهمهم لها وإنما يستدلون بها لسوء مقصدهم وفساد معتقدهم. ومع هذا فالصوفية يخلطون بينهما عن عمد ويسمون دعاء الرسول والاستغاثة به وكذلك الأولياء بأنه توسل وهذا خطأ عظيم وخطأ فادح وقع فيه المتصوفة عن عمد أو خطأ وعن علم أو جهل، الله أعلم بحالهم.

المطلب الرابع: حكم التوجه إلى الرسول بالتوسل والاستغاثة:

أولاً: الرد على الصوفية الذين يقولون بجواز التوجه إلى الرسول ﷺ بالتوسل والاستغاثة:

مرّ في المدائح الصوفية التي ذُكرت عن أئمتهم في المطلب الثاني من هذا المبحث والتي غلوا فيها غلواً شديداً حتى رفعوا الرسول إلى منزلة الألوهية والربوبية فتوجهوا إليه بالدعاء والاستغاثة وطلبوا منه أموراً لا يجوز طلبها إلا من الله ﷻ كغفران الذنوب وتفريج الكروب وإذهاب الهموم والغموم والنجاة من النار ووصفوه بأنه ملاذهم الوحيد الذي لا ملاذ لهم سواه ونسوا الله ﷻ الذي قال في كتابه: ﴿ **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ** ﴾ [البقرة:186].

ونحن نقول للمتصوفة: إن الرسول ﷺ ما هو إلا عبد من عباد الله الذين خلقهم لعبادته وحده وفضله الله بالرسالة وجعله خاتم الأنبياء والمرسلين وفضله على العالمين وخصه بخصائص كثيرة دون إخوته من الأنبياء والمرسلين جميعاً ولكن مع ذلك كله لا يخرجه هذا عن طور العبودية لله ﷻ وقد وصفه الله ﷻ بالعبودية له في أكمل أحواله فقال في الإسراء: ﴿ **سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّه هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ﴾ [الإسراء:1].

والسنة النبوية أكدت بشرية وعبودية النبي ﷺ وذلك فيما رواه الطبراني بإسناده أنه كان في زمن النبي ﷺ منافق يؤذي المؤمنين فقال بعضهم: قوموا بنا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق فقال النبي ﷺ: [**إِنَّهُ لاَ يُسْتَغَاثُ بِي، إِنَّمَا يُسْتَغَاثُ بِاللَّهِ**][1].

---

(1) مسند الإمام أحمد، 317/5، وقال عنه: حديث حسن.

وفي حديث آخر حينما قال الصحابي للرسول ﷺ: ما شاء الله وشئت قال: **[جَعَلْتَ لِلَّهِ نِدًّا، مَا شَاءَ اللَّهُ وَحْدَهُ]**(1).

إذا نظرنا في الحديثين السابقين نجد أن الرسول ﷺ أنكر على الصحابة الذين قالوا قوموا نستغيث برسول الله ﷺ وأخبرهم بأن الذي يستغاث به هو الله ﷻ لأنه هو الذي يستطيع أن يغيث، أما النبي فلا يستغاث به لأنه عاجز عن إغاثة من استغاث به في الأمور التي لا يمكن أن يقدر عليها إلا الله ﷻ، وهذا في حال حياته أما بعد موته فإنه لا يجوز أن يستغاث برسول الله إطلاقاً لأنه انتقل من هذه الدار الفانية إلى الدار الباقية فكل من استغاث به بعد موته وطلب منه غفران الذنوب وتفريج الكرب وإزالة الهموم والغموم فقد صرف له شيئاً من العبادات التي لا يجوز صرفها لغير الله ﷻ إلا وقع في الشرك.

والخلاصة التي نخرج بها أن الرسول ﷺ بشر مثلنا، إلا أن الله اصطفاه لرسالته وخصه بالوحي، وأنه ما خلق إلا لعبادة الله كما خلق غيره من الإنس والجن وأنه لا يستحق شيئاً من العبادة.

ثانياً: أقوال العلماء في حكم التوجه إلى الرسول ﷺ بالدعاء والاستغاثة:

لقد أنكر العلماء قديماً وحديثاً التوجه إلى الرسول ﷺ بالدعاء والاستغاثة، واعتبروا ذلك شركاً بالله؛ لأنه نوع من أنواع صرف العبادة لغير الله ﷻ.

1- ما قاله شيخ الإسلام –رحمه الله– في كتابه التوسل والوسيلة: "فأما ما لا يقدر عليه إلا الله تعالى فلا يجوز أن يطلب إلا من الله ﷻ، لا يطلب ذلك لا من الملائكة، ولا من الأنبياء، ولا من غيرهم، ولا يجوز أن يقال لغير الله اغفر لي، واسقنا الغيث، وانصرنا على القوم الكافرين"(2).

2- وقال أيضاً: "وأما دعاء الرسول بطلب الحوائج منه، وطلب شفاعته عند قبره، أو بعد موته فهذا لم يفعله أحد من السلف، ومعلوم أنه لو كان قَصْدُ الدعاء عند القبر مشروعاً لفعله الصحابة والتابعون، وكذلك السؤال به، فكيف بدعائه وسؤاله بعد موته... فإن هذا كله من فعل النصارى، وغيرهم من المشركين، ومن ضاهاهم من مبتدعة هذه الأمة"(3).

---

(1) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، البخاري، باب: قول الرجل ما شاء الله وشئت، ص2273، ح783، تخريج الألباني، ط2، 1421هـ – 2000م، دار الصديق للنشر.

(2) التوسل والوسيلة، لابن تيمية، تحقيق: الشيخ إبراهيم رمضان، ص 135، ط1، 1992م، دار الفكر – لبنان.

(3) المصدر السابق، ص71.

3- ما قاله ابن القيم –رحمه الله– : "ومن أنواعه –أي الشرك– طلب الحوائج من الموتى، والاستغاثة بهم، والتوجه إليهم وهذا أصل شرك العالم، فإن الميت قد انقطع عمله وهو لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً، فضلاً عمن استغاث به أو سأله أن يشفع إلى الله، وهذا من جهله بالشافع والمشفوع له عنده، فإن الله –سبحانه وتعالى– لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه، والله سبحانه لم يجعل سؤال غيره سبباً لإذنه، وإنما السبب لإذنه كمال التوحيد فجاء هذا الشرك يمنع الإذن"[1].

4- ما قاله الشيخ ابن عثيمين – رحمه الله– : "قال من توجه إلى الرسول ﷺ بعد وفاته، أو التوجه إلى غيره من الأموات، لدفع ضرر أو جلب منفعة، فهو يعتبر مشرك بالله ﷻ شركاً أكبر مخرجاً من الملة، وعليه أن يتوب، وأن يوجه الدعاء إلى العلي الكبير، الذي يجيب دعوة المضطر إذا دعاه ويكشف السوء"[2].

5- ولم يُجِزْ التوسل بالنبي ﷺ، ولا بالأنبياء والصالحين أحد ممن يُعتد به، ويقتدى به، كالأئمة الأربعة وأمثالهم من أهل العلم والحديث"[3].

ثالثاً: حكم التوجه إلى الرسول ﷺ بالتوسل والاستغاثة:

بعد إيراد أقوال العلماء في حكم التوسل والاستغاثة بالرسول ﷺ، تبين أن صرف الدعاء والتوسل والاستغاثة به ﷺ شركاً بالله، والشرك من أكبر المعاصي، التي لا يغفرها الله ﷻ إلا بالتوبة، والرسول ﷺ قد تبرأ ممن يدعونه من دون الله، وأخبر بأنه لا يملك شيئاً من النفع والضر، لأنه بشر ما خلقه الله إلا للعبادة، كما خلق غيره من الإنس، وإنه لا يستحق شيئاً من العبادة، وعلى هذا فإن كل من يدعو الرسول ﷺ ويستغيث به، فقد صرف جزءاً من حقوق الله ﷻ إلى غيره، وما دام الأمر كذلك، فكل من صرف شيئاً من الدعاء إلى غير الله سواء كان هذا المدعو ملكاً مقرباً أو نبياً مرسلاً فقد وقع في الإشراء بالله ﷻ.

(1) مدارج السالكين، 290/1.
(2) المجموع الثمين، ص 84.
(3) الصواعق المرسلة الشهابية، ص204.

المبحث الرابع

رؤية النبي ﷺ يقظة والتلقي عنه عند غلاة الصوفية

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: أدلة الصوفية بأنهم يرون الرسول ﷺ يقظة.

المطلب الثاني: الرد عليهم.

المبحث الرابع

رؤية النبي ﷺ يقظة والتلقي عنه عند غلاة الصوفية

التلقي عن الرسول يقظة بعد موته يعتبر من أوثق المصادر التي يستقي منها الصوفية علومهم ومعارفهم.

وقد أكثرت كتب تراجم الصوفية بذكر ما تم بينهم وبين النبي ﷺ حيث يعتقدون أنهم يروا النبي يقظة ومن خلال ذكر الأدلة سوف يتضح ذلك.

المطلب الأول: أدلة الصوفية بأنهم يرون الرسول ﷺ يقظة.

ومما يعتقده الصوفية في هذا الباب إيمانهم بحياة النبي ﷺ بعد موته حياة تامة لها كل خصائص الأحياء، ولذلك قالوا بأنهم يرونه يقظة ويجتمعون به فيرشدهم، وأنه يحضر حضراتهم التي يقيمونها والموالد التي يعملونها.

1- وقد أشار الغزالي إلى هذه الخرافة وجعلها من فضائل الصوفية وإن لم يصرح بها تصريحاً واضحاً فقال عنهم: "...حتى إنهم في يقظتهم يشاهدون الملائكة وأرواح الأنبياء ويسمعون منهم أصواتهم ويقتبسون منهم فوائد، ثم يترقى الحال من مشاهدة الصورة والأمثال إلى درجات يضيق عنها نطاق النطق"[1].

ولكن هذه الخرافة لم يصرح بها إلا المتأخرون استغلالاً منهم لظروف الجهل التي ضربت عقول المسلمين فصاروا أسرى الخرافات والأساطير.

قال الشعراني[2]: "قال أبوالمواهب الشاذلي: "رأيت رسول الله ﷺ فقال لي عن نفسه: لست بميت وإنما موتي تستُّرِي عمن لا يفقه عن الله فها أنا أراه ويراني"[3].

2. وقال الدباغ: "...الذي هو أفضل وأعز من دخول الجنة، فهو رؤية سيد الوجود ﷺ، في اليقظة، ... فهي أفضل من الجنة"[4].

---

(1) المنقذ من الضلال، لأبي حامد الغزالي، ص140.

(2) عبدالوهاب بن أحمد الشعراني، صاحب الطبقات الكبرى والصغرى في تراجم الصوفية، وهو من علماء الصوفية، توفي في القاهرة، انظر: الأعلام، 180/4.

(3) الطبقات الكبرى، للشعراني، 69/2.

(4) الإبريز، ص310.

وهم يزعمون أن النبي ﷺ يلقنهم الأوراد والأدعية والأذكار يقظة – لا منامًا:–

1– فيقول صاحب جواهر المعاني عن شيخه أحمد التيجاني: "قال ﷺ: أخبرني سيد الوجود يقظة لا مناماً. قال لي أنت من الآمنين، ومن رآك من الآمنين إن مات على الإيمان"[1].

2– ونقل عن الشيخ الكبير عبدالقادر الجنيد أنه نام ذات ليلة فرآى النبي ﷺ ومعه أبوبكر وعمر رضي الله عنهما وبين أيديهم شيء من القات، قال: فناولني النبي ﷺ شيئاً من القات فرجعت إلى منامي فرأيته ﷺ هو وأصحابه على ما هم عليه فسألته، فقال النبي ﷺ يا عبدالقادر أنه نزل به جبريل الآن! يا عبدالقادر كل منه فإن آكله لا ينطق إلا بالصواب[2].

هذا هو حال طائفة من غلاة الصوفية، الذين عبدوا الله على جهل وغرور، فتلاعب بهم الشيطان وغرهم، فيلتبوءوا مقعدهم من النار كما قال النبي ﷺ.

ومنهم من استدل على رؤية النبي ﷺ يقظة بالحديث الذي رواه البخاري عن أبي هريرة ﷺ قال: **[مَنْ رَآنِي فِي الْمَنَامِ فَسَيَرَانِي فِي الْيَقَظَةِ وَلاَ يَتَمَثَّلُ الشَّيْطَانُ بِي]**[3]، وفي رواية أخرى قال النبي ﷺ: **[مَنْ رَآنِيْ فَقَدْ رَأَى الْحَقَّ]**[4].

هذا هو اعتقاد الصوفية في النبي ﷺ وغيره من الصالحين، وكذبهم وضلالهم في هذا الباب أوضح من الشمس في رابعة النهار.

أولًا: اضطراب مقالات القوم في كيفية الرؤية:

وقد اشتد نزاعهم في: هل يرى ﷺ يقظة بروحه وجسده، أم يُرى مثال له على التحقيق؟

1- منهم من يقول أن المرئي هو الرسول ﷺ بروحه وجسده، وهذا مذهب السيوطي. ونص عبارته: "فإذا أراد الله رفع الحجاب عمن أراد إكرامه برؤيته، رآه على هيئته التي هو عليها، لا مانع من ذلك، ولا داعي إلى التخصيص برؤية المثال"[5].

2- أن المرئي هو روحه ﷺ المتشكلة بصورة بدنه الشريف، وممن قال بذلك محمد المغربي الشاذلي[6].

---

(1) جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس التيجاني، ص96.

(2) مقال بعنوان: صوفي يقول: رسول الله يمضغ القات مع أبي بكر وعمر، موسوعة الرد على الصوفية.

(3) صحيح البخاري، كتاب التعبير، باب من رأى النبي ﷺ في المنام، 318/4، ح6993.

(4) المصدر السابق، 318/4، ح6996.

(5) تنوير الحلك في إمكان رؤية النبي والمَلَك، للإمام السيوطي، 487/2، الفتاوى المتعلقة بالتصوف.

(6) المصادر العامة للتلقي عند الصوفية، ص239.

3- أن المرئي مثال له ﷺ على التحقيق، وهذا القول منسوب إلى الغزالي[1].

4- أن الذي يمثل للرائي ليس جسمه ﷺ، بل نوره الشريف، بصورة جسمه الكريم[2].

5- ومنهم من جوز أن يرى الرائي روحه الشريفة، ﷺ متشكلة بصورته الشريفة، ثم يرتقي الحال إلى رؤية حقيقة ذاته الشريفة، وهذا ما مال إليه محمد العربي اليماني[3].

هذا ما تحصل من مذاهبهم فيما يتعلق بأحوال رؤية النبي ﷺ بالنسبة لرائيه.

ثانيًا: أحوال الرائي له ﷺ، فقد اختلفوا فيه أيضًا، هل يراه بالبصر، أو بعين البصيرة؟

1- أنها رؤية قلبية، لا بصرية، وهذا القول لصالح الجعفري، ونص كلامه: "...واعلم يا أخانا... أن رؤيته ﷺ، يقظة، تكون على طريق خرق العادة،...ولا يكون بعين البصر، وإنما يكون بعين البصيرة"[4].

2- أنها تكون بالقلب ثم يترقى على أن يرى البصر، وهذا قول السيوطي، ونص كلامه: "...أكثر ما تقع رؤية النبي ﷺ في اليقظة بالقلب، ثم يترقى إلى أن يرى بالبصر"[5].

ثم يقول السيوطي: "...لكن ليست الرؤية البصرية كالرؤية المتعارفة عند الناس من رؤية بعضهم بعضًا، وإنما هي جمعية حالية، وحالة برزخية، وأمر وجداني، لا يدرك حقيقته إلا من باشره"[6].

فمن خلال سرد هذه الأقوال تبين أن الخلاف واضح وبيّن بين أفراد هؤلاء القوم.

المطلب الثاني: الرد عليهم.

الحديث عند غلاة الصوفية صريح في رؤية النبي ﷺ يقظة بعد موته في الدنيا والآخرة، وهذا الحديث لا يدل على ما ذهبوا إليه لأن الحديث يحتمل عدة معان ولذلك اختلف العلماء في معناه وحملوه على عدة محامل منها ما ذكره ابن حجر فقال[7]:

---

(1) انظر المصادر العامة للتلقي عند الصوفية، ص 240.

(2) أسنى المطالب في أحاديث مختلفة المراتب، تأليفك الإمام محمد بن درويش الحوت، 356/1، ط دار الكتب العربية.

(3) المصادر العامة للتلقي عند الصوفية، ص240..

(4) المصدر السابق، ص243.

(5) تنوير الحلك، 483/2.

(6) المرجع السابق، ص484.

(7) انظر: فتح الباري، 413/14-414.

1. معناه أنه سيرى تأويل تلك الرؤيا في اليقظة بطريق الحقيقة أو التعبير.
2. وقيل إنه على التشبيه والتمثيل ويدل على ذلك الرواية الأخرى ولفظها: **[فَكَأَنَّمَا رَآنِي فِي الْيَقَظَةِ]**.
3. أنه خاصٌ بأهل عصره ممن آمن به قبل أن يراه.
4. أنه يراه يوم القيامة بمزيد خصوصية لا مطلق فلا يراه.
5. أنه يراه في الدنيا حقيقة ويخاطبه.

أما رؤية النبي ﷺ في الدنيا ومخاطبته باطلةمن وجهين:

أ- أنه مستحيل شرعاً؛ لمعارضته النصوص، كقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾[الزُّمر:30]وهو أيضاً مخالف لإجماع الأمة التي أجمعت على وفاته ﷺ ولا يرد على ذلك أن الأنبياء أحياء في قبورهم، وما ورد عنه ﷺ من أنه ترد عليه روحه حتى يرد السلام على من سلم عليه، فإن الحياة حياة برزخية تختلف عن الحياة الدنيا في خصائصها وصفاتها ولذلك يقتصر في شأنها على ما ورد في النصوص، ولا تقاس على الحياة الدنيا بأي حال من الأحوال[1].

ب- أنه مستحيل عقلاً لأنه يلزم منه لوازم باطلة مثل أن يخرج ويراه الناس وأن يقود أمته في كل المواطن كما كان في حياته ﷺ وأن يجاهد في سبيل الله وأن يفصل بين الأمة في المسائل المتنازع عليها والحوادث التي وقعت لأمته من بعده طالما أنه حي حياة تامة.

إذ لو صح لكان حل النبي ﷺ لمشاكل أمته التي حدثت من بعده وجمع كلمتهم أولى من أن يظهر لأناس في مجالس بدعية جمعوا فيها من فنون الشرك والبدع ما نهى عنه وحذر منه.

فكيف يحضر مجالسهم التي بهذه الصفة ويترك الصحابة والأمة من بعدهم يواجهون الفتن بأنفسهم وهم أحوج من يكونون إليه لو كان حياً[2].

قال القرطبي[3] فيما نقله الحافظ ابن حجر: "وهذا القول يدرك فساده بأوائل العقول ويلزم عليه ألا يراه أحد إلا على صورته التي مات عليها، وأن لا يراه رائيان في آن واحد في مكانين

---

(1) انظر: مختصر التيجانية، ص41.

(2) انظر: محبة الرسول بين الاتباع والابتداع، ص251.

(3) هو أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم الأنصاري القرطبي المالكي ويعرف بابن المزين (578-656هـ)، فقيه، محدث، لغوي، وهو شيخ القرطبي المفسر، من تصانيفه: المفهم لما أشكل من شرح صحيح مسلم، واختصار صحيح البخاري، وغيرها. انظر: الأعلام، 186/1.

وأن يحيا الآن، ويخرج من قبره ويمشي في الأسواق ويخاطب الناس ويخاطبوه، ويلزم من ذلك أن يخلو قبره من جسده فلا يبقى في قبره منه شيء فيزار مجرد القبر ويسلم على غائب، لأنه جائز أن يرى في الليل والنهار مع اتصال الأوقات على حقيقته في غير قبره، وهذه جهالات لا يلتزم بها من له أدنى مسكة من عقل"[1].

ومنهم أي من كبار الصوفية ينفي وقوع رؤية النبي ﷺ في اليقظة، فيقول أبوالقاسم القشيري: "وقال بعضهم: في النوم معان ليست في اليقظة، منها: أنه يرى المصطفى ﷺ والصحاب والسلف الماضين في النوم ولا يراهم في اليقظة"[2].

وقد يقول قائل: إن هذا نقله القشيري عن بعضهم ولا ندري هل هم من الصوفية أو من غيرهم؟ والجواب:

أ- أن القشيري نفسه من كبار الصوفية وقد نقل العبارة وأقرها.

ب- أنه لا ينقل في رسالته مثل هذا الكلام إلا عن الصوفية، حيث ذكر في مقدمة كتابه أنه إنما يذكر سير شيوخ التصوف وآدابهم. وما أشاروا إليه من مواجيدهم، وأكده في الخاتمة[3].

وأخيراً[4]: نقل السيوطي عن بعض أهل العلم احتجاجه على حياة الأنبياء بأن النبي ﷺ اجتمع لهم ليلة الإسراء في بيت المقدس.

ومقصده أن ما دام هذا ممكناً في حق النبي ﷺ معهم فيمكن أن يكون جائزاً في حق أولياء أمته معه، فيرونه في اليقظة.

والجواب على هذه الشبهة أن يقال:

أولاً: ليس النزاع في حياة الأنبياء في قبورهم ولا في اجتماع النبي ﷺ بهم ليلة الإسراء ولا صلاته بهم إماماً، فإن ذلك كله ثابت رواية، فيجب على جميع المؤمنين التصديق به.

ثانياً: أن مما يجب أن يعلم أن حياة الأنبياء في قبورهم حياة برزخية لا نعلم كيف هي، وحكمها كحكم غيرها من المغيبات، نؤمن بها ولا نشتغل بكيفيتها، ولكننا نجزم بأنها مخالفة لحياتنا الدنيا.

---

(1) فتح الباري، 412/14.

(2) الرسالة القشيرية، باب رؤيا القوم، ص368.

(3) انظر: الفوائد الملتقطة في الرد على من زعم رؤية النبي يقظة، ص22، ضمن موسوعة الرد على الصوفية.

(4) انظر: المصدر السابق، ص23.

ثالثاً: أن الذي أخبرنا بأنه اجتمع بالأنبياء ليلة الإسراء هو الصادق المصدوق الذي يجب على كل مؤمن أن يصدقه في كل ما أخبر به من المغيبات دقيقها وجليلها، ولذا آمنا بما أخبرنا به واعتقدناه عقيدة لا يتطرق إليها شك إن شاء الله تعالى.

أما من جاءنا بخبر وقوع رؤية النبي ﷺ في اليقظة فمجموعة من الدراويش خالفت الكتاب والسنة والإجماع والمعقول، فلم يجز – ولا أقول فلم يجب – أن نصدقهم في دعواهم تلك.

بل وجب على كل موحد ذاد عن حمى التوحيد أن يردها بما استطاع لأنه باب يؤدي فتحه إلى ضلال عظيم وخراب للأديان والعقول ويفتح باب التشريع من جديد، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

مذهب أهل السنة والجماعة في رؤية النبي ﷺ لايقظة:

وأما مذهب أهل السنة والجماعة في رؤية النبي ﷺ يقظة بعد موته في الدنيا، وحكم من قال إنه يرى النبي ﷺ بعد موته يقظة:

"إن رؤيته ﷺ يقظة في هذه الدنيا أمحل من المحال، وأبطل من الباطل، فإن الله تعالى قبضه إليه، واستأثر به، ودفعه إلى الرفيق الأعلى، وإنما يتصور وجود هذا مناماً، فمن رآه في المنام، وكان من أهل الصلاح، وعلى صفته التي هو عليها، فقد رآه حقاً، فإن الشيطان لا يتمثل به"(1).

إن رؤية النبي ﷺ في المنام حق؛ لورود الأحاديث الصحيحة بذلك، ومن ذلك ما رواه البخاري في صحيحه عن أبي سعيد الخدري أنه سمع النبي ﷺ يقول: [**مَنْ رَآنِي فَقَدْ رَأَى الْحَقَّ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتَكَوَّنُنِي**](2).

أما رؤيته ﷺ بعد موته، فمذهب أهل السنة والجماعة أنه لا يرى يقظة، ومن رأى ما يوهم ذلك، فإنه من تلبيس الشيطان – لعنه الله – ولا يتأتى عليه حديث: [**فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتَمَثَّلُ بِي**]، فإن الشيطان كما أخبر ﷺ لا يتمثل به.

ولم يرد في الكتاب والسنة ما يدل على ذلك، ولم يدعيها أحد من الصحابة، ولا من التابعين، ولا من أتباعهم. فمن قال بأن النبي ﷺ يُرى يقظةً بعد موته، فقد أتى بقول يدرك فساده بأوائل العقول(3).

---

(1) الصواعق المرسلة، الشهابية على الشبه الداحضة الشامية، تأليف العلامة: سليمان بن سحمان النجدي الحنبلي، حققها عبدالسلام بن ناصر آل عبد الكريم ، ص101–102، ط1409هـ، دار الهاصمة الرياض.

(2) فتح الباري، كتاب: التعبير، باب: من رأى النبي ﷺ في المنام، 411/14، ح6997.

(3) انظر: مختصر التجانية، ص42.

المبحث الخامس

اعتقادهم أن الولي أفضل من النبي ﷺ

عند غلاة الصوفية

ويشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الولي لغةً واصطلاحاً.

المطلب الثاني: تعريف الولي عند غلاة الصوفية والـــرد عليهم.

المطلب الثالث: تفضيل الولي علـــى النبـــي عنـــد غـــلاة الصوفية والرد عليهم.

المبحث الخامس

اعتقادهم أن الولي أفضل من النبي ﷺ عند غلاة الصوفية.

المطلب الأول: تعريف الولي لغةً واصطلاحاً.

أولاً: تعريف الولي لغةً:

الوَلْي بفتح فسكون، الواو، واللام، والياء: أصل صحيح يدل على: القُرْب والدُّنُو، والوَليّ: الاسم منه، والمحب، والصديق، والنصير، وتولّى الشيء، وعليه ولاية وولاية، وتولاّه: اتخذه وليًّا""[1]، وقال ابن الأثير: "وقد تختلف مصادر هذه الأَسماء فالولاية بالفتح في النسب والنُّصرة والعِتْق يقال: هم عَلَي وَلاية أَي مجتمعون في النصرة، والوِلايةُ بالكسر في الإِمارة والسلطان والخطة"[2]، و(الوِلاية) بكسر الواو يعني: السلطان والأمر، والوَلاية بفتح الواو، من الموالاة كقوله: ﴿اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آَمَنُوا﴾ [البقرة:257}، وقوله: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آَمَنُوا...﴾[المائدة:55][3]

والولاية التي أعنيها في هذا المبحث هي بفتح الواو، لأن الولاية بكسر الواو، تعنى الإمارة والسلطان، أما بالفتح فتعنى المحبة والنصرة.

ثانياً: تعريف الولي اصطلاحاً.

1. عرفه ابن تيمية بقوله: " هو كل مؤمن تقي ليس بنبي، حيث عرّف الأولياء بأنهم ﴿الَّذِينَ آَمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [يونس:63}، المؤمن المتقي هو الولي[4]، قال الطبري رحمه الله عند ذكر الآية: " والصواب من القول في ذلك أن يقال: ولي الله هو من كان بالصفة التي وصفه الله بها، وهو الذي آمن واتقى كما قال الله: ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ [يونس:63}"[5].

---

(1) القاموس المحيط، ص1209.

(2) لسان العرب، 475/15.

(3) انظر: الكشف والبيان، تأليف: أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري، دار إحياء التراث العربي– بيروت– لبنان، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، الطبعة الأولى(1422 هـ– 2002 م)، 172/6 .

(4) أولياء الصوفية عند شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه: الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، موسى ابن محمد بن هجاد الزهراني، ص5، ط2003–2004م.

(5) جامع البيان في تأويل القرآن، 115/7.

2. **قال الحافظ ابن حجر** في تعريف الولي: "المراد بولي الله المواظب على طاعته المخلص في عبادته"[1] .

3. **ونقل الطبري** تعريف الأولياء فقال: "هم قوم يذكر الله لرؤيتهم لما عليهم من سيما الخير"[2].

المطلب الثاني: تعريف الولي عند غلاة الصوفية.

1- تعريف الحكيم الترمذي[3]:

يعرف الأولياء فيقول: "فهؤلاء كلهم أولياء حقوق الله، وهم أولياء الله يصيرون إلى الله تعالى في مراتبهم، فيحلون بها، ويتنسمون روح القرب، ويعيشون في فسحة التوحيد والخروج عن دق النفس، قد لزموا المراتب، فلا يشتغلون بشيء إلا مما أذن لهم فيه من الأعمال، ثم ينقلبون إلى مراتبهم، وهذا دأبهم".

2- تعريف أبي يزيد البسطامي:

قال أبو يزيد: "حظوظ الأولياء مع تباينها أربع أسماء، وقيام كل فريق منهم باسم، وهو الأول، الآخر، والظاهر، والباطن، فمتى فني عنها بعد ملابستها فهو الكامل التام، فمن كان حظه من اسمه تعالى الظاهر لاحظ عجائب قدرته، ومن كان حظه من اسمه الباطن لاحظ ما جرى في السرائر من أنواره، ومن كان حظه من اسمه الأول كان شغله بما سبق، ومن كان حظه من اسمه الآخر كان مرتبطاً بما يستقبله، وكل كُوشِف على قدر طاقته إلا من تولاه الحق سبحانه ببره، وقام عنه بنفسه"[4].

---

(1) فتح الباري شرح صحيح البخاري 342/11.

(2) جامع البيان، 4512/11.

(3) هو محمد بن علي بن الحسن بن بشر، أبو عبد الله الحكيم الترمذي، ولد سنة 320هـ - 932م، باحث، صوفي، عالم بالحديث وأصول الدين، نفي إلى ترمذ بسبب تأليفه كتاب ختم الولاية، انظر الأعلام 272/6.

(4) الرسالة القشيرية، ص262.

المطلب الثالث: تفضيل الولي على النبي عند غلاة الصوفية والرد عليهم.

اختلفت نظرات غلاة الصوفية في الفرق بين النبوة والولاية، فمنهم من ادعى أن الولاية جزء من النبوة، ومنهم من ساوى بينها وبين النبوة، ومنهم من فضّل الولاية على النبوة، ولهم تصريح في هذه الدعاوى، وأنقل هنا بعض أقوالهم، ومنها:

1- مساواة الولي للنبي:

يقول لسان الدين ابن الخطيب: "الولاية أن يتولى الله الواصل على حضر قدسه، بكثير مما تولى به النبي عليه السلام من حفظ وتوفيق، وتمكين، واستخلاف، وتصريف، فالولي يساوي النبي في أمور منها: العلم من غير طريق العلم الكسبي، والفعل بمجرد الهمة، فيما لم تجر به العادة أن يفعل إلا بالجوارح، والجسوم مما لا قدرة عليه لعالم الجسوم ...، والولي يأخذ المواهب[1] بواسطة روحانية نبيه، ومن مقامه يشهد، إلا ما كان من الأولياء المحمديين، فإنه لما كان نبيهم صلوات الله وسلامه عليه جامعاً لمقامات الأنبياء (أورثهم الله مقامات الأنبياء)، وأوصل إليهم أنوارهم من نور نبيهم الوارث، وبوساطته فإنه هو الذي أعطى جميع الأنبياء، والرسل مقاماتهم في عالم الأرواح، ثم شاركت الأولياء الأنبياء في الأخذ عنه"[2].

2- تفضيل الولي على النبي:

منهم من فضلوا الولي على النبي وقد بيّن الشهرستاني مذهب هذه الطائفة فقال: "ادعت طائفة من الصوفية أن في أولياء الله تعالى من هو أفضل من جميع الأنبياء"[3]، وقال البسطامي: "تالله أن لوائي أعظم من لواء محمد ﷺ، لوائي من نور تحته الجان والجن والإنس، كلهم من النبيين"[4].

3- انتقاصهم لمقام النبوة:

ومما يدل على انتقاصهم لمقام النبوة ما قاله عبد القادر العيدروس في خاتمة كتابه غاية القرب عند كلامه على انتهاء مرحلة السفر من القلب إلى الرب: وحينئذ تنتهي مسافة السير إلى

---

(1) المواهب: جمع موهبة وهى أمر ليس بخارق للعادة، ولكنه قليل مستبعد في العادة، يتميز به بعض الناس، ولا يختص ذلك بالأولياء بل يكـون لهـم، ولغيرهـم، (انظر: موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي، ص 951).

(2) التصوف المنشأ والمصادر، ص 185، نقلاً عن كتاب روضة التعريف للسان الدين بن الخطيب، ص519.

(3) التصوف المنشأ والمصادر، ص229.

(4) المصدر السابق، ص 216.

الله تعالى، وذلك غير متناه لا في الدين ولا في الآخرة، فإن مقامات القرب من الله ﷻ غير متناهية؛ لأن القرب منه هو المعرفة بصفاته العلى، ونعوت جلاله وجماله[1].

ومن صور تذوقهم لمقام النبوة ما ذكره محمد بن عبد الرحمن باجمال عن أبي بكر ابن سالم[2] الذي غلا في نفسه وجعلها في منزلة النبي ﷺ حيث قال: "طلبت من الله ألا يعذب من يقول لا إله إلا الله، محمد رسول الله عليه وآله وسلم، فأعطاني وقبل شفاعتي، ولولا قد سبقت الشفاعة لنبينا محمد ﷺ لكنت أنا الشفيع"[3].

4- تفضيل علوم أوليائهم ومشايخهم على علوم الأنبياء:

من نصوصهم في ذلك ما قاله عبد الرحمن باهرمز لتلميذه عند تحكيمه في علوم القوم: "وفي علوم لم يطلع عليها ملك مقرب، ولا نبي مرسل، فأنت نائب عني، بل أنت أنا"[4].

وهذا التفضيل من القوم بناءً على فكر زنادقة المتصوفة كابن عربي الذي يعظمه القوم، حيث يرى أن مقام الولاية أعظم من مقام النبوة، وبالتالي فإن علوم الولي أعظم من علوم النبي، هذا كلام باطل.

مما سبق من النصوص يتضح أن غلاة الصوفية بين مساوٍ للولاية بالنبوة، وبين مستمدٍ مصدر معرفته من النبي، وبين آخذ العلم مباشرة عن الله ﷻ، ومنهم من فضل الولاية على النبوة، ومنهم من تنقص مقام النبوة، ومنهم من فضل علوم أوليائهم على علوم الأنبياء، وهذا كله من الأمور التي تتنافى مع العقيدة الصحيحة؛ عقيدة أهل السنة والجماعة.

الرد على غلاة الصوفية الذين فضلوا الأولياء على الأنبياء:

اتفق سلف الأمة وأئمتها وسائر أولياء الله تعالى على أن الأنبياء أفضل من الأولياء، ولكن الأولياء مهما بلغت مرتبهم في الولاية أو تعددت كراماتهم، فإن هذا كله، لا يجعل لهم مزية على غيرهم من الناس، إلا بحسن عبادتهم وتقواهم لله تعالى، والمعجزات التي تحصل

---

(1) انظر: الصوفية في حضرموت، ص652.

(2) أبو بكر بن سالم بن عبد الله السكاف الحضرمي، ولد 919-992هـ، متصوف، له تصانيف، ولد وتعلم في تريم، من بلاد حضرموت، من كتبه معراج الأرواح في التصوف. انظر الأعلام 64/2.

(3) الصوفية في حضرموت، ص652.

(4) السنا الباهر بتكميل النور السافر، تأليف: السيد محمد الشلي اليمني، تحقيق: إبراهيم بن أحمد المقحفي، ص381، ط1، 1425هـ-2004م، مكتبة الإرشاد، صنعاء الجمهورية.

للأنبياء وتجعلهم في مرتبة أعلى وكمالاً أرفع من الأولياء[1]، وقد أكد الرازي بقوة على هذه الحقيقة، ورآها ثابتة نقلاً وعقلاً، أما النقل فقول النبي ﷺ في حق أبي بكر ﷺ عن ابن عمر – رضي الله تعالى عنهما– قال: "كنا نخير بين الناس في زمن النبي ﷺ، فتخير أبا بكر ثم عمر ابن الخطاب، ثم عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنهما"[2] فدل هذا أن أبا بكر أفضل من كل ما ليس بنبي، وعلى هذا يقتضي الأمر أن يكون الأنبياء أفضل وأرجح حالاً من غيرهم[3].

وأفضل أمة هي أمة محمد ﷺ القرن الأول، وقد ثبت عن النبي ﷺ من غير وجه أنه قال: **[خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم]** [4].

وفي الصحيحين أيضاً أنه قال ﷺ: **[لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه]** [5].

والعقل يدل أيضاً على أن الولي الكامل في ذاته فقط، أما النبي فهو الذي يكون كاملاً في ذاته ومكملاً لغيره، وبدهي أن الثاني أفضل من الأول[6].

ويقــول ابن تيمية رادًا على هؤلاء: ومن ادعى أن من الأولياء الذين بلغتهم رسالة محمد ﷺ من له طريق إلى الله لا يحتاج فيه إلى محمد فهذا كافر ملحد، وإذا قال: أنا محتاج إلى محمد في علم الظاهر دون علم الباطن، أو في علم الشريعة دون علم الحقيقة؛ فهو شر من اليهود والنصارى الذين قالوا: إن محمداً رسول الله إلى الأميين دون أهل الكتاب.

وهؤلاء الملاحدة يدعون أن "الولاية" أفضل من "النبوة" ويلبسون على الناس فيقولون: ولايته أفضل من نبوته وينشدون:

مقام النبوة في برزخ فويق الرسول ودون الولي

ويقولون نحن شاركنا في ولايته التي هي أعظم من رسالته، وهذا من أعظم ضلالهم،والصحيح أن محمداً ﷺ بمقام نبوته ورسالته لم يماثله فيها أحدلا إبراهيم ولا موسى، فضلاً عن أن يماثله هؤلاء الملحدون[7].

---

(1) فخر الدين الرازي والتصوف، تأليف: د. أحمد محمود الجزار، ص152–153، ط2000م، الناشر، منشأة المعارف بالإسكندرية.

(2) صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل أبي بكر بعد النبي، 412/2، ح3655.

(3) التفسير الكبير، 266/10.

(4) صحيح البخاري، كتاب الشهادات، باب لا يشهد على شهادة جور إذ أشهد، 155/2، ح2651.

(5) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب قول النبي لو كنت متخذاً خليلاً، 415/2–416، ح3675.

(6) التفسير الكبير،266/10.

(7) انظر: فقه التصوف، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تهذيب وتعليق: الشيخ زهير شفيق الكلبي، ص132، دار الفكر العربي، بيروت.

ولا يكون من الولي وليًا إلا أن يكون موافقًا في جميع أحواله للكتاب والسنة ظاهرًا وباطنًا، بمعنى أن لا يرى جواز الزيادة في الدين والتبديل فيه وأن المعرض عنهما لا يسمى وليًا، وإنما يوصف بما وصفه رسول الله ﷺ: **[وَايْمُ اللَّهِ لَقَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى مِثْلِ الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا وَنَهَارُهَا]**(1) فكل من زاد أو أنقص، أو غيّر أو بدل، فهو مبتدع وهالك.

(1) سنن ابن ماجة، باب اتباع سنة رسول الله ﷺ، ص 13، ح5، حديث حسن.

المبحث السادس

محمد ﷺ أول الموجودات وخلقت الكائنات لأجله عند غلاة الصوفية

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: اعتقادهم بأن النبي خلق من نور.

المطلب الثاني: اعتقادهم بأن الكون خلق من نور محمد ﷺ.

المطلب الثالث: اعتقادهم بأن الكون خلق من أجل محمد وأن جميع العلوم جزء من علومه.

المـــبحث السادس

محمد ﷺ أول الموجودات وخلقت الكائنات لأجله عند غلاة الصوفية

تـــمهيد:

لقد انحرف الصوفية تجاه النبي ﷺ انحرافاً خطيراً تجاوزا به المنزلة التي أنزله الله فيها، حيث اعتقد غلاة الصوفية أن النبي ﷺ أول المخلوقات، وأنه خلق من نور الله تعالى، وأن أصل خلقه كان قبل آدم وإن تأخرت ولادته ونبوته، فهو نبي عندهم منذ أن كان نوراً، وجميع الأنبياء مخاطبون بدعوته.

المطلب الأول: اعتقادهم بأن النبي خلق من نور والرد عليه:

لقد انحرف غلاة الصوفية في الزمن الذي خلق فيه النبي محمد ﷺ وفي المادة التي خلق منها، فادعوا بأنه أول مخلوق وأنه مخلوق من نور وأن جميع مخلوقات الله تفرعت عنه، وهذه بعض النصوص من كتبهم:

أولاً: النصوص الدالة على اعتقادهم بذلك:

يقول الحلاج: "أنوار النبوة من نوره برزت، وأنوارهم من نوره ظهرت، وليس في الأنوار نور أنور ولا أظهر ولا أقدم من القدم سوى نور صاحب الحرم، همته سبقت الهمم ووجوده سبق العدم، واسمه سبق القلم"(1).

وأيضاً من الذين قالوا بأن محمداً أول مخلوق عبد الكريم الجيلي حيث قال: "إن العقل المنسوب إلى محمد ﷺ خلق الله جبريل منه في الأزل فكان محمد ﷺ أبٌ لجبريل وأصلاً لجميع العالم وسمي العقل الأول بالروح الأمين لأنه خزانة علم الله وأمينه ويسمى بهذا الاسم جبريل من تسمية الفرع باسم أصله..."(2).

فقول الجيلي يدل دلالة واضحة بأن المتصوفة يعتقدون بأن محمداً ﷺ أول موجود وأصل لجميع الموجودات.

ويقرر القوم هذا الاعتقاد الباطل وهو دعوى أولية خلق النبي ﷺ على سائر المخلوقات بقولهم: "فصار نبياً وكتب اسمه على العرش ليعلم ملائكته وغيرهم كرامته عنده، فحقيقته

---

(1) ديوان الحلاج، ص145.

(2) الإنسان الكامل، ص166.

موجودة من ذلك الوقت، وإن تأخر جسده الشريف المتصف بها، فنحو إيتائه النبوة، والحكمة، وسائر أوصاف حقيقته وكمالاتها معجل، لا تأخر فيه، وإنما المتأخر تكونه وتنقله في الأصلاب والأرحام الطاهرة إلى أن ظهر ﷺ"(1).

والأحاديث التي اعتمد عليها المتصوفة تتمثل في الأحاديث الآتية:-

1- الحديث الموضوع الذي ينسبونه إلى النبي ﷺ ولفظه: "كنت نبياً وآدم بين الماء والطين"(2).

2- ومن أدلتهم أيضاً الحديث الموضوع وهذا لفظه: "كنت نبياً وآدم لا ماء ولا طين"(3).

ثانياً: الرد على معتقدهم في مبدأ خلق النبي ﷺ:

ويرد عليهم بأن الاعتقاد أن نور النبي ﷺ أول المخلوقات قول باطل، والأحاديث التي استدل بها غلاة الصوفية على ذلك أحاديث موضوعة لا تقوم بها حجة ولا يعتمد عليها لإثبات أمر عقدي، فالنبي محمد ﷺ ليس هو أول مخلوق ولا هو مخلوق من نور كما يزعمون؛ بل هو بشر كسائر البشر كما أمره الله تعالى أن يعلنها في الملأ، وقال تعالى: ﴿**قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ...**﴾ [الكهف:110] والنبي ﷺ كسائر الناس خلق من أب وأم، فحملته أمه ووضعته كما تضع الأمهات لقول الله ﷻ: ﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ ۝ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ۝ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا العَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا المُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا العِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الخَالِقِينَ**﴾ [المؤمنون:12-14} وعلى هذا نقول إن أول مخلوق بشري هو آدم ؑ وبما أن الرسول من ذرية آدم ؑ فهو بشر إذاً وقد خلق مما يخلق منه البشر كما في قوله تعالى: ﴿**إِنَّا خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا**﴾[الإنسان:2] والبشر مخلوقون من تراب لا من نور والآيات الدالة على ذلك كثيرة فمنها: قوله تعالى: ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ**﴾ [الرُّوم:20] وقوله ﷻ: ﴿**وَاللهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلاَ**

(1) الإنسان الكامل ، ص3.

(2) سلسلة الأحاديث الضعيفة، تأليف: الشيخ محمد ناصرالدين الألباني، ج473/1، رقم الحديث 302، ط2، 1425هـ-2000م، مكتبة المعار للنشر.

(3) سلسلة الأحاديث الضعيفة، للألباني، ج473/1، رقم الحديث 303.

تَضَعُ إِلاَ بِعِلْمِهِ...﴾[فاطر:11] فرب العزة يخبرنا في هذه الآيات أن رسوله محمداً ﷺ بشر، وأن البشر مخلوقون من تراب.

وقد بين تعالى في كتابه الكريم أن الملائكة ما كانت تعرف البشر قبل خلق آدم عليه السلام، كما ذكر الله تعالى عنهم بقوله سبحانه: ﴿ **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ۞ وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى المَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاَءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۞ قَالُوا سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ العَلِيمُ الحَكِيمُ ۞ قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ۞ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الكَافِرِينَ﴾** [البقرة:30-34} وفي هذه الآيات الكريمة بيان واضح لمن تدبر نصوص القرآن بأن النبي ﷺ بشر، وأنه خلقه كما خلق سائر البشر.

وفي هذه الآيات أيضاً نص صريح بأن الملائكة لم تعرف قبل آدم عليه السلام أحداً من البشر؛ بل ســألت الله تعالى بتعجب كيف يجعل في الأرض خليفة، وهم يسبحونه ويقدسونه، فبين لهم الله ﷻ شرف آدم ومنزلته عنده سبحانه.

وبينت السنة النبوية حقيقة خلق الإنسان والمادة التي خُلق منها، حيث ثبت في الصحيح أن النبي محمداً ﷺ أنه قال: **[خُلِقَتْ الْمَلائِكَةُ مِنْ نُورٍ وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ]**[1] وليس تفضيل بعض المخلوقات على بعض باعتبار ما خلقت منه فقط؛ بل قد يخلق المؤمن من كافر، والكافر من مؤمن، كابن نوح منه، وكإبراهيم من آزر، وآدم خلقه الله من طين، فلما سواه، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له الملائكة، وفضله عليهم بتعليمه أسماء كل شيء، وبأن خلقه بيديه، وبغير ذلك، فهو وصالحوا ذريته أفضل من الملائكة، وإن كان هؤلاء مخلوقين من طين، وهؤلاء من نور[2].

(1) صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب في أحاديث متفرقة، ص1143، رقم الحديث 2996.
(2) انظر: فقه التصوف، ص63.

المطلب الثاني: اعتقادهم بأن الكون خلق من نور محمد ﷺ:

إن اعتقاد المتصوفة بأن جميع ما في هذا الكون من أرض وسماء خلق من نور محمد ﷺ واضح جلي جداً، ويظهر هذا المعتقد في كتبهم الخاصة وصلواتهم التي ابتدعوها من عند أنفسهم.

أولاً: النصوص الدالة على اعتقادهم بأن الكون خلق من نور محمد ﷺ:

قال أحمد بن مبارك السلجماسي في كتابه الإبريز فيما يرويه عن شيخه عبد العزيز الدباغ[1]: "(وسمعته) ﷺ يقول في قوله: "وانفلقت الأنوار" إن أول ما خلق الله تعالى نور سيدنا محمد ﷺ ثم خلق منه القلم والحجب السبعين وملائكتها ثم خلق اللوح ثم قبل كماله وانعقاده خلق العرش والأرواح والجنة والبرزخ.

أما العرش فإنه خلقه تعالى من نور وخلق ذلك النور من النور المكرم نور نبينا ومولانا محمد ﷺ وخلقه أي العرش ياقوته عظيمة لا يقاس قدرها وعظمها وخلق في وسط هذه الياقوتة جوهرة فصار مجموع الياقوتة والجوهرة كبيضة بياضها هو الياقوتة وصفارها هو الجوهرة ثم إن الله تعالى قد أمد تلك الجوهرة وسقاها بنوره ﷺ فجعل يخرق الياقوتة ويسقي الجوهرة فسقاها مرة ثم مرة ثم مرة إلى أن انتهى إلى سبع مرات فسالت الجوهرة بإذن الله تعالى فرجعت ماءً ونزلت إلى أسفل الياقوتة التي هي العرش خلقهم من صفاته وخلق من ثقله الريح؛ وله قوة وجهد عظيم فأمرها تعالى أن تنزل تحت الماء فسكنت تحته فحملته ثم جعلت تخدم وجعل البرد يقوى في الماء فأراد الماء أن يرجع إلى أصله ويجمد فلم تدعه الرياح بل جعلت تكسر شقوقه التي تجمع وجعلت تلك الشقوق تتعفن ويدخلها الثقل والنتون وشقوق تزيد على شقوق ثم جعلت تكبر وتتسع وتذهب إلى جهات سبع وأماكن سبع فخلق الله منه الأرضين السبع ودخل الماء بينها والبحور وجعل الضباب يتصاعد من الماء لقوة جهد الريح ثم جعل يتراكم فخلق الله منه السموات السبع ثم جعلت الريح تخدم حدقة عظيمة على عادتها أولاً وآخراً فجعلت النار تزيد في الهواء من قوة حرق الريح للماء والهواء وكلما ازداد لهب النار أخذتها الملائكة وذهبت بها على محل جهنم اليوم فذلك أصل جهنم اليوم فالشقوق التي تكونت منها الأرضون تركوها على حالها والضباب التي تكونت منه السموات تركوه على حاله والنار التي زندت في الهواء أخذوها ونقلوها على محل آخر لأنهم لو تركوها لأكلت الشقوق التي فيها الأرضون السبع والضباب الذي منه السموات بل تأكل الماء وتشربه بالكلية لقوة جهد الريح ثم إن الله تعالى خلق ملائكة الأرضين من نوره ﷺ وأمرهم أن يعبدوه عليها.

---

(1) انظر الإبريز، ص376-378.

وأما البرزخ فنصفه الأعلى من نوره ﷺ، فخرج من هذا أن القلم واللوح ونصف البرزخ والحجب السبعين وجميع ملائكتها وجميع ملائكة السموات والأرضين كلها خلقت من نوره ﷺ بلا واسطة، وأن العرش والماء والجنة والأرواح خلقت من نور خلق من نوره ﷺ، ثم بعد هذا فهذه المخلوقات أيضاً سقيت من نوره ﷺ، أما القلم فإنه سقي سبع مرات سقياً عظيماً وهو أعظم المخلوقات، بحيث أنه لو كشف نوره لجرم الأرض لتدكدكت وسارت رميماً، وكذلك الماء فمنه سقي سبع مرات ولكن ليس كسقي القلم، وأما الحجب السبعون فإنها في سقي دائم.

وأما العرش فإنه سقي مرتين مرة في بدء خلقه ومرة عند تمام خلقه كي تستمسك ذاته وكذا الجنة فإنها سقيت مرتين مرة في بدء خلقها ومرة بعد تمام خلقها لتستمسك ذاتها وأما الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وكذا سائر المؤمنين من الأمم السابقة ومن هذه الأمة فإنهم سقوا ثمان مرات.

الأولى:- في عالم الأرواح حين خلق الله نور الأرواح جملةً فسقاه.

الثانية:- حين جعل يصور منه الأرواح فعند تصور كل روح سقاها بنوره ﷺ.

الثالثة:- يوم "﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف:172]" فإن كل من أجاب الله تعالى من أرواح المؤمنين والأنبياء عليهم الصلاة والسلام سقي من نوره ﷺ لكن منهم من سقي كثيراً ومنهم من سقي قليلاً فمن هنا وقع التفاوت بين المؤمنين حتى كان منهم أولياء وغيرهم وأما أرواح الكفار فإنها كرهت شرب ذلك النور وامتنعت منه فلما رأت ما وقع للأرواح التي شربت منه من السعادة الأبدية والارتقاءات السرمدية ندمت وطلبت سقيا فسقيت من الظلام والعياذ بالله.

الرابعة:- عند تصويره في بطن أمه وتركيب مفاصله وشق بصره فإن ذاته تسقى من النور المكرم لتلين مفاصله وتنضج أسماعها وأبصارها ولولا ذلك ما لانت مفاصلها.

الخامسة:- عند خروجه من بطن أمه فإنه يسقى من النور المكرم ليلهم الأكل من فمه ولولا ذلك ما أكل من فمه أبداً.

السادسة:- عند التقامه ثدي أمه في أول وضعه فإنه يسقى من النور الكريم أيضاً.

السابعة:- عند نفخ الروح فيه فإنه لولا سقيا الذات بالنور الكريم ما دخلت فيها الروح أبداً ومع ذلك فلا تدخل فيها إلا بكلفة عظيمة وتعب يحصل للملائكة معها ولولا أمر الله تعالى لها ومعرفتها به ما قدر ملك على إدخالها بالذات.

ويظهر معتقد المتصوفة بأن كل ما في الكون خلق من نور محمد ﷺ في الصلوات التي ابتدعوها للصلاة بها على الرسول ﷺ وهي مملوءة بالباطل.

ومن نماذج هذه الصلوات، الصلاة الأولى التي يتعبد بها المتصوفة ويتلونها صباح مساء الصلاة الآتية وهي:-

1- "اللهم صل وسلم على الجمال الأنفس والنور الأقدس والحبيب من حيث الهوية والمراد في اللاهوتية مترجم كتاب الأزل والمتعالي بالحقيقة عن حقيقة الأثر والمخصوص الأول والحكمة السارية في كل موجود ... روح صور الأسرار الملكوتية محمدك وأحمدك وتر العدد ولسان الأبد العرش القائم بتحمل كلمة الاستواء الذاتي فلا عارض المتجلي بسلطان عصرك على ظلم الأغيار لمحق كل معارض النقطة التي عليها مداد حروف الموجودات بجميع الاعتبارات ... لوح الأسرار ونور الأنوار ومظهر أنوار اللاهوت في ناسوت المثل القائم بكل حقيقة سرياناً وتحكيماً ... المتجلي بملابس الحقائق الفردانية الحافظ على الأشياء قواها المحد لذرات الكائنات بما به برزت من العدم إلى الوجود بقدرتك كعبة الاختصاص الرحماني ... أقنوم الوحدة ولا أقنوم إنما نورك بنورك موصول"(1).

ثانياً: الرد على معتقدهم في أن الكون خلق من نور محمد ﷺ:

إذا أمعنا النظر في النصوص الواردة عن أئمة التصوف نجدهم قد صرحوا تصريحاً واضحاً من خلال نصوصهم وصلواتهم أن كل ما في هذا الكون من أرض وسماء وما فيهما وما بينهما؛ بل وما فوق السموات السبع خلق من نور محمد ﷺ.

والصلوات التي ابتدعوها تصرح بأن محمداً نور الله وأنه مظهر سر الله الجامع وأن الله خلق هذا العالم من نوره وأنه لولا محمد لما وجد شيء واحد مما في هذا الكون، ووصفوه أيضاً بأنه عرش قائم وأن الموجودات كلها تدور حوله وأنه لوح الأسرار ونور الأنوار وأنه المظهر الحقيقي لأنوار الألوهية.

وهذه كلها معتقدات باطلة أتى بها المتصوفة من الديانات الوثنية القديمة وإلا فالرسول ﷺ ليس بنور كما يزعم المتصوفة؛ بل هو بشر خلق مثل البشر من نطفة وما يمتاز به عن البشر بأن الله أوحى إليه وحياً، وأمره بإبلاغ هذا الوحي إلى الإنس والجن وقد بلغه أتم تبليغ.

---

(1) أفضل الصلوات على سيد السادات، تأليف: العلامة يوسف النبهاني، ويليه صلوات المحبين، تأليف: أحمد عبدالجواد، عني به: بشار بكري عرابي الدمشقي، ص50-53، قباء للنشر.

وليس الرسول مظهراً من مظاهر الله كما يزعم غلاة المتصوفة لأن الرسول مخلوق وبين الخالق والمخلوق فرق بعيد لا يمكن أن يحصل بينهما حلول بأي حال من الأحوال.

فكل النصوص والصلوات التي أوردتها عن غلاة الصوفية باطلة ومناقضة لما في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، والحق أن أهل السنة لا ينفون النور الذي جاء به ﷺ وهو نور الوحي الذي أخرج به النبي الكريم ﷺ الناس من الظلمات إلى النور، كما قال تعالى: ﴿**يَا أَهْلَ الكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ۞ يَهْدِي بِهِ اللهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**﴾ [المائدة:15-16].

المطلب الثالث: اعتقادهم بأن الكون خلق من أجل محمد ﷺ وأن جميع العلوم جزء من علمه:

لقد غلا المتصوفة في الرسول ﷺ غلواً شديداً وصل بهم إلى القول بأن الكون خلق من أجل محمد ﷺ، وأن جميع العلوم التي أوحيت إلى الرسل وأن جميع المعجزات التي صدرت منهم إنما أوحيت إليهم من على الرسول ﷺ.

أولاً: النصوص الدالة على اعتقادهم بأن الكون خلق من أجل محمد ﷺ:

1- قول ابن نباتة المصري[1] والذي قال معبراً عن معتقده:

لولاه ما كان أرض ولا أفق ... ولا زمان ولا خلق ولا جيل
مناسك فيها للهدى شهب ... ولا ديار بها للوحي تنزيل[2]

فيدعي ابن نباتة أن كل ما في الكون من أرض وسماء، وما فيهما من خلق من أجل محمد ﷺ وهذا معتقد باطل لأن الله لم يخلق الإنس والجن وكل ما في الكون إلا لعبادته ﷻ.

(1) ابن نباتة هو محمد بن محمد بن الحسن الجذامي المصري، أبو بكر، جمال الدين، شاعر عصره، مولده ووفاته في القاهرة سنة 686هـ-1287م، سكن الشام، له ديوان شعر، انظر الأعلام 38/7.

(2) انظر: مقال بعنوان: المديح النبوي في الخطاب الشعري الناصري، بقلم: محمد شداد الحراق، أصدر بتاريخ 9-11-2011م www.diwanalarab.com

ثانياً: شبهتهم:

قال شيخ الإسلام: "ومثل هذا لا يجوز أن تبنى عليه الشريعة ولا يحتج به في الدين باتفاق المسلمين، فإن هذا من جنس الإسرائيليات ونحوها التي لا يعلم صحتها إلا بنقل ثابت عن النبي ﷺ، وهذه لو نقلها مثل كعب الأحبار ووهب ابن منبه وأمثالهما ممن ينقل أخبار المبتدأ وقصص المتقدمين عن أهل الكتاب لم يجز أن يحتج بها في دين المسلمين باتفاق المسلمين، فكيف إذا نقلها من لا ينقلها لا عن أهل الكتاب ولا عن ثقات علماء المسلمين؛ بل إنما ينقلها عمن هو عند المسلمين مجروح ضعيف لا يحتج بحديثه، واضطرب عليه فيها اضطراباً يعرف [به] أنه لم يحفظ ذلك، ولم ينقل ذلك ولا ما يشبهه أحد من ثقات علماء المسلمين الذين يعتمد على نقلهم، وإنما هي من جنس ما ينقله إسحاق بن بشر(1) وأمثاله في كتب المبتدأ، وهذه لو كانت ثابتة عن الأنبياء لكانت شرعاً لهم، وحينئذ فكان الاحتجاج بها مبنياً على أن شرع من قبلنا هل هو شرع لنا أم لا؟ والنزاع في ذلك مشهور. لكن الذي عليه الأئمة وأكثر العلماء أنه شرع لنـــا ما لم يـــرد شرعنا بخلافه، وهذا إنما هو فيما ثبت أنه شرع، لمن قبلنا من نقل ثابت عن نبينا ﷺ أو بما تواتر عنهم، لا بما يروى على هذا الوجه، فإن هذا لا يجوز أن يحتج به في شرع المسلمين أحد من المسلمين"(2).

اعتقادهم أن جميع العلوم جزء من علمه:

فالبوصيري الشاعر الصوفي المشهور والذي يتغنى المتصوفه بأشعاره قال مغرداً بعقيدة الصوفية تجاه محمد ﷺ وذلك في قصيدة البردة.

1- يقول البوصيري:

وكيف تدعو إلى الدنيا ضرورة ... من لولاه لم تخرج الدنيا من العدم(3)

ولا يخفى ما في عجز هذا البيت من الغلو الشنيع في حق نبينا محمد ﷺ؛ حيث زعم البوصيري أن هذه الدنيا لم توجد إلا لأجله ﷺ، وقد قال ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَ لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:56]،(4) وحتى محمد ﷺ عندما خلقه الله ﷻ خلقه من أجل العبادة والدعوة إليه، يقول الله تعالى: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ اليَقِينُ﴾ [الحجر:99] .

(1) إسحاق بن بشر بن محمد بن عبد الله بن سالم الهاشمي، أبو حذيفة البخاري، ولد 206هـ - 821م، مؤرخ، ولد ببلخ، واستوطن بخارى، واستقدمه هارون الرشيد إلى بغداد، فحدث بها، وعاد إلى بخارى فتوفي فيها، له كتاب المبتدأ. الأعلام 294/1.

(2) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة، ابن تيمية، ص120.

(3) البردة، ص40.

(4) قوادح عقدية في بردة البوصيري، تأليف الشيخ عبدالعزيز آل عبداللطيف، ص5، ضمن موسوعة الرد على الصوفية.

2- قال البوصيري:

فاق النبيين في خَلق وفي خُلق	ولم يدانوه في علم ولا كرم
وكلهم من رسول الله ملتمس غرفاً	من البحر أو رشفاً من الديم[1]

أي أن جميع الأنبياء السابقين قد نالوا والتمسوا من خاتم الأنبياء محمد ﷺ فالسابق استفاد من اللاحق! فتأمل ذلك وقارن بينه وبين مقالات زنادقة الصوفية كالحلاج القائل: إن للنبي نوراً أزلياً قديماً كان قبل أن يوجد العالم، ومنه استمد كل علم وعرفان؛ حيث أمَّد الأنبياء السابقين عليه[2].

وقال أيضاً:

وكل آي أتى الرسل الكرام بها	فإنما اتصلت من نوره بهم
فإنه شمس فضيل هم كواكبها	يظهرن أغوارها للناس في الظلم[3]

فهذه الأبيات توضح معتقد الصوفية تجاه الرسول ﷺ حيث صرح بأن جميع العلوم التي أوحيت إلى الرسل وجميع المعجزات التي أجراها الله ﷻ على أيديهم إنما هي من نور محمد ﷺ، وذلك بناءً على معتقد الصوفية بأن الرسول ﷺ مخلوق من النور وهو معتقد باطل كما سبق والمعتقد الذي بنوه عليه أيضاً باطل لأنه مبني على الباطل والمبني على الباطل ليس له إلا أن يكون باطلاً.

ولأنه مخالف لما جاء في الكتاب والسنة فقال الله تعالى: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَ لِيَعْبُدُونِ ۞ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ ۞ إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو القُوَّةِ المَتِينُ**﴾ [الذاريات:56-58].

فمن خلال هذه الآية يتضح أن كل ما في الكون من إنس وجن وكافة المخلوقات خلقت لغاية واحدة ألا وهي عبادة الله وحده لا شريك له.

والرسول محمد ﷺ خلقه الله ﷻ من أجل عبادته، وإن فضله على غيره بالرسالة الخاتمة الباقية إلى يوم القيامة، ومع ذلك فليس الكون مخلوقاً من أجله؛ بل هو مخلوق من أجل عبادة الله ﷻ.

وبذلك فالأدلة التي اعتمد عليها غلاة الصوفية لإثبات هذه العقيدة الباطلة أدلة غير صحيحة لأنها مخالفة للكتاب والسنة.

---

(1) البردة، ص45-46.

(2) انظر: حقوق النبي بين الإجلال والإخلال، تأليف: صالح بن فوزان الفوزان "مقدم"، محمد إسماعيل العمراني، "مقدم مشارك"، ص193، ط1، 1422هـ- 2001م.

(3) البردة، ص55-56.

المبحث السابع
تفضيل أذكارهم على الأذكار النبوية
عند غلاة الصوفية

ويشتمل على خمسة مطالب:

المطلب الأول: مفهوم الذكر لغةً واصطلاحاً.

المطلب الثاني: أنواع الذكر مع الرد عليهم.

المطلب الثالث: الأذكار والصلوات الصوفية.

المطلب الرابع: الخلوة عند الصوفية والـــرد عليهـــم.

المطلب الخامس: الحضرة عند الصوفية والرد عليهم.

المبحث السابع

تفضيل أذكارهم على الأذكار النبوية

تمهيد:

للذكر أهمية عظيمة عند أهل السنة والجماعة، وهناك اختلاف بين الذكر عند غلاة الصوفية، وأهل السنة، فيقول ابن القيم رحمه الله: " في فوائد وأهمية الذكر أنه يطرد الشيطان، ويرضي الرحمن ﷻ، ويزيل الهم والغم عن القلب، ويجلب للقلب الفرح والسرور، وينور القلب والبدن، ويجلب الرزق، ويكسو الذاكر المهابة والمراقبة، حيث يدخله في باب الإحسان، ويؤمن العبد من الحسرة يوم القيامة"[1].

المطلب الأول: الذكر لغةً واصطلاحًا:

1- **الذكر في اللّغة:** ذكر يذكره ذكراً بمعنى الحفظ للشيء، والذكر جري الشيء على لسانك[2]، الذكر بالكسر: الشيء الذي يجري على اللسان[3].

2- **وفي الاصطلاح:** " تمجيد الله تعالى، وتقديسه، وتسبيحه، وتهليله، والثناء عليه بجميع محامده، سواء بالقلب، أو اللسان أو الجوارح" [4]، والذكر: الصلاة لله والدعاء إليهم والثناء عليه.

الذكر في اصطلاح الصوفية: هو تردد اسم المذكور على القلب واللسان، وقيل امتلاء القلب من المذكور، وقيل طمأنينة بمعاينة الله، وقيل طلوع الأنوار برؤية القهار وبلوغ الأماني بسر وجداني[5].

وبعد ذكر تعريف الذكر عند أهل السنة والجماعة والصوفية، يتضح مما سبق أن هناك اختلافًا واضحًا بينهم، فهم يلتقون مع أهل السنة في أن الذكر قراءة للقرآن، واستغفار من الذنوب

---

(1) الوابل الصيب من الكلم الطيب، تأليف: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، تحقيق: محمد عبد الرحمن عوض، ص60، مؤسسة أم القرى، ط1، 1424 هـ - 2003م.

(2) انظر: لسان العرب، 359/4.

(3) القاموس المحيط، ص357.

(4) انظر: شرح رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، لابن عثيمين، إشراف: أ.د. عبدالحميد مدكور، 1504/2، ط1، 1423هـ- 2002م، دار السلام للطباعة والنشر.

(5) دائرة معارف البستاني، ص1884، إعداد: محمود عباس مسعود، 29-12-2009م، أخذ بتاريخ 8-7-2012م www.wata.com

والمعاصي، ولكن يزيدون عليه ما يعرف باسم الذكر المفرد، وهو الذكر الذي تقوم عليه الحضرات حيث يذكرون الله قيامًا وقعودًا مع التمايل بحركات تناسب كل اسم من الأسماء التي يذكر بها الشيخ ربه.

وأيضًا خلال ما سبق من تعريفاتٍ للذكر يتضح حقيقة تقسيم الذكر بين العلماء إلى أقسام، وهي: ذكر القلب، وذكر اللسان، وذكر الجوارح، وليس كما زعم غلاة التصوف أن الذكر مقصور فقط على ذكر القلب واللسان، مع المبالغة في ذكر القلب

المطلب الثاني: انواع الذكر مع الرد عليهم:

أولًا: أنواع الذكر عندهم مع الرد على كل نوع من هذه الأنواع:

1. النوع الأول: الذكر المفرد:

أما الصوفية فيزيدون على معاني الذكر السابقة، ما يعرف لديهم بالذكر المجرد، أو الذكر المفرد: وهو ذكر اللهم الله (الله) هو أقوى أنواع الذكر تحقيقًا لقوله تعالى: ﴿ **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ** ﴾ [العلق:1] في رأيهم[1].

"وهو الذي تقوم عليه الحضرات، حيث يذكرون الله قيامًا، أو قعودًا، مع التمايل بحركات تناسب كل اسم من الأسماء، أو طبقة الصوت التي يذكر بها الشيخ سواء بمزمار، وربما بمنشد يمدح النبي ﷺ ويستلهم المدد[2] من مشايخ الطريق الأحياء، والمنتقلين إلى الدار الآخرة"[3].

الرد على الغلاة بخصوص الذكر المفرد:

إننا لو بحثنا في السنة لا نجد تركيزًا على ذكر اسم الله المفرد، كما هو موجود عند غلاة الصوفية، لأن الكتاب والسنة فيها حضٌ عامٌ على الذكر بأنواعه المختلفة، وكثيرًا ما ذكر الصحابة بصيغ لم يتلقوها من رسول الله ﷺ، فأي ذكر لله ﷻ سواء كان ذكر اسم أو كان تسبيحًا أو دعاء أو صلاة على رسول الله ﷺ أو غير ذلك، فإنه داخل تحت العموميات العامة، وصاحبه مأجور ومشكور"[4].

---

(1) تربيتنا الروحية، تأليف: سعيد حوى، ص266، ط1409هـ-1989م، دار عمار، بيروت – عمان.

(2) المدد: لفظة شيعية الأصل، يستعملها الصوفية في حلقاتهم، والبديل عنها: "مدد يا رب" "مدد يا الله". انظر: تربيتنا الروحية، ص280.

(3) عقائد الصوفية في ضوء الكتاب والسنة، تأليف: محمود المراكبي، ص429، ط3، سلسلة الظاهر والباطن، الكتاب الثالث، الباب الثاني عشر.

(4) انظر: تربيتنا الروحية، ص266.

أما ما يستدل به البعض على مشروعية هذا الذكر، فهي شبهات باطلة ساقطة لا تدل على مشـــروعية هـــذا النوع من الذكـــر أبدًا ومن هذه الأدلة ما جاء عن أنس بن مالك ﷺ أن النبي ﷺ قال: **[لاَ تَقُوْمُ الساعَةُ عَلَى أَحَدٍ يَقُولُ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله]**[1].

وليس في الحديث دليل على الذكر المفرد بالإسلام، وذلك من وجهين: (أين 2)

1- أن بعض الروايات جاء فيها: **[لاَ تَقُوْمُ الساعَةُ حَتَّى لَا يُقَال فِيْ الْأَرْضِ الله الله]**[2].

ومعنى قوله: **[حَتَّى لَا يُقَال فِيْ الْأَرْضِ الله الله]**، أي: لا يبقى في الأرض مسلم يقول كلمة التوحيد "لا إله إلا الله" وأخطأ من استنبط من المتأخرين من هذا الحديث مشروعية الذكر بالاسم المفرد[3].

2- ولم يثبت أيضًا عن النبي ﷺ أنه بايع أحداً من أصحابه أو على عهده على نحو ما يفعله مشايخ الطرق الصوفية من أخذ العهد على مريديهم بأن يذكروا الله بأسماء مفردة معينة من أسماء الله كالله وحي وقيوم ويتخذوا ذلك وردًا لهم يلتزمونه ويرددونه كل يوم وليلة لا يتجاوزون تلك الأسماء إلى غيرها من أسماء الله إلا بإذن الشيخ وإلا كان عاصيًا للشيخ مسيئًا للأدب معه، وخيف عليه من خدم الأسماء أن يصيبوه بسوء لمجاوزته الحدود فإنه لم يعرف عنه أنه ذكر الله بالاسم المفرد مثل حي أو قيوم أو حق أو الله ولا أمر بالذكر به أو باتخاذه وردًا يردد كل يوم وليلة، وبهذا يعلم أن ما يفعله الصوفية اليوم بدعة محدثة وضلالة ممقوتة[4].

ولذا لا يجوز لأي شيخ أن يلزم مريده بأن يقتصر على الذكر باسم الله المفرد، بل على الإنسان أن يتأسى برسول الله ﷺ في طريقة الذكر ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا**﴾ [الأحزاب:21] لأن النبي ﷺ يدعو للالتزام بالذكر الذي دعا إليه الله ﷻ من التسبيح والتكبير وقراءة القرآن والحمد والشكر والاستغفار، وكل ذلك له أثر بالغ في تربية النفس وتزكيتها وأما ما يرى في حلقات الصوفية باستخدام كلمة مدد أثناء نشيدهم وأثناء الذكر فهو شرك، فالاعتقاد أن غير الله تعالى يملك قوة غيبية يستطيع أن يسمع به

---

(1) صحيح ابن حبان ، ذكر الإخبار عن وصف الناس الذين يكون قيام الساعة على رؤوسهم، 262/15، ح6848.
(2) صحيح ابن حبان ، 263/15، ح6849.
(3) المصدر نفسه، 263/15.
(4) انظر مقال بعنوان: أخطاء الصوفية وبدعهم، أصدر بتاريخ 22 – 4 – 2011م، مجموع فتاوى اللجنة الدائمة بالسعودية، المجلد 21 (العقيدة)، أخذ بتاريخ 13 – 7 – 2012م www.almostafa.montadamoslim

ادعاء من يستمده، ويعلم حاجته ثم يمده بما هو في حاجة إليه، وهذا الاعتقاد هو الذي يقطع لهم أن يتجهوا إلى غير الله في طلب ما لا يقدر عليه إلا الله وذلك هو الشرك الصريح القبيح(1).

2. **النوع الثاني: الذكر بالقلب:**

يُعد ذكر القلب هو الأساس للذكر، ولكن أيضاً لا يقتصر الذكر على القلب فقط عند منهج أهل السنة والجماعة؛ بل يشمل جميع الجوارح، بينما الغلاة فضلوا ذكر القلب، وجعلوا منزلته أسمى المنازل، يقول الكردي في بعض نظمه في بيان مكانة الذكر الخفي:

بقلـب فاذكـر الله خـفياً عن الخلق بلا حـرف وقـال

وهذا الذكر أفضل كل ذكر بهذا قد جرى قـول الرجـال (2)

فقد قاموا بتقسيم الذكر إلى قسمين: ذكر اللسان، وذكر القلب، مع تفضيل ذكر القلب على اللسان، وهذا النص يثبت قولهم، حيث يقول الكردي: " اعلم أن الذكر نوعان قلبي، ولساني، ولكل منهما شواهد من الكتاب والسنة، فالذكر اللساني: باللفظ المركب من الأصوات، والحروف لا يتيسر للذاكر في جميع الأوقات، فإن البيع، والشراء، ونحوهما يلهيان الذاكر عنه البتة بخلاف الذكر القلبي فإنه يكون بملاحظة مسمى ذلك اللفظ المجرد عن الحروف، والأصوات، وإذاً فلا شيء يلهي الذاكر عنه " (3).

الرد على الغلاة بخصوص الذكر بالقلب:

ذِكْرُ الله تعالى مهم في حياة المسلمين؛ لأنه من أفضل القربات وأجلها عند الله، وتقسيم غلاة الصوفية لذكر الله فقط بالذكر القلبي والذكر اللساني، تقسيم مقبول نوعا ما، ولكن تفضيل الذكر القلبي على اللساني بالمطلق فهذا لا يقبل، وقد نص أهل العلم على أن من أفضل أنواع الذكر، ذكر اللسان مع حضور القلب، وقال النفراوي نقلًا عن القاضي عياض: "ذكر الله ضربان: ذكر بالقلب فقط، وذكر باللسان مع القلب، وذكر القلب نوعان، وهو أرفع الأذكار، وأجلها التفكير في عظمة الله وجلاله، والثاني: ذكره تعالى بمعنى استحضاره بالقلب عند أمره

(1) مقال بعنوان: "المدد من ضلالات الصوفية"، للشيخ أبوالوفاء محمد درويش، أصدر بتاريخ 16 أيار 2012، مجلة الهدي النبوي www.lakii.com

(2) تنوير القلوب، ص320

(3) المصدر السابق، ص320.

ونهيه، والأول من هذين أفضل من الثاني، والثاني أفضل من الذكر باللسان، أي مع القلب، وأما الذكر بمجرد اللسان، فهو أصناف الأذكار، وإن كان فيه ثواب، ومن هذا يتبين أن ذكر اللسان فقط وانشغال القلب بأي شيء آخر، فهو إن كان صاحبه يؤجر على شغل لسانه بذكر الله تعالى، لكن لا يبلغ درجة من يجمع ذكر اللسان والقلب معًا[(1)].

3. المظهر الثالث: الذكر الجماعي:

مفهوم الذكر الجماعي: هو ما ينطق به المجتمعون للذكر بصوت واحد، يوافق بعضهم بعضاً[(2)].

وهذا النوع من الذكر له مظاهره وصور التعبير عنها، فهو ترجمة لخلجات النفس وأحاسيس الفكر وأشواق الروح، باستعمال الكلمة والعبارة كالمديح والثناء والتقديس والتسبيح[(3)].

ومما يؤخذ على غلاة الصوفية أنهم كانوا يحافظون على الذكر بالقلب جماعة، وليس أفراداً، فقد ورد عن بعض شيوخهم كما ذكر الكردي: " ولما تشرّفْتُ بلقائه يوم الختم، وكنا نحضر من العصر نشتغل بالذكر القلبي إلى أن يجيء وقت الختم من الليل"[(4)]، ويقومون بأداء أذكار مخصصة يتناولونها فيما بينهم، ومن هذه الأذكار الجماعية المقدسة عند الغلاة: الذكر الخواجكاني، وهو مشهور عندهم، يقول الكردي: " الخواجكان جمع فارسي لخواجه بواو ثم ألف، ولا تقرأ الواو إنما أتى بها لتفخيم المد، والخواجه: بمعنى الشيخ، وحكمة تسمية الختم ختماً أن السادات كانوا إذا اجتمع المريدون عندهم، وأحب الشيخ الانصراف ختم مجلسه بهذه الأذكار...، وهو أعظم ركن بعد اسم الذات، وكلمة النفي والإثبات، فإن أرواح المشايخ ببركة هذا الورد يعينون من استعان بهم"[(5)]

(1) انظر مقال بعنوان: أفضل أنواع الذكر وأدنى مراتبه، فتوى رقم 44759، بعنوان: فضل الذكر والدعاء، تاريخ الإصدار 29-2-2004م، أخذ بتاريخ 9-7-2012 www.islamweb.net

(2) الذكر الجماعي بين الاتباع والابتداع، تأليف: د. محمد بن عبدالرحمن الخميس، ص6، ضمن موسوعة الرد على الصوفية.

(3) السلوك عند الحكيم الترمذي ومصادره من السنة، د. أحمد عبدالرحيم السايح، ص197، دار السلام للطباعة والشنر.

(4) تنوير القلوب، ص327.

(5) المصدر السابق.

الرد على الذكر الجماعي:

استدلالهم بالذكر الجماعي سواء جهراً أو بالقلب، كأن يجتمعوا، ويجلسوا ذاكرين لله تعالى بقلوبهم مستحضرين عظمة الله تعالى في قلوبهم، فإنه لم يرد عن النبي ﷺ ولم يأمر به النبي ﷺ، ولا حث الناس عليه، وكذلك لم ينقل عنه الاجتماع للدعاء بعد الصلاة مع أصحابه.

وقال العلامة ابن باز رحمه الله في جوابه على سؤال حكم الذكر الجماعي الجهري فقال: "ولا يجوز أن يجهروا بصوت جماعي، بل كل واحدٍ يذكر بنفسه من دون مراعاة لصوت غيره، لأن الذكر الجماعي بدعة لا أصل له في الشرع المطهر"[1].

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: "هذه بدعة، لم ترد عن النبي ﷺ، وإنما الوارد أن كل إنسان يستغفر، ويذكر لنفسه"[2].

فهذه النقول التي أوردناها توضح أن السلف ﷺ كانوا لا يرون مشروعية الذكر الجماعي بالصورة التي أحدثها الخلف. ولله در السلف! ما كان خير إلا سبقوا إليه، ولا كانت بدعة منكرة إلا كانوا أبعد الناس عنها، محذرين منها. فما من إنسان يخالف هديهم إلا كان تاركاً لسبل الخير، مقتحماً أبواب الضلال والذكر الجماعي من الأمور المبتدعة في الدين، لحديث **عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:[مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ]**[3]، ومعلوم أن الذكر الجماعي لم يأمر به النبي ﷺ فلو شرعه لأمر به وحث الناس عليه، ولشاع ذلك عنه ﷺ.

والخلاصة أن الذكر الجماعي له مفاسد عظيمة وهي كالتالي:

1- وضع صيغ وألفاظ لم ترد عن النبي ﷺ ومن المعلوم في الشريعة بالضرورة أن أي ذكر لم يرد عن الشارع فهو باطل، لأنه تشريع زائد[4].

2- ابتدعوا بدعاً باطلة لا صلة لها بالتصوف، كالرقص والتمايل، واستعمال الدف وملابس خاصة في حلقات ذكر الله ﷻ، وهذا لا يجوز، لأنه منافٍ للوقار الواجب عند ذكر الله[5].

---

(1) حكم الذكر الجماعي الجهري، بدع الأذكار والأدعية، رقم الفتوى 140737، تاريخ الإصدار 12-10-2010، أخذ بتاريخ 9-7-2012 www.islamweb.net

(2) انظر: حكم الذكر الجماعي الجهري، فتوى رقم 140737، تاريخ الإصدار 12-10-2010م، أخذ بتاريخ 9-7-2012م www.islamweb.net

(3) صحيح البخاري، كتاب الصلح، باب كيف إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود، 170/2، ح2697.

(4) إلى التصوف يا عباد الله، تأليف: أبوبكر جابر الجزائري، ص52، ط1، 1404هـ، دار البصيرة للنشر.

(5) الإمام المجدد ابن باديس والتصوف، تأليف: د. أحمد محمود الجزار، ص101، منشأة المعارف للنشر.

3- أنه قد يحصل من الذاكرين تقطيع في الآيات، أو إخلال بها وبأحكام تلاوتها، أو بأذكار مما يجتمع عليها، كما لو كان أحدهم انقطع نفسه ثم أراد إكمال الآية فوجد الجماعة قد سبقوه. فيضطر لترك ما فاته واللحاق بالجماعة فيما يقرأون[1].

4- أن فتح باب الذكر الجماعي قد يؤدي إلى أن تتبع كل طائفة شيخاً معيناً يجارونه فيما يذكر، ولو أدى ذلك إلى ظهور أذكار مبتدعة وقد يؤدي ذلك ببعض الجهال إلى الانقطاع عن ذكر الله وذلك لاعتياده الذكر الجماعي[2].

والخلاصة أن الذكر الجماعي ليس له أصل في الدين، إذ لم ينقل عن النبي ﷺ ولا عن الصحابة الكرام أنهم كانوا يذكرون الله جماعة، ولم يفعله السلف الصالح، بل أنكروا على كل من فعل ذلك.

وأما إذا اجتمع المسلمون في المسجد، وقام أحد العلماء، أو الوعاظ بتذكيرهم بآيات الله ﷻ، أو موعظة والباقي يستمع فهذا لا يدخل في باب البدع المنهي عنها كدروس العلم، أو تفسير، أو غيره؛ بل هكذا كانت حياة السلف علم وتعليم، يقول الإمام النووي رحمه الله: " قال عطاء: مجالس الذكر هي مجالس الحلال والحرام، كيف تشتري وتبيع وتصلي وتصوم وتنكح وتطلق وتحج وأشباه ذلك " [3] .

وأما بخصوص ذكر الخواجكان، أو حزب البحر، وغيرها من الأوراد والأذكار، إذا لم يثبت فيها نص فالأولى رده لعموم الأدلة السابقة، وبالجملة فقد شمل ختم الخواجكان على مخالفات لما ورد من الذكر المشروع المسنون عن النبي ﷺ [4]، والناظر لذكر الخواجكان لا يجده في القرآن الكريم الذي هو مصدر التشريع الأول، والذي قال الله تعالى عنه: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ﴾[القمر:17}، وكذلك الناظر لذكر الخواجكان لا يجده في سنة النبي ﷺ التي هي مصدر التشريع الثاني الذي قال الله في حق شريعته الغراء:﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا ﴾ [المائدة:3}، فديننا كامل لا نقص فيه.

---

(1) بحث الذكر الجماعي بين الاتباع والابتداع، تأليف: د. محمد بن عبدالرحمن الخميس، ص35، ضمن موسوعة الرد على الصوفية.

(2) المصدر السابق

(3) الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، تأليف الإمام محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي، ص25، تحقيق: محمد العمر، مكتبة دار المنار – الأردن – الزرقاء.

(4) انظر بالتفصيل آداب ختم الخواجكان، تنوير القلوب، ص327-329

المطلب الثالث: الأذكار والصلوات الصوفية.

لقد اخترع غلاة الصوفية أذكاراً وشرعوا أوراداً ما أنزل الله بها من سلطان، بل اشتملت على الكفر والزندقة في كثير منها والكذب على رسول الله ﷺ، كما اشتملت على كلمات وعلى رموز وحروف مقطعة غير مفهومة ولا يعرف المراد منها.

وكل صاحب طريقة له أذكار هي أفضل من كل ذكر، وأجرها أعظم من كل أجر، وما عداه باطل حسب تخرصاتهم في كل ذلك، ينطبق عليهم قول الله تعالى: ﴿**وَقَالَتِ اليَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ اليَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ**﴾ [البقرة:113]، فهم متفرقون قد لا يجمعهم إلا الاتفاق على الرقص وادعاء الوصول إلى الله ومكالمته ورفع الغير والغيرية بينه وبينهم.

مع أن كل صاحب طريقة يدعي أنه يأخذ تلك الأذكار مباشرة عن الله ﷻ أو عن نبيه ﷺ وأحياناً يقظة لا مناماً كما يزعمون، وفضلوها تفضيلاً ليرفعوا شأنها في نفوس مريديهم على القرآن والسنة والأدعية المأثورة(1).

فجاء غلاة الصوفية بأذكار مخالفة لما ورد عن النبي ﷺ في أمور حث النبي ﷺ على القيام بفعلها وبين أجر فاعلها، فيأتي أحدهم بكلام يحمل نفس المدلول، ولكنه يضع سياقاً من عنده مخالفاً بذلك ما ورد في صحيح السنة، قال الشاذلي: "خرجت من منزلي لصلاة الصبح فلقنت ذكراً "باسم الله رب جبريل، باسم الله رب ميكائيل، باسم الله رب عزرائيل، باسم الله رب محمد، باسم الله رب إبراهيم، باسم الله رب موسى، باسم الله رب كل شيء، وهو على كل شيء قدير"(2).

ومن الأذكار عندهم، كما قال الكردي: "قراءة الفاتحة مرة والإخلاص ثلاث مرات وإهداؤهما إلى روح سيدنا محمد ﷺ وإلى أرواح جميع مشايخ الطريقة النقشبندية"(3).

ومن أدعية الصوفية المبتدعة التي يتلونها ليلاً ونهاراً حزب البحر وفيه هذا المقطع من الدعاء: "نسألك العصمة في الحركات والسكنات والكمالات والإرادات والخطرات من الشكوك والظنون والأوهام السائرة للقلوب من مطالعة الغيوب"(4).

---

(1) انظر: فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام، ص888.

(2) درة الأسرار وتحفة الأبرار، ص115.

(3) تنوير القلوب، ص322.

(4) أحزاب وأوراد القطب الشيخ أحمد التجاني، ص35، اعتنى به وراجعه: أحمد عزوز www.cheikh-skiredj.com

في هذا الدعاء طلب الشاذلي من الله ما اختص به رسله وهو العصمة وأما غيرهم فإنهم ليسوا بمعصومين؛ بل هم معرضون للخطأ، وأيضاً طلب من الله أن يطلعه على علم الغيب وهذا لا يجوز لأنه خاص بالله تعالى.

ويقول أيضاً في أحزاب النصر: "حم حم حم حم حم حم حم وجاء النصر فعلينا لا ينصرون حم عسق حمايتنا مما نخاف اللهم قنا شر الأسوء ولا تجعلنا محلاً للبلو اللهم أعطنا أمل الرجاء ونور الأمل ياهو يا هو ياهو "(1).

وقال علي حرازم(2): "وأول ما نبدأ به ذكر الصلوات التي أملاها مولانا رسول الله ﷺ من فيضه الشريف يقظة على شيخنا أبى العباس.. الأولى سماها شيخنا ﷺ ياقوتة الحقائق في التعريف بحقيقة سيد الخلائق، ونصها: الله الله الله اللهم أنت الله الذي لا إله إلا أنت العالي في عظمة انفراد حضرة أحديتك التي شئت فيه بوجود شؤونك ... اللهم برتبة هذه العظمة وإطلاقها في وجد وعدم، أن تصلي وتسلم على ترجمان لسان القدم اللوح المحفوظ والنور الساري المحدود.. لله لله لله آه أمين، هو هو هو آمين"(3).

وأيضاً ما ذكر عن الدسوقي أنه علمهم هذا الدعاء: "بسم الله الخالق يلجمه بلجام قدرته أحمى حميثاً أطمي طميثاً وكان الله قوياً عزيزاً عزيزاً حم عسق حمايتنا كهيعص كفايتنا..." (4).

ومن صلوات الصوفية المبتدعة على النبي ﷺ الصلاة النرجسية: "الحمد لله القدوس في غيب اللاهوت المتجلي بالأسماء والصفات في حضرة اللاهوت، المعبور في عوالم الملكوت والجبروت والناسوت، والصلاة والسلام على من انبسطت فيه هذه المراتب الخمس، وعلى كل من آمن به من جن وإنس، فهذه صلوات جيدات، أنوارها أشرقت فيها من الأسرار ما لا عينٌ رأت ولا أذنٌ سمعت"(5).

---

(1) أحزاب وأوراد القطب الشيخ احمد التيجاني، ص 36.

(2) علي حرازم بن العزي برادة، ولد 1218هـ - 1803م، فاضل مغربي، من أهل فارس. له "جواهر المعاني في أخبار أبي العباس أحمد التجاني". انظر الأعلام 270/4.

(3) فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها، ص773.

(4) الفكر الصوفي، ص290.

(5) أحزاب وأوراد التيجاني، ص76.

إذا نظرنا في هذه الصلاة نراها سيقت بألفاظ غامضة وفيها أيضاً ألفاظ يقولها المسيحيون الذين يعتقدون بأن عيسى ابن الله أو هو الله فمن الألفاظ الغربية الغامضة قولهم: "المطلسم – المطمطم) ولا ندري ماذا يقصد المتصوفة بهذا أكفر هي أو توحيد.

وأيضاً من الصلوات المبتدعة التي ابتدعها الصوفية ليصلوا على النبي ﷺ: "اللَّهمَّ صلِّ على محمد وعلى آل محمد حتى لا يبقى من الصلاة شيءٌ، وارحم محمداً وآل محمدٍ حتى لا يبقى من الرحمةِ شيءٌ، وبارِك على محمد وعلى آل محمد حتى لا يبقى من البركة شيءٌ، وسلِّم على محمد وعلى آل محمد حتى لا يبقى من السلام شيءٌ"(1).

وقولهم أيضاً: "اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد وسلم صلاة تنجينا بها من جميع الأهوال والآفات. وتقضى لنا بها جميع الحاجات. وتطهرنا بها من جميع السيآت. وترفعنا بها عندك أعلى الدرجات. وتبلغنا بها أقصى الغايات. من جميع الخيرات في الحياة وبعد الممات"(2).

قال النبهاني نقل في شرح الدلائل عن الحسن بن علي الأسواني(3) أنه قال: "من قال هذه الصلاة في كل هم وبلية ألف مرة فرج الله عنه وأدرك مأموله"(4).

إن هذه الصلاة مبتدعة وليست مشروعة وهذا الفضل المذكور لها ليس له أساس من الصحة لأنه لم يرد في السنة النبوية الصحيحة.

الرد على الأذكار التي لم ترد في الشرع:

ومن خلال ما سبق يتضح أن أوراد وأذكار الصوفية، لا تخلو أبدًا من الكذب، وألفاظ الشرك بالله، ولا يفارقها الابتداع في ألفاظها، وأعدادها، وأوقاتها، فلم يرد عن رسول الله ﷺ مثل هذه الأوراد والأذكار التي يعتقد ويردد بها غلاة الصوفية، وهم ما وضعوا تلك الأذكار إلا لضرب الأمة الإسلامية في عقيدتها من خلال إدخال الضلال والبدع في معتقداتها. فحسبي الله ونعم الوكيل.

---

(1) أفضل الصلوات، ص71.

(2) المرجع السابق، ص761.

(3) الحسن بن إبراهيم بن الزبير الغساني الأسواني، ولد 1561هـ– 1166م، هو أبو محمد، شاعر من اهل أسوان، وفاته بالقاهرة، اشتغل بعلوم القرآن. انظر الأعلام 202/2.

(4) أفضل الصلوات، ص761.

يقول ابن تيمية رحمه الله: "فمن جعل طريق أحد من العلماء والفقهاء أو طريق أحد من العباد والنساك أفضل من طريق الصحابة ﷺ فهو مخطئ ضال مبتدع "[(1)]، والذي ورثناه عن الصحابة ﷺ الاتباع لا الابتداع، فعن نافع أن رجلاً عطس إلى جنب ابن عمر رضي الله عنهما فقال: الحمد لله والسلام على رسول الله ﷺ، قَالَ ابْنُ عُمَرَ: **[وَأَنَا أَقُولُ الْحَمْدُ للَّه، وَالسَّلامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَلَيْسَ هَكَذَا عَلَّمَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَّمَنَا أَنْ نَقُولَ الْحَمْدُ للَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ"**[(2)]، فالصحابة ﷺ وقافون عندما ورد دون زيادة أو نقص ﷺ- دون زيادة السلام على النبي ﷺ فيما سبق في الرواية -، وهذا ما تتلمذ عليه السلف الصالح رحمهم الله، فعن سعيد بن المسيب: "أنه رأى رجلاً يصلى بعد طلوع الفجر أكثر من ركعتين، يكثر فيها الركوع والسجود فنهاه، فقال: يا أبا محمد يعذبني الله على الصلاة؟ قال: لا، ولكن يعذبك على خلاف السنة "[(3)] وعليه فإن قال قائل: لقنت، أو رأيت النبي ﷺ في المنام، وقال لي: كذا وكذا، ويأتي بأذكار ويسميها، وينسبها إلى النبي ﷺ فهذا لا يقبل في ديننا الحنيف إلا بدليل شرعي صحيح، وبالجملة ما يقال في الرد على الذكر الجماعي يقال في الرد هنا.

ولا أدري لماذا ابتدع غلاة الصوفية الأوراد، والقرآن والسنة مليئة بالأوراد الصحيحة، أما الكتاب فقد قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اذْكُرُوا اللهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۞ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا**﴾[الأحزاب:41-42]، وأما من السنة: فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **[لأَنْ أَقُولَ: سُبْحَانَ اللهِ؛ وَالحَمْدُ للهِ؛ وَلاَ إِلهَ إِلاَّ اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ]**[(4)] ، والسنة النبوية مليئة بأنواع الأذكار، والمحامد، والاستغفار، والصلاة على النبي ﷺ والأدعية النبوية، فليتخذ كل مسلم ورده من هذه الأذكار، ويحذر من هذه الأذكار المبتدعة التي ابتدعها غلاة الصوفية، لأنها ليست من القرآن ولا السنة النبوية.

والأذكار الواردة كثيرة من أراد أن يستقصيها ويطبقها لن يجد وقتًا للبدعة وما من بدعة إلا بترك سنة، ومن أحيا سنة فقد أمات بدعة.

---

(1) مجموع فتاوى ابن تيمية 15/11 .

(2) سنن الترمذي، كتاب الأدب عن رسول الله ﷺ، باب ما يقول العاطس إذا عطس، ص616، ح2738، قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ.

(3) أخرجه البيهقي في كتابه السنن الكبرى وفي ذيله الجوهر النقي، تأليف: احمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني أبو بكر البيهقي، مجلس دائرة المعارف – حيدر أباد، الطبعة الأولى، (1344ه)، كتاب الصلاة، باب من لم يصل بعد الفجر إلا ركعتى الفجر، 654/2، ح4445.

(4) صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل التهليل، ص1038، ح2695.

المطلب الرابع: الخلوة عند الصوفية والرد عليهم.

الخلوة:

الخلوة لغةً: من خلا المكان، والشيء يخلو خلواً، وخلاء، وأخلى إذا لم يكن فيه أحد، ولا شيء فيه، وهو خال(1).

اصطلاحاً: "الخلوة بمعنى الانفراد بالنفس في مكان خال"(2).

والخلوة في اصطلاح الصوفية: انفراد المريد بإذن الشيخ وتحت رقابته في السرداب، مدة لا تزيد على الأربعين ليلة، ولا تقل على عشر ليال(3).

الخلوة عند الصوفية: "انقطاع عن البشر لفترة محدودة، وترك للأعمال الدنيوية لمدة يسيرة، كي يتفرغ القلب من هموم الحياة التي لا تنتهي، ويستريح الفكر، ثم ذكر لله تعالى بقلب حاضر خاشع، وذلك بإرشاد شيخ عارف بالله، يعلمه إذا جهل، ويذكره إذا غفل، وينشطه إذا فتر، ويساعده على دفع الوساوس وهواجس النفس"(4).

بعد التعريفات السابقة للخلوة، فإن الإسلام لم يعارض الخلوة؛ بل أقرها في مواضع، وليس كما زعم غلاة الصوفية بأن الخلوة ترك الزوجة والأولاد، والخلق، والقيام بذكر أذكار خاصة لم ترد عن النبي ﷺ واستحضار لصورة الشيخ.

كيفية الخلوة عند غلاة الصوفية:

حيث يختلي المريد في مكان طاهر في بيته، يقدم رجله اليمنى عند الدخول، ويقول: بسم الله الرحمن الرحيم على ملة رسول الله ﷺ وعلى طريقة سيدي مثلاً محمد عثمان رب أدخلني مدخل صدق إلى حضرتك، وأخرجني مخرج صدق لإهداء خلقك، وبعد دخولك تقول: بسم الله الرحمن الرحيم، اللهم أمدني برسول الله، وسيد جبريل، وأوني بسيدي أحمد بن إدريس، وأمدني بسيدي محمد عثمان شيخنا صاحب الإيقان في خلوتي، ثم تقرأ الاستغفار الكبير ثلاثة وسبعين مرة والاستغفار هو أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم، وأتوب إليه، ثم لا إله إلا الله اثنتي عشرة مرة، ثم الاسم المفرد ستاً وستين ألفاً، ثم هو هو أحد عشر ألفاً، ثم حي قيوم سبعة آلاف وأربعمائة وأربعين مرة، كل ذلك نصف باللسان ونصف بالقلب، وكل ذلك مع

(1) انظر: لسان العرب، 295/14..
(2) الموسوعة الفقهية الكويتية، صادر عن وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الكويت، ط2، 1404-1427هـ)، تحت عنوان: الحكم التكليفي، فصل الخلوة بالمحارم.
(3) إلى التصوف يا عباد الله، ص58.
(4) انظر مقال بعنوان: الخلوة في الإسلام www.shazly.com

تغميض عينك، وتخيل ذات شيخك، فإذا ظهر لك روحانية المصطفى ﷺ، وهناك مبادئ الفتح، ومن ثم يتسع الإمداد ولا تغفل عن شيخك محمد عثمان، ولا تدخل إلا بإذنه، وليكن أكلك خبزاً مع دهن السمسم وما أشبه ذلك، ولا تأكل كل ذي روح إلى أن تخرج من صوتك، واحفظ أسرار ربك، ولا تستعملها فيما لا يليق، وإذا خوطبت بشيء موافق للشريعة فحق، وكلما بدا لك شيء فقل "اللهم أنت مطلوبي، ورضاك مقصودي، هذه هي طريقة الخلوة، وكل طريقة لها أذكار معينة، وعلى المريد أن يستحضر شيخه طريقة إنشاء خلوته[1].

وهناك بعض الأسرار للخلوة حيث لابد أن يرى صاحب الخلوة، الانقطاع إلى الله كل من عاشره خارج الخلوة بالوهم والمشاهدة في الحضور والغيبة، يدعونه إلى ما كان عليه فيما سلف، فإن كان ضعيفًا جذبوه وأخرجوه إلى اللعب واللهو، وإن كان قويًا انقطع عنهم بقدر قوته[2].

الدليل على الخلوات الصوفية حسب زعمهم:

يستدلون بما رواه البخاري عن عائشة قالت: **[أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ فَكَانَ لاَ يَرَى رُؤْيَا إِلاَ جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ]**[3].

يقول الفوتي: "فهذا الحديث المنبئ عن بدء رسول الله ﷺ هو الأصل في إثبات المشائخ للخلوة لمريد من الطالبين"[4].

والجواب: أن هذا الحديث بينه وبين الخلوة الصوفية فراق لا لقاء معه، فإن خلوة الرسول ﷺ إنما كانت بأمر من الله لتبليغ الناس الدين الإسلامي، ولم يأمر بها النبي ﷺ لأمته على الطريقة الصوفية ولم يفعلها أحد من الصحابة ﷺ ولا من التابعين رحمهم الله، إذن الخلوة الصوفية بدعة مستحدثة فليس منها أي نفع للشخص ولا لغيره[5].

أقوالهم في الخلوة:

يقول القشيري: " ولا بد للمريد في ابتداء حاله من العزلة عن أبناء جنسه، ثم في نهايته من الخلوة لتحققه بأنسه"[6]، وقال الكردي: " اعلم أنه لا يمكن الوصول إلى معرفة الأصول،

---

(1) مجموع الأوراد الكبير، للعارف بالله الإمام محمد عثمان الميرغني الختم، إنتاج جمعية أنصار أبوهاشم لإحياء تراث الختمية.

(2) فواتح الجمال وفواتح الجلال، تأليف: نجم الدين كبرى، ص226، الناشر: الدار المصرية اللبنانية.

(3) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب بدء الوحي، باب: بدء الوحي، 32/1، ح3.

(4) فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام، 801/2.

(5) فرق تنتسب إلى الإسلام، ص 801-802.

(6) الرسالة القشيرية، ص 5.

وتنوير القلوب لمشاهدة المحبوب إلا بالخلوة خصوصاً لمن أراد إرشاد عباد الله إلى المقصود، وقد كان النبي ﷺ يختلي بغار حراء حتى جاءه الأمر بالدعوة كما في صحيح البخاري، وأقل الخلوة ثلاثة أيام بلياليها، ثم سبعة، ثم شهر، وهو الذي اتفق للنبي ﷺ، وأكملها لمن أراد السير، والسلوك أربعون يوما، وهي الحاصلة من جمع الأيام المتقدمة"[1].

وللخلوة شروط منها ما كان مقبولاً، ومنها ما ليس بمقبول، فقد ورد من شروطها:

- ترك الأهل، والأولاد، والزوجة، وغلق الباب على نفسه – كما سبق في أقوالهم –.
- العزلة، وتعود السهر، والجوع، والذكر، فيصوم النهار ويسير في الليل ولا رخصة في الليل في النوم فيشتغل بذكر يلقيه مستحضرًا لمعنى الذكر وتجتهد في طرد النوم بالقيام بالمشي، بحيث تألف نفسه هذه الأشياء قبل دخوله في الخلوة[2].
- أن يدخل برجله اليمنى مستعيذاً بالله من الشيطان مبسملاً، وأن يقرأ سورة الناس ثلاث مرات، ثم يدخل باليسرى قائلا: اللهم وليي في الدنيا، والآخرة كن لي كما كنت لسيدنا محمد ﷺ، وارزقني محبتك...، ويقوم على المصلى، ويقول: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَٰوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام:79] إحدى وعشرين مرة، ثم يصلي ركعتين يقرأ في الأولى الفاتحة، وآية الكرسي، وفي الثانية الفاتحة، وآمن الرسول ... أواخر سورة البقرة، وبعد السلام يقول: يا فتاح خمسمائة مرة، ثم يشتغل بالذكر الذي لقنه له شيخه"[3].
- ومن الشروط كما قال الكردي: "أن يلازم صورة شيخه بين عينيه، أن يذكر كل ما يراه لشيخه، ومنها ألا يفتح الباب لمن يريد التبرك به إلا لشيخه، و دوام الذكر بالكيفية التي أمره بها شيخه إلى أن يأمره بالخروج" [4].

والمقصود من وراء هذه الشروط أنه إذا لم يف المريد بها، أو لم يأت بها على الوجه الأكمل لا يتم له مراده من الوصول إلى الله تعالى حتى يصبح من أهل الكشف[5].

---

(1) تنوير القلوب، ص312-313.

(2) الفيوضات الربانية في المآثر والأوراد القادرية، جمع وترتيب الشيخ محيي الدين عبدالقادر الجيلاني، ص47، الناشر: المكتبة الأزهرية للتراث.

(3) انظر : تنوير القلوب، ص313-314، بتصرف .

(4) المصدر السابق، ص 469 .

(5) إلى التصوف يا عباد الله، ص59.

الرد على غلاة الصوفية بخصوص الخلوة:

لقد بالغ غلاة الصوفية في تعظيم الخلوة، والحث عليها، وعليه فالخلوة التي انتهجها الغلاة مرفوضة، لأن الإسلام برئ من هذه الخزعبلات والأباطيل لأنه دين حياة وسعادة وكمال.

- نعم في الإسلام سنة الاعتكاف في المساجد في رمضان طلبًا لليلة القدر، وفي الإسلام الاعتزال إذا ساءت الأحوال وخاف المسلم الفتنة في دينه، أبيح له أن يعتزل الناس فيبقى في منزله، وأما السراديب المظلمة الموحشة فإنها تقتل الأرواح وتفسد العقول والقلوب، وهذا من كيد أعداء الإسلام[1]:

ولأنها مخالفة لصريح الآية: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلاَئِكَةٌ غِلاَظٌ شِدَادٌ لاَ يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ**﴾[التَّحريم:6}، فلو كانت الخلوة خيراً للعبد المؤمن، فلماذا لم يشرك أهله الذين هم أولى الناس به في هذا الخير!، وواجب عليه أن ينقذهم من النار ؟!، ثم لماذا لم يشركهم معه في الخلوة؟! بل الأمر عندهم أن يهجرهم.

- مخالفة لحديث النبي ﷺ، فعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يقول: **[كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ الإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ، وهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ]** الحديث "[2]، أليس من المسئولية دلالتهم على الخير الذي تعلمه بدلاً من ترك الزوجة، والولد من أجل الخلوة الخاصة؟.

- مخالفة لآداب قيام الليل، فمن السنة أن يوقظ المسلم أهله لقيام الليل، كما جاء في الحديث في بيان حال الذاكرين الله تعالى، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ وَأَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنهما عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **[إِذَا اسْتَيْقَظَ الرَّجُلُ مِنْ اللَّيْلِ، وأَيْقَظَ امْرَأَتَهُ فَصَلَّيَا رَكْعَتَيْنِ كُتِبَا مِنْ الذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا، والذَّاكِرَاتِ]**[3]، وهذا ما تعلمه الصحابة ﷺ الذين هم خير الأولياء بعد الأنبياء، فعَنْ مَالك عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ عَنْ أَبِيهِ: [**أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ كَانَ يُصَلِّي مِنْ اللَّيْلِ مَا شَاءَ اللَّهُ حَتَّى إِذَا كَانَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ أَيْقَظَ أَهْلَهُ لِلصَّلاةِ يَقُولُ لَهُمْ: الصَّلاةَ الصَّلاة، ثُمَّ يَتْلُو هَذِهِ الآيَةَ:** ﴿**وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاَةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لاَ نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى**﴾[طه:132}"[4].

---

(1) إلى التصوف يا عباد الله، ص61.

(2) صحيح البخاري، كتاب الجمعة، باب الجمعة في القرى والمدن، 5/2 ح (893) .

(3) سنن ابن ماجة، كتاب الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء فيمن أيقظ أهله من الليل، 423/1 ح(1335).

(4) موطأ الإمام مالك، كتاب النداء للصلاة، باب ما جاء في صلاة الليل، 162/2، ح(389).

المطلب الخامس: الحضرة عند الصوفية والرد عليهم.

الحضرة: هي حضور القلب مع الله، وهي الركن الهام في طريق القوم وهذا الركن هو الاجتماع على ذكر الله تحت إمارة الشيخ أو وكيله[1].

نشأة الحضرات:

يشرح الدباغ كيف ظهرت حضرات الذكر في الإسلام، فيقول: "عن الحضرة لم تكن في القرن الأول (يعني قرن الصحابة)، ولا في القرن الثاني (يعني قرن التابعين)، ولا في القرن الثالث (يعني قرن تابعي التابعين)، وهذه القرون الثلاثة هي خير القرون، وإنما ظهرت في القرن الرابع، وسبب ظهورها أن أربعة أو خمسة من أولياء الله تعالى، ومن المفتوح عليهم، كان لهم أتباع وأصحاب، وكانوا ﷺ في بعض الأحيان ربما شاهدوا عباداً لله من الملائكة، وغيرهم، يذكرون الله تعالى، والملائكة منهم من يذكر الله بلسانه وبذاته كلها، فترى ذاته تتحرك يميناً وشمالاً، أماماً وخلفاً، فكان الولي من هؤلاء الخمسة إذا شاهد ملكاً على هذه الحالة تعجبه حالته، فتتأثر ذاته بالحالة التي يشاهدها من الملك، ثم تتكيف ذاته بحركة الملك، فتتحرك ذاته كما تتحرك ذات الملك، وهو لا شعور له بما يصدر منه بغيبته في شاهدة الحق سبحانه، فإذا رآه أتباعه يتحرك تبعوه، ثم هلك الأشياخ وجعلوا لها آلة موسيقية، وتكلفوا بها، وتوارثتها الأجيال جيلاً بعد جيل"[2].

فحكاية الشيخ الدباغ لا تخلو من سذاجة، فالحضرات منقوله عن ذكر الملائكة، وهذا جهل واضح.

ومن الألفاظ التي يتداولها الصوفية في حضراتهم ألفاظ سريانية، ومن أشهر هذه الألفاظ تداولاً بين الصوفية: هي: "طهور بدعق محببة صورة محببة سقفاطيس سقاطيم أحون أدم حم هاء آمين"[3]. ويزعم المتصوفة أن هذه الألفاظ تلقاها الحسن الشاذلي عند الملائكة مباشرة.

ويروي الشعراني في طبقاته حديثاً عن الشيخ أمين الدين إمام جامع العمري، له إسناد سرياني، ومتنه بالعربي، فيقول: أن رسول الله ﷺ قال: من أدمن النوم بعد صلاة الصبح ابتلاه الله تعالى بوجع الجنب، وفي رواية ابتلاه بالبعج، وهكذا أدخلت الشيعة أسماء الجن وزعموا أنها أسماء الله تعالى، ودعت الناس إلى الذكر بهذه الأسماء، ومثلها الناس رغم أنها ألفاظ غير عربية، والله تعالى لم يخاطبنا إلا باللغة العربية، وحتى يروجوا لبضاعتهم نسبوا الأمر على

---

(1) موضوع بيان حقيقة الحضرة، موقع الصوفية www.soufia.org، أخذ بتاريخ 30-7-2012.

(2) الإبريز، ص371.

(3) عقائد الصوفية في ضوء الكتاب والسنة، ص451.

العلم الباطن، وأنه من أعظم الفتوحات، ومن العجب أن تسربت مثل هذه الحماقات إلى الصوفية، فلا يكاد يخلو كتاب أوراد للصوفية إلا وهو محشو بألفاظ غير مفهومة ينسبونها إلى الملائكة يتلقاها العارفون منهم وهي فتح خاص لكل عارف على حدة[1].

الرد عليهم:

وبالبحث في كتب العلم، ومصادر الحديث الشريف، وفي أفعال النبي ﷺ عن دليل يشير إلى [**أن رسول الله ﷺ جلس يوماً بين أصحابه، وذكر الله تبارك وتعالى ذكراً مجرداً، كذكر الصوفية اليوم، وبمعنى آخر: هل الحضرة بشكلها الذي شرحناه آنفاً عبارة عن هدي النبي ﷺ فإن كانت كذلك فعلى الرحب والسعة، أما إذا كانت هذه الهيئة شيئاً محدثاً، اخترعه مشايخ الصوفية من عند أنفسهم، فهذا هو الأمر الجلل إذ إن كثيراً من الناس لا يفرق بين التقليد والاتباع، وتوصلنا إلا أن الصوفية يستندون في ذكرهم هذا على حديث يروونه، أن النبي ﷺ جلس يوماً بين أصحابه، وذكر الله ﷻ بالأسلوب الصوفي المتعارف عليه في الحضرات ما ذكره الطبراني لهذه الواقعة، فقد كان نصها: حدثنا أحمد بن المعلى الدمشقي، والحسن بن إسحاق التستري، قالا: ثنا هشام بن عمار، ثنا عبد الملك بن محمد الصنعاني، ثنا راشد بن داود الصنعاني، ثنا يعلى بن شداد ابن أوس، عن أبيه، قال: إني لمع رسول الله ﷺ في بيت رجل من أصحابه فقال: انظروا هل فيكم من غيركم؟ فقالوا: لا، فقال: احف (أي أغلق) الباب، فأغلق الباب، ثم قال: ارفعوا أيديكم وقولوا: لا إله إلا الله، فرفع رسول الله ﷺ فرفعنا أيدينا، ثم قال: ضعوا أيديكم، وأبشروا فقد غفر لكم، إني بعثت بها، وبها أمرت وعليها أدخل الجنة**][2] والتعليق على حالة السند أن طريق الحديث ينتهي إلى راشد بن داود، عن يعلى، عن أبيه، وهو نفس الطريق السابق، وراشد صدوق له أوهام، وصرح الدارقطني بتضعيفه، وأقل ما يوصف به هذا الحديث، أنه ضعيف، لا يحتج به، ولا يعمل به، ولو أراد الصوفية أن يستندوا إلى هذا الحديث في إثبات صحة الحضرات، نقول لهم: إن أمور هذا الدين التي تدل الناس على الخير العظيم، لا ينقلها إلينا الصحابة والتابعين من خلال طريق معلول، وإنما يحدده القرآن الكريم في آياته المحكمات، وتؤكده الأحاديث الصحيحة[3].

---

(1) انظر: عقائد الصوفية في ضوء الكتاب والسنة، ص453.

(2) المعجم الكبير، للطبراني، 289/7، تحقيق: حمدي السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة.

(3) انظر: عقائد الصوفية في ضوء الكتاب والسنة، ص 431-433.

الخلاصة: الحضرة هي أساساً أمر مباح شرعاً، فحضرة سيدنا محمد ﷺ كانت دائمة طوال حياته حيث قالت عائشة: **[كانَ النَّبِيُّ ﷺ يَذْكُرُ اللهَ عَلَى كُلِّ أَحَيَانِه]**[1]، أما الحضرة الحالية في حلقات الذكر عند غلاة الصوفية فهي محرمة لما فيها من أفعال بعيدة عن الإسلام من أذكارهم المبتدعة والصراخ الزائد أثناء ترديدهم للأذكار والأوراد الخاصة بهم والتلفظ بألفاظ ليست ذكراً مثل (أ أ) أو (هي) وغيرها التي فيها تحريف مبتدعة حيث أصبحت الحضرة عندهم عادة لا عبادة.

(1) صحيح مسلم، كتاب الحيض، باب ذكر الله تعالى في حال الجنابة وغيرها، ص180، ح373.

الفصل الثالث

معتقدات غلاة الصوفية في الخضر عليه السلام

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: اعتقاد غلاة الصوفية بأن الخضر وليٌ وليس بنبي.

المبحث الثاني: معتقد غلاة الصوفية بأن الخضر حي إلى الآن وادعاؤهم التلقي عنه.

المبحث الأول

اعتقاد غلاة الصوفية بأن الخضر ولي وليس بنبي

وفيه تمهيد وأربعة مطالب:

المطلب الأول: ذكر نصوص الصوفية التي تدل على معتقدهم

المطلب الثاني: مناقشتهم في معتقدهم.

المطلب الثالث: تجويزهم خروج الولي عن الشريعة.

المطلب الرابع: مناقشتهم في معتقدهم.

المبحث الأول

اعتقاد غلاة الصوفية بأن الخضر ولي وليس بنبي

تمهيـــد:

قصة الخضر عليه السلام مع سيدنا موسى عليه السلام وردت في القرآن في سورة الكهف، ووردت في السنة النبوية، لكن غلاة الصوفية حرَّفوا معانيها وأهدافها وجعلوها أساسًا من أسس العقيدة الصوفية، فقد جعلوا هذه القصة دليلاً على تفضيل الأولياء على الأنبياء، كما فضلوا الخضر على سيدنا موسى، وأيضًا قالوا من خلال هذه القصة بأنه يجوز للولي الخروج عن الشريعة، كما خرج الخضر عن شريعة موسى عليه السلام، كما جعلوا الخضر عليه السلام مصدرًا للوحي والإلهام، ونسبوا علومهم التي ابتدعوها إليه عن طريق التقائهم بالخضر والتلقي عنه وأنه ما زال حيًا.

ولما كان لهذه القصة هذا الدور الكبير في الفكر الصوفي فقد أحببت أن أجلي هنا الأمر من خلال بيان حقيقة الأمر من القرآن الكريم والسنة النبوية.

أولاً: الخضر في القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ۝ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ۝ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ۝ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ۝ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا ۝ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ۝ قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ۝ قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ۝ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ۝ قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ۝ قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ۝ فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ۝ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ۝ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ۝ فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ۝ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ۝ قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا

﴿ فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ۞ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ۞ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ۞ وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ۞ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ۞ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾.
[الكهف:60-82].

قال القرطبي رحمه الله في تفسيره قوله تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا﴾[الكهف:65]
"والعبد هو الخضر عليه السلام، في قول الجمهور وبمقتضى الأحداث الثابتة، وخالف من لا يعتد بقوله فقال: ليس صاحب موسى بالخضر، بل هو عالم آخر. وحكى أيضًا هذا القول القشيري. قال: وقال قوم هو عبد صالح. والصحيح أنه كان الخضر بذلك ورد الخبر عن النبي ﷺ"[1].

ثانياً: الخضر في السنة النبوية:

عَن سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ[2] قَالَ قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ: إِنَّ نَوْفًا الْبَكَالِيَّ يَزْعُمُ أَنَّ مُوسَى لَيْسَ بِمُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنَّمَا هُوَ مُوسَى آخَرُ فَقَالَ كَذَبَ عَدُوُّ اللَّهِ حَدَّثَنَا أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ: **[عَنْ النَّبِيِّ ﷺ: قَامَ مُوسَى النَّبِيُّ عليه السلام خَطِيبًا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ فَسُئِلَ أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ فَقَالَ أَنَا أَعْلَمُ فَعَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ إِذْ لَمْ يَرُدَّ الْعِلْمَ إِلَيْهِ فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ أَنَّ عَبْدًا مِنْ عِبَادِي بِمَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ قَالَ يَا رَبِّ وَكَيْفَ بِهِ فَقِيلَ لَهُ احْمِلْ حُوتًا فِي مِكْتَلٍ فَإِذَا فَقَدْتَهُ فَهُوَ ثَمَّ فَانْطَلَقَ وَانْطَلَقَ بِفَتَاهُ يُوشَعَ بْنِ نُونٍ وَحَمَلَا حُوتًا فِي مِكْتَلٍ حَتَّى كَانَا عِنْدَ الصَّخْرَةِ وَضَعَا رُؤُوسَهُمَا وَنَامَا فَانْسَلَّ الْحُوتُ مِنْ الْمِكْتَلِ فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا وَكَانَ لِمُوسَى عليه السلام وَفَتَاهُ عَجَبًا فَانْطَلَقَا بَقِيَّةَ لَيْلَتِهِمَا وَيَوْمَهُمَا فَلَمَّا أَصْبَحَ قَالَ مُوسَى عليه السلام لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا وَلَمْ يَجِدْ مُوسَى عليه السلام مَسًّا مِنْ النَّصَبِ حَتَّى جَاوَزَ الْمَكَانَ الَّذِي أُمِرَ بِهِ**

(1) انظر: الجامع لأحكام القرآن، م5، 316/9.
(2) سعيد بن جبير الأسدي، الكوفي، أبو عبد الله، تابعي، وهو حبشي الأصل، أخذ العلم عن عبد الله بن عباس وابن عمر، ثم كان ابن عباس: إذا أتاه أهل الكوفة يستفتونه، قال: أتسألونني وفيكم ابن أم العلماء؟ يعني سعيداً، توفي 714م. انظر الأعلام 93/3.

فَقَالَ لَهُ فَتَاهُ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ قَالَ مُوسَى عليه السلام: ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِي فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا فَلَمَّا انْتَهَيَا إِلَى الصَّخْرَةِ إِذَا رَجُلٌ مُسَجًّى بِثَوْبٍ أَوْ قَالَ تَسَجَّى بِثَوْبِهِ فَسَلَّمَ مُوسَى عليه السلام فَقَالَ الْخَضِرُ عليه السلام وَأَنَّى بِأَرْضِكَ السَّلَامُ فَقَالَ أَنَا مُوسَى فَقَالَ مُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ قَالَ نَعَمْ قَالَ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ رَشَدًا قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا يَا مُوسَى عليه السلام إِنِّي عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ عَلَّمَنِيهِ لَا تَعْلَمُهُ أَنْتَ وَأَنْتَ عَلَى عِلْمٍ عَلَّمَكَهُ لَا أَعْلَمُهُ قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا فَانْطَلَقَا يَمْشِيَانِ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ لَيْسَ لَهُمَا سَفِينَةٌ فَمَرَّتْ بِهِمَا سَفِينَةٌ فَكَلَّمُوهُمْ أَنْ يَحْمِلُوهُمَا فَعُرِفَ الْخَضِرُ عليه السلام فَحَمَلُوهُمَا بِغَيْرِ نَوْلٍ فَجَاءَ عُصْفُورٌ فَوَقَعَ عَلَى حَرْفِ السَّفِينَةِ فَنَقَرَ نَقْرَةً أَوْ نَقْرَتَيْنِ فِي الْبَحْرِ فَقَالَ الْخَضِرُ يَا مُوسَى مَا نَقَصَ عِلْمِي وَعِلْمُكَ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ إِلَّا كَنَقْرَةِ هَذَا الْعُصْفُورِ فِي الْبَحْرِ فَعَمَدَ الْخَضِرُ إِلَى لَوْحٍ مِنْ أَلْوَاحِ السَّفِينَةِ فَنَزَعَهُ فَقَالَ مُوسَى عليه السلام قَوْمٌ حَمَلُونَا بِغَيْرِ نَوْلٍ عَمَدْتَ إِلَى سَفِينَتِهِمْ فَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا فَكَانَتْ الْأُولَى مِنْ مُوسَى عليه السلام نِسْيَانًا فَانْطَلَقَا فَإِذَا غُلَامٌ يَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ فَأَخَذَ الْخَضِرُ بِرَأْسِهِ مِنْ أَعْلَاهُ فَاقْتَلَعَ رَأْسَهُ بِيَدِهِ فَقَالَ مُوسَى عليه السلام: أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا قَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ وَهَذَا أَوْكَدُ فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ الْخَضِرُ عليه السلام بِيَدِهِ فَأَقَامَهُ فَقَالَ لَهُ مُوسَى عليه السلام: لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ يَرْحَمُ اللَّهُ مُوسَى عليه السلام لَوَدِدْنَا لَوْ صَبَرَ حَتَّى يُقَصَّ عَلَيْنَا مِنْ أَمْرِهِمَا][1].

المطلب الأول: أدلة غلاة الصوفية على ولاية الخضر:

إن اعتقاد الصوفية بأن الخضر ولي وليس بنبي واضح من خلال أقوالهم لأنهم يبنون على هذا الاعتقاد القول بأن الولي أفضل من النبي.

ويقولون: إن ولاية النبي أعظم من نبوته ونبوته، أعظم من رسالته ثم قد يدعي أحدهم أن ولايته وولاية سائر الأولياء تابعة لولاية خاتم الأولياء وأن جميع الأنبياء والرسل من حيث ولايتهم إنما يستفيدون العلم بالله من مشكاة خاتم الأولياء.[2]

(1) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب ما يستحب للعالم، ص50، 122.

(2) انظر مجموع الفتاوى: 6/126-127.

وكذلك اعتقاد غلاة المتصوفة بأنه يجوز الخروج عن الشريعة للولي كما خرج الخضر عن شريعة موسى عليه السلام.

ومن الذين قالوا بأن الخضر ولي وليس بنبي ابن عربي حين قال: "اعلم أيها الولي الحميم أيدك الله أن هذا الوتد هو خضر صاحب موسى عليه السلام أطال الله عمره إلى الآن".[1]

ويظهر من خلال قول ابن عربي أنه وصف الخضر بأنه وتد من الأوتاد وهذا الوصف يصفونه المتصوفة للأولياء.

وفي ترجمة الشيخ علي النبتيتي[2] يقول الشعراني: "وكان يجتمع بالخضر عليه السلام، وذلك دليل على ولايته، فإن الخضر لا يجتمع إلا بمن حقت له قدم الولاية المحمدية"[3].

ويقول الشيخ التيجاني: "واعلم أن الخضر عليه السلام ولي فقط وليس بنبي"[4].

وممن قال بولايته أيضاً:-

أبو القاسم القشيري في رسالته: "لم يكن الخضر نبياً، وإنما كان ولياً".[5]

وقال به أبو علي بن أبي موسى من الحنابلة وأبو بكر بن الأنباري في كتابه الزهد.[6]

وقال اليافعي: "... وهو ولي لا نبي على القول الصحيح عند أهل العلم"[7]

ومنهم من قال إنه عبد كالدباغ : "... ليس نبي، وإنما هو عبد أكرمه الله بمعرفته..."[8]

والحق أنه عند الصوفية المحققين ولي وغير نبي، كما أفاده صاحب "روح البيان".[9]

وهذا القول معلوم لدى الصوفية وذلك لتقوية مذهبهم ودعم أساطيرهم في ترويج القصص والحكايات الخيالية التي روجوها بين العوام في أمر الخضر.

---

(1) الفتوحات المكية، 180/2.
(2) هو الشيخ علي بن الجمال، صوفي، من أصحاب أبي العباس، توفي سنة 97هـ. الطبقات الكبرى 125/2.
(3) الطبقات الكبرى، 109/2.
(4) جواهر المعاني، 246/1.
(5) الزهر النضر في نبأ الخضر، تأليف: ابن حجر العسقلاني رحمه الله، علّق عليه: سمير حلبي، ص30، ط1، 1408هـ-1988، دار الكتب العلمية للنشر.
(6) انظر: الزهر النضر، ص30، والإصابة في أسماء الصحابة، 248/2.
(7) المصادر العامة للمتلقي عند الصوفية، ص251، نقلاً عن روض الرياحين، ص 478.
(8) الإبريز، ص307.
(9) روح البيان في تفسير القرآن، تأليف الإمام إسماعيل حقي بن مصطفى البروسدي، ضبطه: عبد اللطيف حسن عبد الرحمن، 270/5، ط1، 1424هـ- 2003م، دار الكتب العلمية، بيروت.

المطلب الثاني: مناقشتهم في معتقدهم:

لابد قبل الرد عليهم، بيان أقوال علماء المسلمين في هذه المسألة:

فقد انقسم علماء المسلمين إلى قسمين في مسألة الخضر فمنهم من قال إنه نبي ولهم أدلتهم، ومنهم من قال إنه ولي ولهم أدلتهم، كما هو معتقد الصوفية، وسوف أبيّن من خلال هذا المطلب أدلة كلا الطرفين وأذكر الرأي الراجح.

أولاً: القائلون بنبوة الخضر ﵇ وأدلتهم على ذلك:

1- القائلون بنبوة الخضر ﵇:

قال ابن حزم رحمه الله: "الخضر ﵇ نبي قد مات ومحمد ﷺ لا نبي بعده قال الله ﷻ حاكيًا عن الخضر: ﴿ ...**وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي**..﴾ [الكهف:82] فصحَّت نبوته[1].

قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿ ...**وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي**..﴾: "يدل على نبوته وأنه يُوحَى إليه بالتكليف والأحكام كما أوحي للأنبياء عليهم الصلاة والسلام غير أنه ليس برسول والله أعلم"[2].

وقال الثعلبي المفسر: "والخضر على جميع الأقوال نبي معمر"[3]

وقال ابن كثير رحمه الله: "وقد دل سياق القصة على نبوته "وقال في تفسيره: ﴿ ...**وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي**...﴾ [الكهف:82] أي: لكني أمرت به ووقفت عليه، وفيه دلالة لمن قال بنبوة الخضر ﵇".[4]

وقول الخضر ﵇ ﴿ ...**وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي**..﴾ "دليلٌ على أنه فعل تلك الأمور بوحي من الله فيكون نبيًا، وهو الصحيح، وما قاله كثيرٌ من المفسرين: أنه فعل بإلهام، بناءً على قولهم بولايته، ليس بصحيح لوجوه[5]:

---

(1) الخضر ﵇ عند أهل الحق ومخالفيهم، تأليف د. رشيد بن حسن محمد حلي، 43/1 حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالقاهرة في مجلة علمية محكمة، عدد 23، 1426هـ - 2005م.

(2) الجامع لأحكام القرآن، 325/9.

(3) فتح الباري، 94/7.

(4) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، 2186/5.

(5) إثمد العين ببيان نبوة الخضر واسم ذي القرنين، تأليف: العلاّمة السيد عبدالله بن الصديق الغماري الحسني، تحقيق: عبدالله حلمي حسن الشريف، ص42-43، ط1، 1426هـ-2005م

أحدها: أن ما أقدم عليه من خرق السفينة، وقتل الغلام، لا يجوز حصوله بأمر إلهام.

ثانيها: لا يجوز أن يدرك الخضر عليه السلام – وهو ولي – أن الغلام سيرهق أبويه كفرًا، ولا يدرك موسى وهو نبي.

ثالثها: لا يجوز أن يكون الولي – ولو بلغ أعلى درجات الولاية – أعلم من النبيين.

رابعها: لو فعل ما فعله عن إلهام – كما يقال – لوجب عليه القصاص في قتل الغلام، ودفع قيمة تعييب السفينة، ولا تُعفيه ولايته من ذلك، لكن شيئًا من ذلك لم يحصل، فدل على أنه كان يفعل بوحي تشريع.

2. أدلة القائلين بنبوة الخضر:

وقد أورد الإمام الرازي أدلة من قال بنبوته، والرد على من خالفهم في ست حجج هي:

الحجة الأولى: أنه تعالى قال: ﴿...آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا...﴾ [الكهف:65] والرحمة هي النبوة بدليل قوله تعالى: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ...﴾ [الزُّخرف:32].

وقوله: ﴿وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ...﴾ [القصص:86] والمراد من هذه الرحمة النبوة.[1]

الحجة الثانية: قوله تعالى ﴿...مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف:65] وهذا يقتضي أنه تعالى علمه بلا واسطة تعليم معلم ولا إرشاد مرشد وكل من علمه الله لا بواسطة البشر وجب أن يكون نبياً يعلم الأمور بالوحي من الله.[2]

الحجة الثالثة: إن موسى عليه السلام قال: ﴿...هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾[الكهف:66] والنبي لا يتبع غير النبي في التعليم.

الحجة الرابعة: إن ذلك العبد أظهر الترفع على موسى حيث قال: ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾ [الكهف:68] .

وأما موسى فإنه أظهر التواضع حيث قال: ﴿...وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾ [الكهف:69] . وكل ذلك يدل على أن ذلك العالم كان فوق موسى ومن لا يكون نبياً لا يكون فوق النبي.[3]

---

(1) التفسير الكبير، للرازي، 148/21.

(2) انظر: المصدر نفسه، 148/21.

(3) المصدر السابق، 149/21.

الحجة الخامسة: احتج الأصم على نبوته بقوله في أثناء القصة "وما فعلته عن أمري" ومعناه فعلته بوحي الله وهو يدل على النبوة.

الحجة السادسة: ما روى أن موسى عليه السلام لما وصل إليه قال: السلام عليك. فقال: وعليك السلام يا نبي بني اسرائيل. فقال موسى عليه السلام: من عرفك هذا؟ قال: الذي بعثك إليّ.

قالوا وهذا يدل على أنه عرف ذلك بالوحي والوحي لا يكون إلا مع النبوة.(1)

واستدل القائلون أيضاً بنبوته على ذلك بوجوه:

أولاً: قوله تعالى : ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف:65]، قال القرطبي الرحمة في هذه الآية النبوة.(2)

وقال الألوسي: "والجمهور على أنها الوحي والنبوة، وقد أطلقت على ذلك في مواضع من القرآن وأخرج ذلك ابن أبي حاتم وابن عباس".(3)

ثانياً: قول موسى عليه السلام للخضر: ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ۞ قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ۞ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ۞ قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ۞ قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ [الكهف:66-70]، قال ابن كثير: "فلو كان ولياً وليس نبياً لم يخاطبه موسى بهذه المخاطبة، ولم يرد على موسى هذا الرد، بل موسى إنما سأل صحبته لينال ما عنده من العلم الذي اختصه الله به دونه، فلو كان غير نبي لم يكن معصوماً، ولم تكن لموسى وهو نبي عظيم ورسول كريم واجب العصمة، ولما عزم على الذهاب إليه والتفتيش عنه ولو أنه يمضي حقباً من الزمان قبل ثمانين سنة، ثم لما اجتمع به تواضع له واتبعه في صورة مستفيد منه دل على أنه نبي مثله يوحى إليه".(4)

ثالثاً: أن الخضر أقدم على قتل الغلام، وما ذاك إلا للوحي إليه، لأن الولي لا يجوز له الإقدام على قتل النفوس بمجرد ما يلقى في خلده، ... ولما أقدم الخضر على قتل الغلام الذي لم

---

(1) التفسير الكبير، 149/21.
(2) الجامع لأحكام القرآن، م5، 316/9.
(3) روح المعاني، 461/15.
(4) البداية والنهاية، 482/1.

يبلغ الحلم، علماً منه إذا بلغ يكفر، ويحمل أبويه على الكفر، دل ذلك على نبوته وأنه مؤيد من الله بعصمته.(1)

رابعاً: أن الخضر لما فسر لموسى عليه السلام تأويل تلك الأقاويل قال له بعد ذلك: ﴿...**رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي**...﴾ [الكهف:82] أي ما فعلته من تلقاء نفسي؛ بل أمرت به وأوحى إليه فيه.(2)

قال الشيخ الشنقيطي رحمه الله: "ومن أظهر الأدلة على أن الرحمة والعلم اللدني الذين امتن الله بهما على عبده الخضر عن طريق النبوة والوحي قوله تعالى: ﴿...**وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي**...﴾ [الكهف:82] أي وإنما فعلته عن طريق أمر الله جل وعلا وأمر الله إنما يتحقق عن طريق الوحي".(3)

وقال ابن حجر رحمه الله في الإصابة: "باب ما ورد في كونه نبياً": أي في نبوة الخضر. وقال أيضًا: "فإن قلت إنه نبي فلا إنكار في ذلك، وأيضاً فكيف يكون غير النبي أعلم من النبي"(4)

خامساً: ومن دلائل نبوته: تعليله لما فعل بقوله: ﴿...**فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا**...﴾ [الكهف:79]، وقوله: ﴿**فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا**...﴾ [الكهف:81]، فهذا يدل على أنه كان واثقاً من نتيجة عمله، وهي غيب، لا يدرك إلا بوحي نبوة، ولو كان إلهاماً لقال: فرجوت أن يكون كذا، ولم يحرم به أبداً.

ثانيًا: القائلون بولاية الخضر وأدلتهم:

1- القائلون بولاية الخضر:

هناك من قال بولايته من علماء المسلمين، فالجمهور على أن الخضر نبي، وقال آخرون: أنه كان رسولًا وقيل: بل كان ملكًا. نقله الماوردي في تفسيره وذهب كثيرون إلى أنه لم يكن نبيًا، بل كان وليًا، فالله أعلم.(5)

---

(1) انظر البداية والنهاية، 482/1-483.

(2) المصدر السابق، 483/1.

(3) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، تأليف: محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، 158/4، ط1403هـ-1983م، الرياض، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء.

(4) الإصابة في تمييز الصحابة، 248/2ز

(5) انظر: تفسير ابن كثير، 2186/5.

وبالغ اليافعي – رحمه الله تعالى – فقال: ".. مع كون الخضر ولياً لا نبياً عند جمهور العلماء، وعند جميع العارفين بالله تعالى".[1]

قال الإمام النووي: وهذا أي القول بولايته: خلاف المختار.[2]

2- أدلة القائلين بولاية الخضر:

أ- اعتمد القائلون بولايته على أنه لم يأت نص قاطع من كتاب الله ولا من سنة رسوله ﷺ يدل على نبوته وإنما جاء وصفه بالعبودية، وما جرى على يديه من الخوارق إنما هو من باب الإلهام.

قال الشيخ عبد الرحمن بن السعدي في تفسيره في فوائد قصة الخضر مع موسى: "ومنها أن العبد الذي لقياه ليس نبياً بل عبداً صالحاً، لأنه وصفه بالعبودية، وذكر منة الله عليه بالرحمة والعلم، ولم يذكر رسالته ولا نبوته، ولو كان نبيا لذكر ذلك كما ذكر غيره، وأما قوله في آخر القصة ﴿...**وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي**...﴾ [الكهف:82]، فإنه لا يدل على أنه نبي وإنما يدل على الإلهام والتحديث كما يكون لغير الأنبياء".[3]

ب- واستدلوا أيضاً بأن القول بنبوته يعارضه ما ثبت من قوله ﷺ: **[لاَ نَبِيَ بَعْدِيْ]**[4] وقوله تعالى: ﴿...**وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ**...﴾ [الأحزاب:40]، فلو كان الخضر نبياً وكان حياً بعد وفاة النبي ﷺ لوجب أن يكون بعد نبينا محمد ﷺ نبي.

والرأي الراجح لدي، أن الخضر عليه السلام نبي، وليس بولي، لأن أدلة القائلين بنبوته التي تم ذكرها سابقًا هي الأرجح، والأقوى، وبناءً على ما قال به أعضاء اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء في المملكة العربية السعودية حيث أجابوا على سؤال عن الخضر هل هو نبي أو رجل صالح فقالوا: الصحيح:" أن الخضر عليه السلام نبي لما ذكره الله تعالى في سورة الكهف من قصته مع موسى عليهما السلام..."[5].

---

(1) الخضر بين الواقع والتهويل، محمد خير رمضان يوسف، ص43، ط 1420هـ. 1999م، دار القلم دمشق، الدار الشامية، بيروت.

(2) المصدر السابق، ص43.

(3) تفسير الكريم الرحمن، ص433، مؤسسة الرسالة، 1416هـ-1996م

(4) صحيح البخاري، كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: ما ذُكر عن بني إسرائيل، 60/2، ح3455.

(5) انظر: فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، جمع وترتيب: أحمد الدويش، 286/3-287.

المطلب الثالث: جواز خروج الولي عن الشريعة:

بناءً على اعتقاد المتصوفة نحو الخضر عليه السلام من أنه ولي من أولياء الله وليس نبياً فقد قالوا: إن الأولياء يجوز لهم الخروج عن الأحكام الشرعية التي جاء بها الرسول من عند الله عز وجل كما خرج الخضر عن شريعة موسى.

وتتجلى أيضاً مظاهر الغلو عند الصوفية على أثر هذه المسألة بانحرافهم في فهم العلم اللدني، وأنهم يحصلون هذا العلم من غير واسطة؛ بل بإلهام من الله، وقالوا أيضاً بتفضيل الولي على النبي. وإليك مظاهر غلو الصوفية في الخضر عليه السلام:

مظاهر غلو الصوفية في الخضر عليه السلام:

1- الانحراف في فهم المراد بالعلم اللدني:

يشير القوم بالعلم اللدني إلى ما يحصل للعبد من غير واسطة؛ بل بإلهام من الله وتعريف منه لعبده كما حصل للخضر عليه السلام.

وعرفه الهروي بقوله: "هو العلم الذي يقذفه الله في القلب إلهامًا بلا سبب من العبد، ولا استدلال، ولهذا سمي لدنياً".[1]

وقال الإمام النسفي في تفسير قوله تعالى: ﴿...مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف:65]، يعني: "الإخبار بالغيوب، وقيل: العلم اللدني: ما حصل للعبد بطريق الإلهام"[2].

"والصوفية يرون صلة علومهم بهذا العلم اللدني متمثلة في الفرق بين العلمين المستفادين من الآية وسابقاتها، وهي علم موسى عليه السلام وعلم الخضر، فابن عربي مثلاً ينظر إلى كل من الشخصيتين على أنهما رمز لصاحبي نوعين من العلم، العلم الظاهر الذي يأتي به الأنبياء – عليهم السلام – إلى أممهم وهو علم الشرائع المتلقى من الوحي، والعلم الباطن الذي يعلمه الأولياء وهو علم الحقيقة"[3].

فعلم الأولياء يتصل بالعلم اللدني، إذ يرى الصوفية أن علومهم لدنية لا واسطة فيها بين العبد وربه ويجعلون لها رتبة مخصوصة في مراتب العلم هي فوق مرتبة العلم الظاهر.

---

(1) انظر: مدارج السالكين، 431/3.

(2) تفسير النسفي، تأليف: الإمام أبي البركات عبدالله بن أحمد بن محمود النسفي، تحقيق: سيد زكريا، 646/2، ط1، 1421هـ – 2000م، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز.

(3) الوحي ودلالاته في القرآن الكريم والفكر الإسلامي، ص206.

والحاصل أن غلاة الصوفية قد انحرفوا في فهم المراد بالعلم اللدني، فالعلم اللدني ماقام به الدليل الصحيح عليه، أنه جاء من عند الله على لسان رسله، وما عداه فلدني من لدن نفس الإنسان. منه بدأ وإليه يعود، وقد انبثق سد العلم اللدني، ورجحت سعره حتى ادعت كل طائفة أن علمهم لدني. وقد صنف في العلم اللدني زنادقة المتصوفين.[1]

وصدقوا وكذبوا فإن اللدني منسوب إلى لدن بمعنى عند فكأنهم قالوا: العلم العندي ولكن الشأن فيمن هذا العلم من عنده ومن لدنه، وقد ذم الله تعالى بأبلغ الذم من نسب إليه ما ليس عنده[2].

وأما قصة موسى مع الخضر عليهما السلام: فالتعلق بها تجويز للاستغناء عن الوحي بالعلم اللدني إلحاداً، وكفراً وخروجاً عن الإسلام، موجب لإراقة الدم.

وبهذه الخصوصية والرتبة يرى الصوفية أن الخضر عليه السلام في لقائه مع موسى نبه إلى باطن أفعاله بما قام به هو نفسه من الأفعال التي يدل ظاهرها على الهلاك دون باطنها، ثم شرح له الحكمة في كل منهما ليظهر له مقامه في الولاية، ويبين له الفرق بين العلم الذوقي الباطن وعلم الظاهر[3].

2 – القول بفضل الخضر على موسى عليهما الصلاة والسلام:

أدلة غلاة الصوفية بفضل الخضر على موسى – عليهما السلام–.

1– يزعم غلاة الصوفية أن الولاية أفضل من النبوة وشبهتهم في ذلك كما ورد عن ابن عربي "أن الولي يأخذ عن الله بغير واسطة والنبي والرسول يأخذون بواسطة"[4].

2– ويستدل الصوفية على جواز مبالغتهم في طاعة الشيخ بقصة الخضر مع موسى عليهما السلام يقول السهروردي: "وينبغي للمريد أنه كلما أشكل عليه شيء من حال الشيخ يذكر قصة موسى مع الخضر عليهما السلام، كيف كان الخضر يفعل أشياء ينكرها موسى، وإذا أخبره الخضر بسرها يرجع موسى عن أفكاره، فما ينكره المريد لقلة علمه بحقيقة ما يوجد من الشيخ فللشيخ في محل شيء عذر بلسان الحكمة".[5]

---

(1) انظر: مدارج السالكين، 431/3.

(2) التصوف بين الإفراط والتفريط، د. عبد الله كامل، ص129، ط1، 1422هـ– 2001م، دار ابن حزم، بيروت، لبنان.

(3) فصوص الحكم، 306/2.

(4) المصدر السابق، 135/1.

(5) عوارف المعارف، للسهروردي، ص286، ط 135هـ–1939م، المكتبة العالمية– مصر.

المطلب الرابع: مناقشتهم في معتقدهم:

لقد استغل الصوفية قصة موسى والخضر عليهما السلام في تقسيمهم للدين إلى ظاهر وباطن!

ورد عليهم أبو حامد الغزالي فقال: ولو أن الأمة كلها أرادت الاقتداء بقصة موسى مع الخضر على الوجه الذي يفهمه الصوفية – لبطل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولأصبحت هذه القصة ذريعة الزنادقة لتحليل الشرائع، ولأصبح بإمكانهم أن يصرخوا في وجه المنكرين ويسكتوهم بمجرد تذكيرهم بقصة موسى والخضر بحجة أن عليهم التزام الصمت وعدم التسرع في الإنكار كما فعل ذلك موسى عليه السلام[1]

فحجج الصوفية في هذه القصة قائمة على إضلال المسلمين فالقصة كما وردت في القران والسنة حق وأما استغلال الصوفية لها، فإنه استغلال لحق أريد به باطل.

وذلك لوجوه:

أولاً: إن موسى عليه السلام كان يعلم منزلة الخضر عليه السلام في العلم وأنه أكثر منه، وهذا كافٍ لأخذ ما عند الخضر بلا إنكار ولا اعتراض، وهذا يظهر من خلال موقف موسى عليه السلام عندما سئل عليه السلام، أي الناس أعلم؟ قال: أنا، فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه فقال: بلى، لي عبد بمجمع البحر هو أعلم منك، قال: أي رب ومن لي به؟ قال: تأخذ حوتاً في مكتل، وحيثما فقدت الحوت فهو ثم"[2]، أي يكون في المكان الذي أضعت عنده الحوت. فيستفاد من الحديث أن موسى عليه السلام سأل عن مكان الخضر ليذهب إليه ويتعلم منه.

ثانياً: إن ما فعله الخضر عليه السلام كان مأمورًا به، ولم يفعله من عنده لقول تعالى: ﴿ **...وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي...** ﴾ [الكهف:82]، وقد ذهب المفسرون إلى أن الأمر هنا هو الوحي – فما قام به الخضر عليه السلام من خرقه للسفينة وقتله للغلام وبنائه للجدار كان فعله لذلك عن وحي قاطع من الله تعالى، فإن قالوا بحصول الوحي فهم دجاجلة لا فرق بينهم وبين مسيلمة، وإن نفوا ذلك، فلا وجه يصح لهم في استدلالهم بقصة الخضر وأفعاله التي كانت وحيًا له من الله وما فعلها عن أمره[3]

---

(1) انظر: أبو حامد الغزالي والتصوف، تأليف: عبدالرحمن دمشقية، ص289، ط1، 1406هـ–1986م، دار طيبة للنشر.

(2) صحيح البخاري، 50/1، ح122.

(3) انظر: أبو حامد الغزالي والتصوف، ص290–291.

ثالثًا: إنهم باستدلالهم بقصة موسى والخضر عليهما السلام ينتقصون من مكانة موسى وقدره عليه السلام، فإنهم ينزلونه منزلة العوام الذين يرون ظواهر الأعمال ولا يتفطنون إلى معرفة حقائقها، وهم – أي مشايخ الصوفية – يدعون أنهم يعرفون ذلك، ويقدمون درجة الصوفي على رتبة النبي، جاعلين موسى في مصاف العوام الذين لم ينالوا درجة الصوفي العارف.(1)

رابعاً: إن الخضر لم ينكر على موسى عليه السلام إنكاره عليه مطلقًا؛ بل أنكر عليه تسرعه في الإنكار قبل أن يسأله عن مأخذه الشرعي، مع أنه حذره أنه لن يستطيع معه الصبر على ما لم يحط به خبراً، ولولا علم موسى عليه السلام بنبوة الخضر عليه السلام لما صبر عليه ولما ارتضى أن يقتل طفلاً صغيراً أمامه، وغرق السفينة ومع ذلك فقد أنكر وغالب الصوفية لا ينكرون على من ليسوا أنبياء، فأين هذا من أوامر الصوفية الصريحة بعدم الاعتراض على الشيخ مهما ارتكب من المحرمات الظاهرة، فإن مجرد الاعتراض على الشيخ موجب عندهم للمقت والطرد من رحمة الله.(2)

وعلى فرض أنه يوجد في شرائع من قبلنا بما يسمى "بالعلم اللدني" فإن شريعة محمد ﷺ ختمت كل الشرائع والعلوم وما هذا العلم اللدني الذي يتباهى به الصوفية إلا شريعة أخرى مناهضة لما جاء به نبينا ﷺ لأن ما يأتون به من مخالفات إذا أنكره أحد قالوا هذا من العلم اللدني(3) وعلمهم لدني– لكنه ليس من لدن الله وإنما من لدن شياطينهم، كما قال تعالى: ﴿ ...وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ ... ﴾ [الأنعام:121].

ويورد ابن تيمية – رحمه الله – كلاماً نفيساً حول موضوع خروج الولي عن الشريعة وهم في ذلك ضالون من وجوه:

أولاً: إن الخضر لم يخرج عن الشريعة؛ بل الذي فعله كان جائزاً في شريعة موسى، ولهذا لما بين له الأسباب أقره على ذلك، ولو لم يكن جائزاً لما اقره، ولكن لم يكن موسى يعلم الأسباب التي بها أبيحت تلك، فظن أن الخضر كالملك الظالم، فذكر ذلك له الخضر.(4)

ثانياً: إن الخضر لم يكن من أمة موسى، ولا كان يجب عليه متابعته، بل قال له: إني على علم من علم الله علمنيه الله لا تعلمه، وأنت على علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه، وذلك أن دعوة موسى لم تكن عامة، فإن النبي كان يبعث إلى قومه خاصة، ومحمد ﷺ بعث إلى الناس

(1) أبو حامد الغزالي والتصوف، 291.
(2) المصدر نفسه، 293-294.
(3) انظر: الخضر بين الواقع والتهويل، ص53.
(4) انظر: الخضر بين الواقع والتهويل، ص53، موقف ابن تيمية من الصوفية، ص359.

كافة...فليس لأحد أن يخرج عن طاعته ومتابعته، لا في الباطن ولا في الظاهر، لا من الخواص ولا من العوام. [1]

ثالثًا: أن موسى لم يكن مبعوثًا إلى الخضر، ولا كان يجب على الخضر اتباع موسى، فإن موسى كان مبعوثًا إلى بني إسرائيل، ولهذا قال الخضر لموسى: إنك على علم من علم الله علّمك الله إياه! وأنا على علم من الله علمنيه ما لا تعلمه أنت. ومحمد رسول الله ﷺ إلى جميع الثقلين فليس لأحدٍ الخروج عن مبايعته ظاهرًا وباطنًا، ولا عن متابعة ما جاء به من الكتاب والسنة[2].

رد شيخ الإسلام على المتصوفة الذين يحتجون بقصة الخضر مع موسى على أن الأولياء يسوغ لهم الخروج عن الشريعة كما خرج الخضر عن شريعة موسى عليه السلام قال: "من يسعه الخروج عن شريعة محمد ﷺ كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى عليه السلام فهذا كافر يجب قتله بعد استتابته؛ لأن موسى عليه السلام لم تكن دعوته عامة، ولم يكن يجب للخضر اتباع موسى عليهما السلام بل قال الخضر لموسى عليهما السلام: إني على علم من الله علمنيه الله لا تعلمه، وأنت على علم من الله علمكه الله لا أعلمه".[3]

وقال ابن القيم رحمه الله مستنكراً على غلاة الصوفية احتجاجهم بقصة الخضر مع موسى على جواز خروج الأولياء عن الشريعة، قال "فمن ادعى أنه مع محمد ﷺ كالخضر مع موسى أو جوز ذلك لأحد من الأمة فليجدد إسلامه وليشهد شهادة الحق فإنه بذلك مفارقٌ لدين الإسلام بالكلية فضلاً على أن يكون من خاصة أولياء الله وإنما هو من أولياء الشيطان وخلفائه ونوابه".[4]

ويقول الشيخ عبدالرحمن عبدالخالق: "أن وجود الخضر عليه السلام على دين وشريعة غير شريعة موسى كان أمراً سائغاً وسنة من سنن الله قبل بعثة محمد ﷺ لأن النبي كان يبعث إلى قومه خاصة، ولذلك كان موسى رسولاً إلى بني إسرائيل فقط، ولم يكن رسولاً للعالمين؛ ولذلك لما سلم موسى عليه السلام على الخضر قال الخضر وإني بأرضك السلام قال له موسى: أنا موسى، قال الخضر موسى بني إسرائيل؟! قال: نعم ... أي أنت مبعوث إلى بني إسرائيل ومنهم. [5]

(1) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية، 59/27.
(2) مصرع التصوف، أو تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي، تأليف: برهان الدين البقاعي، تحقيق: عبدالرحمن الوكيل، ص24، تحت إشراف رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، المملكة العربية السعودية.
(3) مجموع الفتاوى، لابن تيمية، 59/27.
(4) مدارج السالكين، 2/ 746.
(5) الفكر الصوفي، 215.

ويتضح في ذلك أن شريعة موسى لم تكن لازمة للخضر في ذلك الزمان، ولكن بعد بعثة النبي محمد ﷺ لا يجـوز شـرعاً لأحد من الناس الخروج عن شريعة رسول العالمين محمد ﷺ؛ بل يجب الإيمان به واتباعه بكل ما جاء به.

ومما يؤكد أنه لايجوز لأحد الخروج عن شريعة محمد ﷺ أن سيدنا عيسى عليه السلام سينزل اخر الزمان حاكما بشريعة محمد ﷺ كما ورد في الحديث، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال ﷺ : [**والذي نفسي بيده، ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم عليه السلام حكماً مقسطاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد**] [1].

الخلاصة:

أن احتجاج غلاة الصوفية بقصة الخضر مع موسى بجواز خروج الأولياء عن الشريعة، كما خرج الخضر على شريعة موسى كما يزعمون فهذا باطل، لأن قصة الخضر ليس فيها خروج عن الشريعة لأنه لما بين الخضر لموسى الأسباب التي من أجلها فعل ما فعل وافقه موسى ولم يختلفا حينئذ، ولو كان ما فعله الخضر مخالفاً لشريعة موسى لما وافقه.

ثم إن الخضر كما تبين من خلال الأدلة أنه ليس من قوم موسى أي أنه غير ملزم باتباع شريعة موسى، لأن موسى كان مرسلاً لبني إسرائيل فقط، والخضر لم يكن من بني إسرائيل، وبذلك نرد على المتصوفة أن حجتهم باطلة ولا يجوز لهم الخروج عن الشريعة بحجة أنهم أولياء الله.

(1) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب نزول عيسى بن مريم حاكماً بشريعة محمد ﷺ، ص 74، ح 155.

المبحث الثاني

معتقد غلاة الصوفية بأن الخضر حي إلى الآن وادعاؤهم التلقي عنه

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ذكر النصوص التي تدل على معتقدهم.

المطلب الثاني: مناقشتهم في معتقدهم.

المبحث الثاني

معتقد غلاة الصوفية بأن الخضر حي إلى الآن وادعاؤهم التلقي عنه

تمهيد:

اختلف العلماء في الخضر عليه السلام هل هو حي وباق إلى الآن؟ أم هو غير حي؛ بل ممن مات فيما مضى من الزمان.

قال النووي: يقولون بأنه حي موجود بين أظهرنا، وهذا القول مشهود عند الصوفية وغيرهم وإليك جملة من أقوال غلاة الصوفية بأنهم يلتقون بالخضر دائماً ويتلقون منه أذكارهم.

المطلب الأول: ذكر النصوص التي تدل على معتقدهم.

يقول ابن عربي: "اعلم أيدك الله أيها الولي الحميم أن هذا الوتد هو خضر صاحب موسى عليه السلام أطال الله عمره إلى الآن وقد رأينا من رآه واتفق لنا في شأنه أمر عجيب وذلك أن شيخنا أبا العباس العريبي رحمه الله تعالى جرت بيني وبينه مسألة في حق شخص كان قد بشر بظهوره رسول الله ﷺ فقال لي هو فلان ابن فلان وسمى لي شخصاً أعرفه باسمه وما رأيته ولكن رأيت ابن عمته فربما توقفت منه ولم آخذ بالقبول أعني قول الشيخ العريبي فيه لكوني على بصيرة في أمره ولا أشك أن الشيخ رجع سهمه عليه فتأذى في باطنه ولم أشعر بذلك فإني كنت في بادية الطريق.

فانصرفت عنه إلى منزلي فنمت في الطريق فلقيني شخص لا أعرفه فسلم علي ابتداءً سلام محب مشفق وقال لي: يا محمد صدق الشيخ أبو العباس فيما ذكره لك عن فلان وسمى لنا الشخص الذي ذكره أبو العباس العريبي فقلت: نعم وعلمت ما أراد ورجعت من حيني إلى الشيخ لأعرفه بما جرى فعندما دخلت عليه قال لي: يا أبا عبد الله أحتاج منك إذا ذكرت لك مسألة يقف خاطرك عن قبولها إلى الخضر يتعرض إليك يقول لك صدق فلاناً فيما ذكره لك.

ومن أين يتفق لك هذا في كل مسألة تسمعها مني فتتوقف؟ فقلت: إن باب التوبة مفتوح فقال: وقبول التوبة واقع، فعلمت أن ذلك الرجل كان الخضر، ولا شك أنني استفهمت الشيخ عنه أهو هو؟ فقال: نعم، هو الخضر [(1)]

وقال غلاة الصوفية ببقاء الخضر وعدم موته، بأحاديث موضوعة مكذوبة.

---

(1) الفتوحات المكية، 282/1.

فمن هذه الأحاديث الواهية: حديث أن الخضر عليه السلام جاء ليلة فسمعه النبي ﷺ وهو يدعو ويقول: اللهم أعني على ما ينجيني فما خوفتني وارزقني شوق الصالحين إلى ما شوقتهم إليه فبعث إليه فبعث إليه رسول الله ﷺ أنس بن مالك رضي الله عنه فسلّم عليه وقال: قل له إن الله فضّلك على الأنبياء، كما فضل شهر رمضان على سائر الشهور وفضّل أمتك على الأمم، كما فضل يوم الجمعة على غيره.

قال ابن كثير: رواه ابن عساكر عن أبي داود الأعمى نقيع وهو كذاب وضّاع، وقال أبوالحسين بن المناوي: وأهل الحديث متفقون على أنه حديث منكر الإسناد سقيم المتن، يتبين فيه أثر الصنعة "يعني أنه موضوع"[(1)].

يقول أحمد بن إدريس الشاذلي: "اجتمعت مع النبي ﷺ اجتماعاً صورياً ومعه الخضر عليه السلام فأمر النبي ﷺ الخضر أن يلقني أذكار الطريقة الشاذلية فلقنني إياها بحضرته" ويستطرد قائلاً: "ثم قال ﷺ للخضر عليه السلام يا خضر لقنه ما كان جامعاً لسائر الأذكار والصلوات والاستغفار"[(2)]

ويرى الشعراني: "أن الخضر لا يجتمع يقظة إلا بالعارفين، أما المريد فإنه يراه في المنام فقط، ونص كلامه "ثم أنه لا يجتمع بأحد من المريدين يقظةً، إنما يجتمع به في المنام، لعجز المريد عن الصبر على صحبته باليقظة، بخلاف كل من العارفين، فإنه يجتمع بهم في اليقظة، ويعلمهم من العلم ما لم يكن عندهم"[(3)].

يقول الشيخ عبدالرحمن عبدالخالق حاكياً مزاعم الصوفية فيه: "باختصار لقد تحول الخضر إلى قصة خرافية كبيرة أشبه بقصة ما يسمونه بالسوبرمان الذي يطير في كل مكان، ويلتقي بالأصدقاء والخلان في كل البلدان، ويشرع للناس ما شاء من عبادات وقربان، ويلقن الأذكار، وينشئ الطرق الصوفية، ويعمد الأولياء والأقطاب، ويولي من يشاء ويعزل من يشاء، وما عليك إذا أردت لقاء الخضر إلا أن تذكر مجموعة من الأذكار فيأتيك الخضر في الحال، ويبشرك بما تشاء من البشارات، ويجعلك ولياً من الأولياء، ويعطيك علوماً لدنية لم يعلمها الرسل أنفسهم، ولا خطرت لهم على بال"[(4)].

(1) البداية والنهاية، 331/1.
(2) الفكر الصوفي ص 225.
(3) المصادر العامة للتلقي عند الصوفية، ص253.
(4) الفكر الصوفي، ص 217- 218.

ما أخبر به أبوالعباس المرسي[1] ، أن الخضر عليه السلام علمه بأنه من قال كل صباح: اللهم اغفر لأمة محمد عليه السلام، اللهم أصلح أمة محمد عليه السلام، اللهم تجاوز عن أمة محمد عليه السلام، اللهم اجعلنا من أمة محمد عليه السلام، من قال ذلك كل صباح، صار من الأبدال"[2]

وادعى أيضاً: "بأنه اكتسب من الخضر معرفة أرواح المؤمنين بالغيب هل هي معذبة أو منعمة".[3]

المطلب الثاني: مناقشتهم في معتقدهم.

قد انقسم علماء المسلمين إلى قسمين فمنهم من قال بحياته كما هو أيضًا مذهب الصوفية ولهم أدلتهم ومنهم من قال بوفاته ولهم أدلتهم.

أولًا: أدلة القائلين ببقائه:

قال بعضهم: "إنه شرب من عين تسمى عين الحياة، وممن نصر القول بحياته النووي في شرح مسلم[4].

قال القرطبي بعد أن نقل القول بموته: "والصحيح القول الثاني وهو أنه حي على ما نذكره"[5]

وقال: "قال ابن عطية: وقد أطنب النقاش في هذا المعنى- يعني حياة الخضر- وذكر في كتابه أشياء كثيرة عن علي بن أبي طالب وغيره"[6]

وقال ابن الصلاح: "وأما الخضر عليه السلام فهو حي عند جماهير الخاصة من العلماء والصالحين والعامة معهم في ذلك وإنما شذ بإنكار ذلك بعض أهل الحديث"[7]

---

(1) أحمد بن عمر المرسي، أبوالعباس، فقيه متصوف، أصله من مرسية في الأندلس، توفي 686هـ-1287م، انظر: الأعلام، 186/1.

(2) المصادر العامة للتلقي عند الصوفية، ص 259، نقلا عن جامع كرامات الأولياء 314/1.

(3) المصدر السابق.

(4) شرح النووي على صحيح مسلم للنووي، 139/15، ط2، 1392هـ، الناشر دار احياء التراث العربي، بيروت.

(5) الجامع لأحكام القرآن، م5، 335/9.

(6) المصدر السابق، م5 335/9.

(7) فتاوى ابن الصلاح، لابن الصلاح، ص185، ط1984، الناشر مكتبة الفارابي.

وقال الإمام القسطريني: والأكثرون- كما قال النووي- على حياته بين أظهرنا، واتفق عليه سادات الصوفية، كابن أدهم.[1] وبشر الحافي[2]، ومعروف الكرخي[3] والجنيد[4] ويروى ذلك عن الحسن البصري أيضاً[5].

وسئل السيوطي عن أشهر الأقوال في موت الخضر وحياته فأجاب بقوله:

للناس خلف شاع في الخضر وهل	أودى قديماً أوحى ببقاء
ولكل قول حجة مشهودة	تسمو على الجوزاء في العلياء
والمرتضى قول الحياة فكم له	حجج تجل الدهر عن إحصاء
خضر وإلياس بأرض مثل ما	عيسى وإدريس بقوا بسماء
هذا جواب ابن السيوطي الذي	يرجو من الرحمن خير جزاء[6]

ثانيًا: أدلة القائلين ببقائه في الأحاديث:

إن الذين ذهبوا على أن الخضر ﷺ بأنه حي استدلوا على ذلك بأحاديث ضعيفة وباطلة.

---

(1) إبراهيم ابن أدهم التميمي: زاهد مشهود، كان يعيش في الحصاد وحفظ البساتين والحمل والطحن، ويشترك مع الغزاة في قتال الروم "يصوم بالسفر والإقامة، ينطق بالعربية الفصحى، ت 161هـ، الأعلام، 31/1.

(2) هو أبونصر بشر بن الحارث بن عبد الرحمن كان عالمًا ورعًا، من كبار الصالحين، أصله من مرو، وكان من أولاد الرؤساء، من دعائه: "اللهم إن كنت شهرتني في الدنيا لتفضحني في الآخرة فاسلبه عني". الطبقات الكبرى، للشعراني، 72/1.

(3) معروف بن فيروز الكرخي. من جملة المشايخ المشهورين بالزهد والورع، وهو من موالي عيسى بن موسى الرضا من آل البيت. كان أستاذًا لسري السقطي، ومشهورًا بإجابة الدعوة. ت200هـ، الأعلام، ص427.

(4) هو أبوالقاسم الجنيد بن محمد الزجاج ﷺ، كان أبوه يبيع الزجاج، الزاهد المشهور، أصله من نهاوند، ومولده بالعراق. تفقه على أبي ثور صاحب الشافعي. ت سنة 297هـ من أقواله: مذهبنا – أي التصوف – مقيد بأصول الكتاب والسنة. الطبقات الكبرى، للشعراني 84/1.

(5) إثمد العين ببيان نبوة الخضر، ص54-55.

(6) المصدر السابق، ص56.

1- أخرج ابن عدي في الكامل قال: قال رسول الله ﷺ: **[يلتقي الخضر مع إلياس في كل عام في الموسم]**[1]، قال إبراهيم بن مرعي بن عطية: وإسناد هذا الحديث ضعيف، لأن فيه الحسن زريق، وهو ضعيف[2]. (أين 2)

2- وقال ابن تيمية رحمه الله وقد سئل عن الخضر وإلياس : "هل هما معمران ؟ فأجاب: "أنهما ليسا في الأحياء ولا معمران"، وقد سأل إبراهيم الحربي أحمد بن حنبل عن تعمير الخضر وإلياس وأنهما باقيان يريان ويروى عنهما فقال الإمام أحمد: من أحال على غائب لم ينصفه منه، ما ألقى هذا إلا الشيطان".[3]

3- قال الشنقيطي رحمه الله: "وحكايات الصالحين عن الخضر أكثر من أن تحصر ودعواهم أنه يجتمع هو وإلياس كل سنة، ويرون عنهما بعض الأدعية كل ذلك معروف، وسند القائلين بذلك ضعيف جداً؛ لأن غالبه حكايات عن بعض من يظن به الصلاح، ومقامات مرفوعة عن أنيس وغيره، وكلها ضعيفة لا تقوم بها حجة"[4].

أما ما قيل عن سبب بقاء الخضر وحياته إلى الآن ، فقد ذكروا له سببين :

1- قيل لأنه دفن آدم عليه السلام بعد خروجهم من الطوفان ، فنالته دعوة أبيه آدم بطول حياته.[5]

2- قيل لأنه شرب من عين الحياة فحيي.[6]

أولاً: أما بقاء الخضر لدعاء آدم بطول الحياة له، فباطل؛ لأن الملائكة هي التي تولت دفن آدم كما ورد في الحديث "لما توفي آدم غسلته الملائكة بالماء وتراً، وألحدوا له وقالوا: هذه سنة آدم في ولده"[7]

ثانياً: وأما لأنه شرب من عين الحياة ، ففي تفسير النسفي أن الرسول ﷺ قال عن سبب رحلة ذي القرنين: [بدء أمره أنه وجد بالكتب أن أحد أولاد سام يشرب من عين الحياة فيخلد، فجعل يسير في طلبها، والخضر وزيره وابن خالته، فظفر فشرب، ولم يظفر ذو القرنين][8]

---

(1) الكامل في ضعفاء الرجال، للإمام الحافظ أبي أحمد عبدالله بن عدي الجرجاني، تحقيق: يحيى مختار غزاوي، 328/2، ح462، ط3، 1409هـ-1988م، دار الفكر، بيروت، لبنان.

(2) الخضر بين الواقع والتهويل، ص167.

(3) مجموع الفتاوى، 337/4.

(4) أضواء البيان، 163/4.

(5) انظر: الإصابة، 250/2.

(6) المصدر السابق، 253/2.

(7) المستدرك على الصحيحين للإمام الحافظ أبي عبد الله الحاكم النيسابوري، 575/2، ح4004. دار المعرفة، بيروت- لبنان

(8) تفسير النسفي، 650/2.

وأورد الحافظ ابن حجر العسقلاني ما أخرجه خيثمة بن سليمان من طريق جعفر الصادق، عن أبيه: أن ذي القرنين كان له صديق من الملائكة، فطلب منه أن يدله على شي يطول به عمره، فدلّه على عين الحياة، وهي داخل الظلمة، فسار إليها، والخضر على مقدمته فظفر بها الخضر، ولم يظفر بها ذو القرنين.[1]

والأحاديث التي يذكر فيها الخضر وحياته، كلها كذب، ولا يصح في حياته حديثٌ واحد[2].

ويتبين من خلال تخريج هذه الأحاديث،أنها ضعيفة، وسبب إيرادي لها في هذا المبحث لأبين للقارئ أن ما يستدل به غلاة الصوفية لإثبات لقياهم بالخضر هي أحاديث وروايات باطلة، لا يعتمد عليها؛ لأنها لم ترد في السنة.

ثالثاً: أدلة القائلين بموته:

ورد البعض الآخر على من يرى حياته فقال:

إن الخضر لو كان موجوداً لكان مما يشاهده الناس كما هو الأمر المعتاد في البشر، وكونه عليه السلام خارجًا عن ذلك لا يثبت إلا بدليل، وأنّى هو ؟! فتأمل.

ذهب الجمهور إلى القول بموته وهو الصحيح إن شاء الله و ممن قال به ورجحه الحسن البصري، والبخاري، وإبراهيم الحربي، وابن المناوي، وكان ابن المناوي يقبح قول من يقول: إنه حي[3].

وإليك جملة النقول في ذلك:

قال ابن الجوزي رحمه الله: "بأنه لو كان حيًا مع ما ثبت أنه كان في زمن موسى، وقبل ذلك، لكان جسده مناسبًا لأجساد أولئك".[4]

وقال ابن تيمية رحمه الله وقد سئل عن الخضر وإلياس: هل هما معمران؟ فأجاب: "أنهما ليسا في الأحياء ولا معمران"، وقد سأل إبراهيم الحربي أحمد بن حنبل عن تعمير الخضر

---

(1) فتح الباري، باب حديث الخضر مع موسى، 196/10.
(2) المنار المنيف في الصحيح والضعيف، تأليف: الإمام ابن قيم الجوزية، حققه: أحمد عبدالشافي، ص66، ط1408هـ-1988م، دار الكتب العلمية.
(3) الزهر النضر، ص50.
(4) الزهر النضر، ص50، وروح المعاني، 462/9.

وإلياس وأنهما باقيان يريان ويروى عنهما فقال الإمام أحمد: من أحال على غائب لم ينصفه، وما ألقى هذا إلا الشيطان.[1]

وقول آخر لابن تيمية: "والصواب الذي عليه المحققون أنه ميت، ووأنه لم يدرك الإسلام، ولو كان موجوداً بزمن النبي ﷺ لوجب عليه أن يؤمن به ويجاهد معه".[2]

وقال ابن حجر رحمه الله: "نقل أبو بكر النقاش في تفسيره عن علي بن موسى الرضا وعن محمد بن إسماعيل البخاري أن الخضر مات وأن البخاري سئل عن حياة الخضر فأنكر ذلك".[3]

رابعًا: الأدلة على موت الخضر عليه السلام:

فقد جاء في المنار المنيف قال ابن قيم الجوزية قال أبو الفرج ابن الجوزي: والدليل على أن الخضر ليس بباق في الدنيا أربعة أشياء: القرآن والسنة وإجماع المحققين من العلماء والمعقول. وأخذ رحمه الله يبين ذلك:

1- الأدلة من القرآن :

أ- قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾[الأنبياء:34]
فهذه الآية صريحةٌ في نفي الخلد والبقاء لأي بشر، وهي نكرة في سياق النفي، فهي من ألفاظ العموم فيدخل في هذا العموم الخضر عليه السلام.[4]

ب- وقال ابن كثير: إن الله تعالى قال: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران:81].
قال ابن عباس: "ما بعث الله نبيًا إلا أخذ عليه الميثاق لئن بعث محمد وهو حي ليؤمنن به ولينصره وأمره أن يأخذ الميثاق على أمته لئن بعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به ولينصرنه"[5].

(1) مجموع الفتاوى، 337/4.
(2) المصدر السابق، 27/ 100.
(3) الزهر النضر، 48.
(4) الحذر من القول بحياة الخضر، تأليف: محمد بن إبراهيم اللحيدان، ص217، ط1، 1413هـ-1992م، دار الكتاب والسنة للنشر.
(5) تفسير ابن كثير، 296/1.

قال ابن كثير: "فالخضر إن كان نبياً أو ولياً فقد دخل في هذا الميثاق فلو كان حيا في زمن رسول الله ﷺ لكان أشرف أحواله أن يكون بين يديه يؤمن بما أنزل الله عليه وينصره لئلا يصل أحد من الأعداء إليه لأنه إن كان ولياً فالصديق أفضل منه وإن كان نبياً فموسى أفضل منه وقد روى الإمام أحمد في مسنده بسنده عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال: **[وَالَّذِيْ نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ مُوْسَى كَانَ حَيَّاً مَا وَسِعَهُ إِلاَّ أَنْ يَتَّبِعَنِيْ]**.[1]

2- الأدلة في السنة على موت الخضر عليه السلام:

حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه: قال: **[لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ نَظَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ أَلْفٌ، وَأَصْحَابُهُ ثَلَاثُ مِائَةٍ وَتِسْعَةَ عَشَرَ رَجُلاً، فَاسْتَقْبَلَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ الْقِبْلَةَ، ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ، فَجَعَلَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ: «اللهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي، اللهُمَّ إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الإِسْلَامِ لاَ تُعْبَدْ فِي الأَرْضِ]**[2]

قال الشنقيطي رحمه الله: "فإذا علمت أن معنى قوله ﷺ: **[اللهُمَّ إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ لاَ تُعْبَدْ فِي الأَرْضِ]** لا تقع عبادة لك في الأرض.

فاعلم أن ذلك النفي يشمل بعمومه وجود الخضر حياً في الأرض لأنه على تقدير وجوده حياً في الأرض فإن الله يعبد في الأرض، ولو على فرض هلاك تلك العصابة من أهل الإسلام، لأن الخضر ما دام حياً فهو يعبد الله في الأرض"[3]

3- إجماع المحققين من العلماء على موت الخضر عليه السلام:

وأما إجماع المحققين من العلماء فقد ذكر عن البخاري رحمه الله أن الخضر مات، وأن البخاري رحمه الله سُئل عن حياته فقال: وكيف يكون ذلك، وقد قال النبي ﷺ: **[أَرَأَيْتَكُمْ لَيْلَتَكُمْ هَذِهِ، فَإِنَّ رَأْسَ مِائَةٍ، لاَ يَبْقَى مِمَّنْ هُوَ اليَوْمَ عَلَى ظَهْرِ الأَرْضِ أَحَدٌ» فَوَهِلَ النَّاسُ فِي مَقَالَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قبل موته بقليل أو بشهر ما من نفس منفوسة أو ما منكم من نفس اليوم منفوسة يأتي عليها مِائَةِ سَنَةٍ وهي يومئذ حَيَّةٌ]**[4]

قال ابن كثير: قال ابن الجوزي فهذه الأحاديث الصحاح تقطع دابر دعوى حياة الخضر.

---

(1) مصنف ابن أبي شيبة تحقيق محمد عوانة ، 74/9،ح26949.
(2) صحيح مسلم، كتاب الجهاد، باب الإمداد بالملائكة، ح رقم 1763، ص700.
(3) أضواء البيان، 4/ 165 – 166.
(4) صحيح البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب السمر في القصة، 151/1، ح601.

قال فالخضر ان لم يكن قد أدرك زمان رسول الله ﷺ كما هو المظنون الذي يترقى في هذه القوة إلى القطع فلا إشكال، و إن كان قد أدرك زمانه فهذا الحديث يقتضي أنه لم يعش بعد مائة سنة فيكون الآن مفقوداً لا موجوداً لأنه داخل في هذا العموم والأصل عدم المخصص له حتى يثبت بدليل صحيح يجب قبوله والله أعلم.[1]

4- الأدلة العقلية على موت الخضر عليه السلام.

أما الدليل من المعقول فمن عدة أوجه:

وقد استدل القائلون بموته بأوجه كثيرة من المعقول وأكثر من بسط القول فيها ابن الجوزي رحمه الله في كتابه الدجال المنتظر في شرح حالة الخضر[2].

الوجه الأول: أن الذي أثبت حياته يقول إنه ولد آدم لصلبه وهذا فاسد لوجهين: أحدهما أن يكون عمره الآن ستة آلاف سنة فيما ذكر في كتاب يوحنا المؤرخ. ومثل هذا بعيد في العادات أن يقع في حق البشر.

ثانيهما: أنه لو كان ولده لصلبه أو الرابع من ولده كما زعموا وأنه كان وزير ذي القرنين فإن تلك الخلقة ليست على خلقتنا بل مفرط بالطول والعرض.

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: **[خَلَقَ اللهُ آدَمَ طُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا، فَلَمْ يَزَلِ الْخَلْقُ يَنْقُصُ بعد]**[3]، وما ذكر أحد ممن رأى الخضر أنه رآه على خلقة عظيمة وهو من أقدم الناس.

الوجه الثاني: أنه لو كان الخضر قبل نوح لركب معه في السفينة ولم ينقل هذا أحد.[4]

الوجه الثالث[5]: أنه قد اتفق العلماء أن نوحاً لما نزل من السفينة مات من كان معه ثم مات نسلهم ولم يبق غير نسل نوح. والدليل على هذا قوله تعالى: ﴿**وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ**﴾[الصَّافات:77]، وهذا يبطل قول من قال: إنه كان قبل نوح.

الوجه الرابع: أن هذا لو كان صحيحاً أن بشراً من بني آدم يعيش من حين يولد إلى آخر الدهر ومولده قبل نوح، لكان هذا من أعظم الآيات والعجائب وكان خبره في القرآن

---

(1) البداية والنهاية، 494-495.

(2) روح المعاني، 463/9، المنار المنيف، ص70-71.

(3) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم وذريته، ح3326.

(4) روح المعاني، 463/9.

(5) انظر: روح المعاني، 463/9-464، المنار المنيف، ص71، 73.

مذكوراً في غير موضع لأنه من أعظم آيات الربوبية، وقد ذكر الله ﷻ أنه أحيا نوحاً ألف سنة إلا خمسين عاماً، وجعله آية فكيف بمن أحياه إلى آخر الدهر؟ ولهذا قال بعض أهل العلم ما ألقى هذا بين الناس إلا الشيطان.

الوجه الخامس: أن القول بحياة الخضر قول على الله بلا علم وذلك حرام بنص القرآن أما المقدمة الثانية: فظاهره، وأما الأولى: فإن حياته لو كانت ثابتة لدل عليها القرآن أو السنة أو إجماع الأمة فهذا كتاب الله تعالى فأين حياة الخضر فيه؟ وهذه سنة رسوله ﷺ فأين فيها ما يدل على ذلك بوجه؟ وهؤلاء علماء الأمة هل أجمعوا على حياته.

الوجه السادس: إن غاية ما يتمسك به من ذهب إلى حياته حكايات منقولة يخبر الرجل بها أنه رأى الخضر، فيا لله العجب، هل للخضر علامة يعرفه بها من يراه؟ وكثير من هؤلاء تغتر بقوله: أنا الخضر، ومعلوم أنه لا يجوز تصديق قائل ذلك بلا برهان من الله، فأين للرائي أن المخبر له صادق لا يكذب؟

الوجه السابع: أن الخضر فارق موسى بن عمران كليم الرحمن ولم يصاحبه وقال له: "﴿...**هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ**...﴾ [الكهف:78]" فكيف يرضى لنفسه بمفارقته لمثل موسى ثم يجتمع بجهلة العباد الخارجين عن الشريعة الذين لا يحضرون جمعةً ولا جماعةً ولا مجلس علم ولا يعرفون من الشريعة شيئاً؟ وكل منهم يقول: قال الخضر وجاءني الخضر وأوصاني الخضر.

الوجه الثامن: أن الأمة مجمعة على أن الذي يقول: أنا الخضر لو قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: كذا وكذا لم يلتفت إلى قوله، ولم يحتج به في الدين، إلا أن يقال: إنه لم يأت إلى رسول الله ﷺ ولا بايعه، أو يقول هذا الجاهل: إنه لم يرسل إليه وفي هذا من الكفر ما فيه.

الوجه التاسع: أنه لو كان حياً لكان جهاده الكفار ورباطه في سبيل الله ومكانه في الصف ساعة، وحضوره الجمعة والجماعة وتعليمه العلم أفضل له بكثير من سياحته بين الوحوش في القفار والفلوات وهل هذا إلا من أعظم الطعن عليه والعيب له.(1)

وقد مضى بيان اختلاف العلماء في حياته وموته، وبينا أن الراجح في هذه المسألة أنه قد مات، إلا أن كثيرًا ممن يُنسب إلى الصلاح يزعم ببقاء الخضر ورؤيته والتلقي عنه مستندين في ذلك على روايات وحكايات ومنامات لا تنهض بالاستدلال بها.

---

(1) انظر: روح المعاني، 464/9، المنار المنيف، ص73-74.

الخلاصة:

يتبين من خلال ذلك حقيقة مراد غلاة الصوفية من قصة موسى والخضر عليهما السلام وهو إتيان المنكرات والمحرمات وإطلاق العنان لشهواتهم من غير إنكار، مع أن موسى عليه السلام لم يترك الإنكار على الخضر عليه السلام ولو مرة واحدة.

اعلم أن أكثر الناس استشهاداً وتعلقًا بالخضر عليه السلام هم الصوفية، فهم الذين نشروا القول بحياته بين الناس حتى اعتقد العوام، بل حتى بعض المشتغلين بالعلم إن ذلك حقيقةً يصعب إنكارها وهم كذلك الذين أشهروا القول بأنه وليٌّ وليس بنبيّ لأغراضهم التي يرمون إليها، وما يرى من النُّصب باسم الخضر فمن علمهم[1] والحق أن الخضر الصوفي يختلف اختلافاً كبيراً تماماً عن الخضر الذي ذكره الله في القرآن وقصَّ علينا النبي ﷺ قصته، فذاك نبيٌّ عبد موحد مؤمن على علم من علم الله بالوحي، عاش ومات لوقته وزمانه وفعل ما فعل موافقاً للحق والشريعة، أما الخضر الصوفي فهو كما رأينا مصدرٌ للخرافة والجهل والشرك ولذلك أخبر الإمام ابن تيمية رحمه الله بأن الخضر المزعوم هذا لا حقيقة له شأنه في ذلك شأن الغوث والقطب الصوفي.[2]

وبناءً على هذا فحكايات الصوفية التي يزعمون فيها التقاؤهم بالخضر وتلقي الأذكار عنه تعدّ كذباً وافتراءً محضاً على الله ورسول ﷺ لأن الخضر قد مات كما يموت غيره فكيف يمكن أن يلتقي بهم ويوزع عليهم الأذكار، وعلى فرض حياته وإن كان هذا مرجوحاً فإنه مأمور باتباع الرسول في كل شئون الحياة.

من كل ما سبق يظهر جلياً أن الخضر لم يلتقِ بأحد من الناس، ولم يثبت أنه حي إلى يومنا، ولم يرد في ذلك رؤية صحيحة تؤكد ما ذهب إليه غلاة الصوفية.

---

(1) الحذر من القول بحياة الخضر، ص37.

(2) الفكر الصوفي، ص 226.

خـــاتـــمــــة البـــحــــث

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على من أكمل الله به الدين، وأتم به النعمة، وختم برسالته الرسالات، فصلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد.

بعد أن وفقني الله ﷻ إلى الانتهاء من هذا العمل، والذي إن أحسنت فمن الله وحده، وإن أسأت فمن نفسي ومن الشيطان، أختم هذا البحث بعرض ما توصلت إليه من نتائج بتوفيق الله.

1- إن الباحث لا يستطيع الوقوف على تعريف أو اشتقاق متفق عليه بين أصحاب المذاهب الصوفية، بل هم في ذلك طرق ومذاهب شتى.

2- إن التصوف نشأ أول ما نشأ على هيئة الزهد والتقشف، ثم تأثر بالفلسفات الوثنية القديمة كاليونانية والنصرانية مما أدى بأصحابه إلى اعتناق عقائد فاسدة.

3- سبب انحراف غلاة الصوفية عن الصواب في باب النبوات هو الجهل، والمبالغة في حب النبي ﷺ، واستنادهم على قصص وخرافات ليس لها أصل لا في الكتاب ولا السنة.

4- نلاحظ من خلال البحث أن الصوفية لهم مصادرهم في التلقي كالإلهام، والكشف والرؤى والمنامات، مبتعدين بذلك عن الهدي النبوي من القرآن والسنة.

5- النبوة غير مكتسبة عند أهل السنة والجماعة، أما عند غلاة الصوفية فالنبوة عندهم مكتسبة يمكن تحصيلها بالاكتساب والمجاهدة.

6- الغلو الزائد في الرسول محمد ﷺ أدى بهم إلى إخراج الرسول ﷺ من مرتبة البشرية والعبودية إلى مرتبة الألوهية.

وتتلخص انحرافات غلاة الصوفية في النبي ﷺ فيما يلي:

- اعتقاد الصوفية بأن الرسول ﷺ مخلوق من نور الله ﷻ وهذا يتصادم مع ما جاء في الكتاب والسنة من أن الرسول ﷺ بشرٌ خلقه الله من تراب.

- اعتقاد الصوفية بأن كل ما في الكون خلق من نور محمد ﷺ وخلقت الكائنات من أجله أيضًا، وهذا مخالفٌ للشرع، لأن الله هو الذي خلق كل ما في الكون لغاية ألا وهي عبادته ﷻ.

- اعتقاد الصوفية بجواز التوجه إلى الرسول ﷺ بالدعاء والاستغاثة، وهو مخالف لما جاء في كتاب الله فقال تعالى: ﴿...**ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ**...﴾ [غافر:60]، فالتوجه بالدعاء والاستغاثة يكون لله تعالى فقط.

7- التوسل المشروع هو الذي يكون عن طريق طاعة الله ورسوله ﷺ بفعل الطاعات، واجتناب المحرمات، عن طريق التقرب إلى الله بالأعمال الصالحة، وسؤاله بأسمائه الحسنى وصفاته العلا، أما التوسل بالذوات، أو بجاه النبي ﷺ، أو الأولياء كما يفعل غلاة الصوفية، فهذا مخالف لمنهج أهل السنة والجماعة.

8- لم يثبت رؤية النبي ﷺ يقظة كما يفتري غلاة الصوفية، فمذهب أهل السنة والجماعة في ذلك، أنه لا يُرى يقظة، ومن رأى ما يوهم ذلك، فإنه من تلبيس الشيطان، وما ورد في الأحاديث الصحيحة رؤيته ﷺ في المنام.

9- تعظيم الأولياء بمعنى حبهم، هذا مذهب أهل السنة والجماعة في الأولياء وهو مخالف لمذهب غلاة الصوفية الذين قدسوا أولياءهم وتفضيلهم على الأنبياء، فهذا لا يقبل في العقيدة الصحيحة.

10- ابتدع غلاة الصوفية أذكار منها الذكر المفرد، والذكر بالقلب، والذكر الجماعي، فهذه الأذكار ليست موجودة في الشريعة الإسلامية، بل هي أذكار مبتدعة ما أنزل الله بها من سلطان.

11- الخضر عليه السلام نبي من الأنبياء، كما ثبت عند جمهور السلف، ثبتت وفاته خلافًا لما يدعيه غلاة الصوفية، بقولهم ملاقاته، والتلقي عنه.

التــوصـــيـــات

1- أوصي نفسي وإخواني في الله بوصية الله تعالى للأولين والآخرين، وهي تقوى الله، فمن تمسك بهذه الوصية، رزقه الله العلم، والعمل النافع اللذين بهما سعادة العبد في الدارين.

2- لابد من غرس العقيدة المأخوذة من الكتاب والسنة في قلوب المسلمين عامة.

3- نشر العقيدة الصحيحة بمختلف الأساليب، التي منها إرسال الدعاة والعلماء لنشر الحق في الأماكن تنتشر فيها الصوفية وهدايتهم.

4- كما أوصي بعقد الندوات والمؤتمرات وبيان عقائد الصوفية الفاسدة لتحذير الأمة منها.

5- منع كتب الصوفية من أن تكون متداولة بين الناس، للحد من الجاهلية التي تدعو لها الصوفية عبر كتبها ومجلاتها.

6- أوصي بعدم التسرع في الحكم على الصوفية بمجرد السماع عنهم إلا بعد سماع قولهم، ورؤية فعلهم، وعرضها على الكتاب والسنة.

تلك أهم النتائج والتوصيات، التي ضمنت بها بحثي – فإن أحسنت فهو محض فضلٍ من الله، وإن أخطأت فأستغفر الله من ذلك، وحسبي أني أردت الصواب.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وصلى الله وسلم على محمد وآله وصحبه أجمعين

الفـهـارس

أولاً: فـــهـــرس الآيـــات القرآنية

الآيـــــة	رقم الآية	الصفحة
﴿البقرة﴾		
﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا... ﴾	23	79
﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ...وَكَانَ مِنَ الكَافِرِينَ ﴾	30–34	135
﴿ ﴿ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ... ﴾	32	أ
﴿ ...هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾	111	100
﴿ وَقَالَتِ اليَهُودُ...فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾	113	150
﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا ... ﴾	129	33
﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا... ﴾	143	8،9
﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ... ﴾	186	95، 115
﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الوُسْطَى... ﴾	238	9
﴿ اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ... ﴾	257	33، 126
﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ...وَإِلَيْكَ المَصِيرُ ﴾	285	29
﴿آل عمران﴾		
﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ... ﴾	44	42
﴿ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ... ﴾	74	29
﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ...وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾	81	185

الآيـــــة	رقم الآية	الصفحة
﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ...﴾	144	49، 88
﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ...﴾	185	185
﴿النساء﴾		
﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ...وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾	163	54
﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ...﴾	64	33، 103
﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ...وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾	152	30، 308
﴿...لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ...﴾	171	1، 6، 84
﴿المائدة﴾		
﴿...الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ...﴾	3	71، 84، 149
﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ...إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾	15-16	139
﴿...وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ...﴾	35	96، 97، 107
﴿وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ...مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾	49	33
﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا...﴾	55	126
﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ...﴾	67	33
﴿...لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ...﴾	77	1،6
﴿الأنعام﴾		
﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ...لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾	68-69	5
﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ...مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ﴾	112-113	76

الآيـــــة	رقم الآية	الصفحة
﴿ قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللهِ... ﴾	50	81
﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ... ﴾	59	81
﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ... ﴾	79	156
﴿ ...وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ... ﴾	121	175
﴿ ...اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ... ﴾	124	29
﴿الأنعام﴾		
﴿ يَا مَعْشَرَ الجِنِّ وَالإِنْسِ ...أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴾	130	31
﴿ أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ... ﴾	156	31
﴿الأعراف﴾		
﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ... ﴾	29	100
﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً... ﴾	55	106
﴿ ...أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ... ﴾	172	137
﴿ وَللهِ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا... ﴾	180	102
﴿يونس﴾		
﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾	63	126
﴿هود﴾		
﴿ ...يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ... ﴾	81	38

ثانياً: فهــرس الأحـــاديـــث الشريفة

الصفحة	طـرف الحـديـث	م
148	مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ...	53.
120، 125	مَنْ رَآنِي فَقَدْ رَأَى الْحَقَّ	54.
120	مَنْ رَآنِي فِي الْمَنَامِ فَسَيَرَانِي فِي الْيَقَظَةِ	55.
ت	مَنْ لاَ يَشْكُرِ النَّاسَ لاَ يَشْكرِ الله...	56.
45	من يرد الله به خيرا	57.
7	هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ...	58.
186	وَالَّذِيْ نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ مُوْسَى كَانَ حَيًّا مَا وَسِعَهُ إِلاَّ أَنْ ...	59.
47	والرؤيا ثلاثة	60.
153	وَأَنَا أَقُولُ الْحَمْدُ لِلَّه، وَالسَّلامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ...	61.
131	وَايْمُ اللَّهِ لَقَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى مِثْلِ الْبَيْضَاءِ...	62.
82	وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنْ النَّارِ...	63.
49	يا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ...	64.
1، 7	يَأَيُّها النَّاس وَإِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ...	65.
9	يُجَاءُ بِنُوحٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ...	66.
183	يلتقي الخضر مع إلياس في كل عام في الموسم...	67.

ثالثاً: فهرس الأعلام

رابعاً: فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم:

1. الإبريز من كلام سيدي عبدالعزيز الدباغ، تأليف: سيدي أحمد بن المبارك السجلماسي المالكي، ط3، 1423هـ – 2002، دار الكتب العلمية.
2. أبو حامد الغزالي والتصوف، تأليف: عبدالرحمن دمشقية، ط1، 1406هـ–1986م، دار طيبة للنشر.
3. الإتقان في علوم القرآن، للإمام: جلال الدين السيوطي، دار الفكر.
4. إتمام الأعلام ذيل لكتاب الأعلام، لخير الدين الزركلي، ط2، 1424هـ – 2003م، دار الفكر، دمشق.
5. إثمد العين ببيان نبوة الخضر واسم ذي القرنين، تأليف: العلاّمة السيد عبدالله بن الصديق الغماري الحسني، تحقيق: عبدالله حلمي حسن الشريف، ط1، 1426هـ–2005م
6. الأجوبة الغالية في عقيدة الفرقة الناجية، تأليف: السيد الحبيب زين العابدين العلوي، ط1.
7. إحياء علوم الدين، أبي حامد الغزالي، تحقيق: سيد عمران، 1425هـ – 2004م، دار الحديث – القاهرة.
8. الأدب المفرد، للبخاري، تخريج الألباني، ط 1421هـ– 2000م، دار الصديق للنشر.
9. الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، مكتبة دار المنار – الأردن – الزرقاء، تأليف الإمام محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي، تحقيق: محمد العمر.
10. أسنى المطالب في أحاديث مختلفة المراتب، تأليف: الإمام محمد بن درويش الحوت، دار الكتب العربية.
11. الإصابة في تمييز الصحابة، تأليف: الإمام ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبدالموجود، الشيخ علي محمد معوض، ط1، 1415هـ – 1995م، دار الكتب العلمية للنشر.

12. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، تأليف: محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، ط1403هـ - 1983م، الرياض، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء.

13. الاعتصام، للعلامة المحقق الأصولي الإمام أبي إسحاق بن موسى بن محمد، دار الفكر، مكتبة الرياض.

14. الأعلام، تأليف: خيرالدين بن محمود بن محمد الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، طبعة 1980م.

15. أفضل الصلوات، على سيد السادات، تأليف: العلامة يوسف النبهاني، ويليه صلوات المحبين، تأليف: أحمد عبدالجواد، عني به: بشار بكري عرابي الدمشقي، قباء للنشر.

16. إلى التصوف يا عباد الله، تأليف: أبوبكر جابر الجزائري، ص52، ط1، 1404هـ، دار البصيرة للنشر.

17. الإمام المجدد ابن باديس والتصوف، تأليف: د. أحمد محمود الجزار، ص101، منشأة المعارف للنشر.

18. انتبه دينك في خطر، للمؤلف: علوي اليمني، الناشر: دار المتنبي، الأردن، دون طبعة.

19. الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل، تأليف: الشيخ عبدالكريم الجيلي، حقق نصوصه وعلق عليه: أبوعبدالرحمن صلاح بن محمد بن عويضة، ط1، 1418هـ-1997م، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

20. أولياء الصوفية عند شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، إعداد الطالب: موسى بن محمد بن هجاد الزهراني، 2003 – 2004م.

21. أولياء الله بين المفهوم الصوفي والمفهوم السني، تأليف: الشيخ عبدالرحمن دمشقية، ضمن موسوعة الرد على الصوفية.

22. الإيمان: أركانه، حقيقته، نواقعه، تأليف: محمد نعيم ياسين، ط5، 1407هـ – 1987م، مكتبة الفلاح، الكويت.

23. الإيمان: حقيقته وأثره في النفس والمجتمع، أصوله وفروعه مقتضياته ونواقضه، تأليف: د. محمد عبدالله الشرقاوي، ط2، 1410هـ – 1990م، دار الجيل – بيروت.

24. البداية والنهاية، تأليف: أبوالفداء الحافظ عمادالدين بن كثير القرشي الدمشقي، تم التحقيق بداء أبي حيان، طبع على نفقة سمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم، دار أبي حيان للنشر، ط1، 1416هـ- 1996م.

25. البردة، تأليف: الإمام البوصيري، شرح شيخ الإسلام إبراهيم الباجوري، ضبطها: الشيخ عبدالرحمن محمود، مكتبة الآداب للنشر.

26. التبرك: أنواعه وأحكامه، تأليف: د. ناصر عبدالرحمن بن محمد الجديع، الناشر: مكتبة الراشد – الرياض.

27. تجديد الفكر الإسلامي، إشراف وتقديم، أ. د. محمود حمدي زقرزوق، ط1430هـ- 2009م، دار الكتب المصرية، القاهرة،.

28. التحرير والتنوير، الإمام الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع.

29. تربيتنا الروحية، تأليف: سعيد حوى، ط1409هـ- 1989م، دار عمار، بيروت – عمان.

30. التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق، بقلم: الدكتور زكي مبارك، ط 1357هـ – 1938م، مطبعة الرسالة.

31. التصوف بين الإفراط والتفريط، د. عبد الله كامل، ، ط1، 1422هـ- 2001م، دار ابن حزم، بيروت، لبنان.

32. التصوف: المنشأ والمصادر، إحسان إلهي ظهير، 1941م – 1987، شبكة الدفاع عن السنة، إدارة ترجمان السنة، لاهور – باكستان، http://www.d.sunnah.net

33. التعريفات، تأليف: علي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق الدكتور: عبدالمنعم الحفني، دار الرشاد.

34. تفسير القرآن الحكيم، للشيخ محمد عبده، ط2، دار المعرفة للنشر والطباعة.

35. تفسير القرآن العظيم المسمى تفسير ابن كثير، تأليف: أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي، تحقيق: محمد إبراهيم البنا، ط1، 1419هـ – 1998م، دار ابن حزم.

36. التفسير الكبير، لابن تيمية، تحقيق: د. عبدالرحمن عميرة، الناشر: الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1408هـ- 1988م.

37. التفسير الكبير، للإمام الفخر الرازي، ط2، دار الكتب العلمية.

38. تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تأليف: عبدالرحمن بن ناصر بن السعدي، تحقيق: عبدالرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، 1416هـ-1996م

39. تفسير النسفي، تأليف: الإمام أبي البركات عبدالله بن أحمد بن محمود النسفي، تحقيق: سيد زكريا، ط1، 1421هـ . 2000م، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز.

40. تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي، تأليف: محمد أحمد لوح، ط1، 1422هـ-2002م، دار ابن القيم للنشر، ودار ابن عفان للنشر والتوزيع.

41. التقرير والتحبير، شرح العلامة المحقق ابن أمير الحاج على تحرير الإمام الكمال ابن الهمام في علم الأصول الجامع بين اصطلاحي الحنفية والشافعية، ط2، 1403هـ - 1983م، دار الكتب العلمية، بيروت.

42. تلبيس إبليس، للحافظ أبي الفرج بن الجوزي البغدادي، تحقيق: السيد الجميلي، 597هـ-1201م، دار الريان للتراث.

43. التمهيد لما في الموطأين من المعاني والأسانيد، أبو عمر يوسف بن عبد البر القرطبي، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي ومحمد عبد الكبير البكري، مؤسسة القرطبة للنشر.

44. تنوير الحلك في إمكان رؤية النبي والمَلَك، للإمام السيوطي، الحاوي للفتاوى للإمام السيوطي، الجزء الثاني، الفتاوى المتعلقة بالتصوف.

45. تنوير القلوب في معاملة علام الغيوب، تأليف الشيخ محمد أمين الكردي، ط1، 1424هـ - 2004م، دار الفكر للطباعة.

46. تهذيب اللغة، تأليف: الإمام أبومنصور الأزهري محمد بن أحمد الهروي الأزهري، تحقيق: أحمد عبدالعليم البردوني، مراجعة: علي محمد البجادي، الدار المصرية للتأليف والترجمة.

47. التوسل: أنواعه، وأحكامه، تأليف: محمد ناصرالدين الألباني، ط5، 1406هـ-1986م، دون طبعة ودار نشر، من موسوعة الرد على الصوفية.

48. التوصل إلى حقيقة التوسل، تأليف: محمد نسيب الرفاعي، ط3.

49. جامع البيان في تأويل القرآن، أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، قدّم له: الشيخ خليل الميس، ط1، 1421هـ . 2001م، دار الفكر للطباعة والنشر.

50. الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبدالله القرطبي، قدم له: فضيلة الشيخ محيي الدين، ضبط: صدقي جميل العطار، ط1424هـ . 2003م، دار الفكر للطباعة والنشر.

51. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، لشيخ الإسلام ابن تيمية، مكتبة المدني ومطبعته.

52. جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس التجاني، للعلامة سيدي علي حرازم ابن العربي، ضبط: عبداللطيف عبدالرحمن، دار الكتب العلمية للنشر، ط1، 1417هـ- 1997م.

53. الحذر من القول بحياة الخضر، تأليف: محمد بن إبراهيم اللحيدان، ط1، 1413هـ- 1992م، دار الكتاب والسنة للنشر.

54. حقوق النبي ﷺ على أمته في ضوء الكتاب والسنة، محمد بن خليفة التميمي، أضواء السلف للنشر، الرياض، السعودية، ط1، 1418هـ . 1997م.

55. حقوق النبي بين الإجلال والإخلال، تأليف: صالح بن فوزان الفوزان "مقدم"، محمد إسماعيل العمراني "مقدم مشارك"، الرياض، السعودية، مجلة البيان، 2006م، ط10.

56. حقيقـة التصوف في ضوء الكتاب والسنة، د. محمد بن ربيع بن هادي المدخلي، ص87 -88.

57. حكم التوسل بالأولياء والصالحين، قرأها وراجعها، د. ناصر بن عبد الكريم العقل، دار الوطن لنشر.

58. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، للحافظ أبي نعيم الاصفهاني، دار الفكر.

59. خصائص المصطفى بين الغلو والجفاء، تأليف: الصادق بن محمد بن إبراهيم، ط1، 2000م، مكتبة الرشد.

60. الخضر عليه السلام عند أهل الحق ومخالفيهم، تأليف د. رشيد بن حسن محمد حلي، حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالقاهرة في مجلة علمية محكمة، عدد 23، 1426هـ - 2005م.

61. الخضر بين الواقع والتهويل، محمد خير رمضان يوسف، ط1420هـ- 1999م، دار القلم دمشق، الدار الشامية، بيروت.

62. درء تعارض العقل والنقل، تأليف: أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، دار الكنوز الأدبية، الرياض، ط1391هـ.

63. دراسات في التصوف والفلسفة الإسلامية، د. صالح الرقب، د. محمود الشوبكي، ط1، 1427هـ-2006م.

64. درة الأسرار وتحفة الأبرار، تأليف: ابن الصباغ محمد بن أبي القاسم الحميري، طبع هذا الكتاب بالمطبعة التونسية، يوم 25 ذي القعدة.

65. دلائل الخيرات، تأليف: أبوعبدالله محمد بن سليمان الجزولي، تم طبعه في محرم 1333م على ذمة عبدالرحمن أفندي محمد بمصر، www.al.mostafa.com

66. دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، ط1، 1408هـ - 1988م، دار الكتب العلمية.

67. ديوان البرعي، تأليف: عبدالرحيم بن أحمد البرعي دون طبعة ودار نشر، مكتبة المصطفى الالكترونية.

68. ديوان الحلاج ويليه أخباره وطواسينه، جمعه: د. سعدي ضناوي، دار صادر، بيروت.

69. الذكر الجماعي بين الاتباع والابتداع، تأليف: د. محمد بن عبدالرحمن الخميس، ضمن موسوعة الرد على الصوفية.

70. الرحيق المختوم، تأليف: صفي الرحمن المباركفوري، ط4، 1422هـ- 2001م، دار الوفاء للطباعة.

71. الرد على مبحث التوسل والاستغاثة والاستعانة من الموسوعة اليوسفية: لأبي عثمان الوادي النجدي، www.soufia/net

72. رسالة الشرك ومظاهره، تأليف: مبارك بن محمد الميلي، تحقيق: أبي عبدالرحمن محمود، ط1، 1422هـ - 2001م، دار الراية للنشر.

73. الرسالة القشيرية في علم التصوف، تأليف: العلامة أبي القاسم القشيري النيسابوري، تحقيق وإعداد: معروف زريق وعلي عبدالحميد بلطجي، ط1، 1413هـ - 1993م، حقوق الطبعة محفوظة لدار الخير.

74. الرسل والرسالات، أ.د. عمر سليمان الأشقر، دار السلام للطباعة والنشر، 1426هـ-2005م.

75. روح البيان في تفسير القرآن، تأليف الإمام إسماعيل حقي بن مصطفى البروسدي، ضبطه: عبد اللطيف حسن عبد الرحمن، ط1، 1424هـ- 2003م، دار الكتب العلمية، بيروت.

76. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم، العلامة الألوسي البغدادي، مكتبة دار التراث، القاهرة، بدون طبعة أو تاريخ نشر.

77. رياض الصالحين، تأليف: الإمام زكريا يحيى بن شرف النووي الدمشقي، ط2، 1424هـ-2004م، دار السلام للنشر.

78. الزهر النضر في نبأ الخضر، تأليف: ابن حجر العسقلاني رحمه الله، علّق عليه: سمير حلبي، ط1، 1408هـ-1988، دار الكتب العلمية للنشر.

79. سلسلة الأحاديث الضعيفة، تأليف: الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، ط2، 1425هـ-2000م، مكتبة المعار للنشر.

80. السلوك عند الحكيم الترمذي ومصادره من السنة، د. أحمد عبدالرحيم السايح، دار السلام للطباعة والنشر.

81. السنا الباهر بتكميل النور السافر، تأليف: السيد محمد الشلي اليمني، تحقيق: إبراهيم بن أحمد المقحفي، ط1، 1425هـ-2004م، مكتبة الإرشاد، صنعاء الجمهورية.

82. سنن ابن ماجه، تأليف: أبوعبدالله محمد بن يزيد القزويني المعروف ابن ماجه، خرّج أحاديثه الألباني، ط2، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط2، 1429هـ-2008م.

83. سنن أبي داود، تأليف: أبوداود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن البشير بن شداد ابن عمرو الأزدي السجستاني، حكم على أحاديثه: العلامة محمد ناصر الدين الألباني، اعتنى به: أبوعبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، ط2، 142هـ-2007م، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع.

84. سنن البيهقي في كتابه السنن الكبرى وفي ذيله الجوهر النقي، تأليف: احمد بن الحسين ابن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني أبو بكر البيهقي، مجلس دائرة المعارف . حيدر أباد، ط1، 1344هـ.

85. سنن الترمذي، تأليف: الإمام محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، حكم على أحاديثه: الشيخ العلامة محمد ناصر الدين الألباني، اعتنى به: أبوعبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، ط1، مكتبة المعارف للنشر.

86. سنن النسائي، تأليف: أبوعبدالرحمن بن شعيب بن علي الخراساني النسائي، حكم على أحاديثه العلامة المحدث: محمد ناصر الدين الألباني، اعتنى به: أبوعبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، ط1، مكتبة المعارف للنشر.

87. سير أعلام النبلاء، تصنيف: الإمام شمس الدين محمد أحمد الذهبي، ط3، 1405هـ – 1985م.

88. شرح العقيدة الطحاوية، محمد بن أبي العز الحنفي، ط8، 1404هـ – 1984م، المكتب الإسلامي، بيروت.

89. شرح العقيدة الواسطية، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تأليف محمد خليل هرّاس، ضبط وخرج الأحاديث: علوي بن عبد القادر سقاف، ط3، 1415هـ . 1995م، دار الهجرة للنشر والتوزيع.

90. الشرح القويم في حل ألفاظ الصراط المستقيم، تأليف: الشيخ عبدالله الهرري، المعروف بالحبشي، ط5، 1425هـ – 2004م، دار المشاريع.

91. شرح النووي على صحيح مسلم، للامام النووي، ط2، 1392هـ، الناشر دار إحياء التراث العربي بيروت.

92. شرح رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، لابن عثيمين، إشراف: أ.د. عبدالحميد مدكور، ، ط1، 1423هـ–2002م، دار السلام للطباعة والنشر.

93. شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق ﷺ، تأليف: العلامة الشيخ يوسف النبهاني، دون طبعة ودار نشر.

94. الصحاح تاج اللغة، تأليف: إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، ط2، 1399هـ–1979م، دار العلم للملايين.

95. صحيح ابن حبان، حققه: شعيب الأرنؤوط، ط1، 1412هـ– 1991م، مؤسسة الرسالة.

96. صحيح البخاري، تأليف: أبي عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري، تخريج وضبط: صدقي جميل العطار، ط1421هـ – 2001م، دار الفكر للطباعة والنشر.

97. صحيح مسلم، تأليف: مسلم بن الحجاج الحسين القشيري النيسابوري، ط2، 1424هـ - 2003م، طبعة دار الكتب العلمية.

98. الصراط المستقيم، تأليف: الشيخ عبدالله الهرري، ط11، 1423هـ - 2002م، دار المشاريع.

99. الصواعق المرسلة الشهابية على الشبه الداحضة الشامية، تأليف:العلامة سليمان بن سحمان النجدي، ط 1، 1409هـ، دار العاصمة الرياض.

100. الصوفية في حضرموت: نشأتها، أصولها، آثارها، تأليف: أمين بن أحمد بن عبدالله السعدي، ط1، 1429هـ-2008م، الناشر: دار التوحيد للنشر.

101. الصوفية نشأتها وتطورها، تأليف محمد العبدة، طارق عبد الحليم، ط4، 1422هـ-2001م

102. الصوفية والفقراء، لشيخ الإسلام ابن تيمية، قدم د. محمد جميل غازي، ، الناشر دار المدني بجدة للطباعة والنشر.

103. الطبقات الكبرى المسماة بلواقح الأنوار في طبقات الأخيار، تأليف: أبي المواهب عبدالوهاب بن أحمد بن علي الأنصاري المعروف بالشعراني، المكتبة الشعبية للنشر.

104. العقائد الإسلامية، د. سعدون محمود الساموك، ط1، 2004م، دار وائل للنشر.

105. عقائد الصوفية في ضوء الكتاب والسنة، تأليف: محمود المراكبي، ط3، سلسلة الظاهر والباطن، الكتاب الثالث، الباب الثاني عشر.

106. عقيدة الأحباش (الهررية) عرض ونقد، بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير بالجامعة الإسلامية، إعداد الطالب: محمد مصطفى الجدي، 1422هـ-2001م

107. العقيدة الإسلامية وأسسها، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، 1408هـ - 1988م، دار القلم.

108. العقيدة الإسلامية، تأليف: د. محمود سالم عبيدات، دار الفرقان للنشر، دون طبعة.

109. عقيدة المؤمن، تأليف: أبوبكر الجزائري، الناشر: مكتبة دار إحياء الكتب العربية.

110. عوارف المعارف، للسهروردي، ، ط 135هـ-1939م، المكتبة العالمية- مصر.

111. غاية الأماني في الرد على النبهاني، تأليف: الإمام محمود شكري الآلوسي، طبع على نفقة عبدالعزيز ومحمد العبدالله الجميح.

112. فتاوى ابن الصلاح، لابن الصلاح، ط1، 1984م، الناشر مكتبة الفارابي.

113. فتاوى أركان الإسلام، لفضيلة الشيخ: محمد بن صالح العثيمين، جمع وترتيب: فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، ط1، 1422هـ، دار الثريا للنشر.

114. فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، جمع وترتيب: أحمد الدويش.

115. فتح الباري بشرح صحيح البخاري، للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، ط1416هـ-1996م، دار الفكر.

116. فتح القدير، الإمام محمد بن علي محمد الشوكاني، حققه أبو حفص سيد إبراهيم بن صادق بن عمران، ط2، 1418هـ - 1997م، دار الحديث.

117. الفتوحات المكية، للشيخ الإمام أبي بكر محيي الدين محمد بن علي بن محمد بن عبدالله الحاتمي المعروف "بابن عربي"، ضبطه: أحمد شمس الدين، ط1، 1420هـ-1999م، دار الكتب العلمية.

118. فخر الدين الرازي والتصوف، تأليف: د. أحمد محمود الجزار، ط2000م، الناشر، منشأة المعارف بالإسكندرية.

119. الفرق بين الفرق، تأليف: عبدالقاهر بن طاهر بن محمد البغدادي، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

120. فرق معاصرة تنسب إلى الإسلام، تأليف: د. غالب بن على عواجي، ط3، 1418هـ - 1997م، دار لينة للنشر والتوزيع.

121. الفرق والجماعات والمذاهب والأحزاب والحركات الإسلامية، تأليف: د. عبدالمنعم الحفنين مكتبة مدبولي، 2005م.

122. فصوص الحكم، لمحيي الدين بن عربي، التعليقات عليه بقلم أبوالعلا عفيفي، دار إحياء الكتب العربية للطبع والنشر.

123. فقه التصوف، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تهذيب وتعليق: الشيخ زهير شفيق الكبي، دار الفكر العربي، بيروت.

124. الفكر الصوفي، عبدالرحمن عبدالخالق، ط4، 1413هـ - 1993م، دار الحرمين للطباعة.

125. الفلسفة الصوفية في الإسلام: مصادرها ونظرياتها ومكانها من الدين والحياة، تأليف: د. عبدالقادر محمود، ط1، 1966 -1967م، مطبعة المعرفة عمارة التأمين – القاهرة.

126. الفوائد الملتقطة في الرد على من زعم رؤية النبي يقظة، ضمن موسوعة الرد على الصوفية.

127. فواتح الجمال وفواتح الجلال، تأليف: نجم الدين كبرى، الناشر: الدار المصرية اللبنانية.

128. في التصوف الإسلامي، أ.د. حسن الشافعي، أ.د. أبو اليزيد العجمي، ط1، 1428هـ-2007م، دار السلام للطباعة والنشر.

129. في ظلال القرآن، لسيد قطب، ط32، 1423هـ - 2003م، دار الشروق.

130. الفيوضات الربانية في المآثر والأوراد القادرية، جمع وترتيب الشيخ محيي الدين عبدالقادر الجيلاني، الناشر: المكتبة الأزهرية للتراث.

131. قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة، تأليف: شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: ربيع بن هادي عمير المدخلي.

132. القاموس المحيط، تصنيف: مجدي الدين الفيروزآبادي، توثيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر، 1415هـ - 1995م

133. قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر، تأليف: محمد صديق حسن خان القنوجي، عالم الكتب، بيروت، تحقيق: د.عاصم بن عبدالله القريوتي، ط1، 1984م.

134. قوادح عقدية في بردة البوصيري، تأليف الشيخ عبدالعزيز آل عبداللطيف، ضمن موسوعة الرد على الصوفية.

135. القواعد الفقهية، تأليف: علي أحمد الندوي، قدم لها العلامة الجليل مصطفى الزرقا، ، ط5، 1420هـ، 2000م- دار القلم دمشق.

136. الكامل في ضعفاء الرجال، للإمام الحافظ أبي عبدالله بن عدي الجرجاني، تحقيق: يحيى مختار غزاوي، ط3، 1409هـ-1988م، دار الفكر، بيروت.

137. كبرى اليقينات الكونية، د. محمد سعيد البوطي، ط6، 1399هـ، مطبعة مودي، القدس، وادي الجوز.

138. الكتاب المقدس، أسفار العهد القديم، الناشر: المركز العالمي للكتاب المقدس (هيئة تأليف) القدس، فلسطين، 1986م.

139. كرامات أولياء الله عز وجل، تأليف: أبي القاسم هبة الله بن الحسن الطبري اللالكائي، تحقيق : د. أحمد سعد حمدان، دار طيبة – الرياض، ط1، 1412هـ . 1992م.

140. الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ، تأليف: محمود عبدالرءوف القاسم، توزيع دار الصحابة، ط1، 1408هـ–1987م

141. الكشف والبيان، تأليف: أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري، دار إحياء التراث العربي. بيروت. لبنان، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، ط1، 1422هـ–2002م.

142. لسان العرب، لجمال الين ابن منظور، دار الكتب العلمية.

143. اللمع، لأبي نصر السراج الطوسي، قدم له: د. عبد الحليم محمود، د. عبد الباقي سرور، دار الكتب الحديثية– مصر.

144. لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، تأليف: العالم الشيخ محمد بن أحمد السفاريني، ط2، 1402هـ – 1982م، منشورات مؤسسة الخافقين.

145. مباحث في علوم القرآن، لمناع القطان، مؤسسة الرسالة، ط35، 1419هـ – 1998م

146. مجموع الأوراد الكبير، للعارف بالله الإمام محمد عثمان الميرغني الختم، إنتاج جمعية أنصار أبوهاشم لإحياء تراث الختمية.

147. المجموع الثمين من فتاوى فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، فتاوى العقيدة، جمع وترتيب: فهدالدين بن ناصر السليمان، ط3، 1411هـ، دار الوطن للنشر.

148. مجموع الفتاوى، لشيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية الحرّاني، اعتنى وخرج أحاديثها: عامر الجزار، أنوار الباز، ط1، 1419هـ–1998م، الناشر: مكتبة العبيكان.

149. محبة الرسول بين الاتباع والابتداع، تأليف: عبدالرؤوف محمد عثمان، ط1، 1414هـ، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، إدارة الطبع والترجمة – الرياض.

150. المحيط في اللغة، تأليف: إسماعيل بن عباد، تحقيق: محمد حسين آل ياسين، ط1، 1414هـ–1994م، عالم الكتب، بيروت.

151. مختصر التجانية، دراسة لأهم عقائد التجانية على ضوء الكتاب والسنة، د. علي ابن محمد آل دخيل الله، ط1، 1422هـ–2002م، جميع الحقوق محفوظة لدار العاصمة.

152. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لأبي عبدالله ابن قيم الجوزية، تحقيق: رضوان جامع رضوان، ط1، 1422هـ – 2001م، مؤسسة المختار، القاهرة.

153. مسند الإمام أحمد بن حنبل، ط1، 1419هـ–1999م، مؤسسة الرسالة.

154. مشكلة الغلو في الدين في العصر الحاضر، تأليف: عبدالرحمن بن معلا اللويحق، ط2، 1420هـ–1999م، مؤسسة الرسالة.

155. المصادر العامة للتلقي عند الصوفية، تأليف: صادق سليم صادق، مكتبة الرشد، الرياض، ط1، 1415هـ – 1994م.

156. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، تأليف العالم العلامة أحمد بن محمد الفيومي، ط1، 1414هـ . 1994م، دار الكتب العلمية، بيروت.

157. مصرع التصوف، أو تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي، تأليف: برهان الدين البقاعي، تحقيق: عبدالرحمن الوكيل، تحت إشراف رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، المملكة العربية السعودية.

158. مع الأنبياء في القرآن الكريم، تأليف: عفيف عبدالفتاح طبارة، ط11، 1982م، دار العلم للملايين.

159. المعجزة القرآنية، تأليف: محمد حسن هيتو، ط2، 1419هـ – 1998م، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر.

160. المعجم الكبير، للطبراني، تحقيق: حمدي السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة.

161. معجم المقاييس في اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، حققه: شهاب الدين أبوعمرو، ط1، 1415هـ – 1994م، دار الفكر للطباعة والنشر.

162. المعجم الوسيط، ط2، أخرجه: د. إبراهيم أنيس، د. عبد الحليم منتصر، عطية الصوالحي، محمد خلف الله أحمد، وأشرف على الطبع حسن على عطية، محمد أمين، ط2.

163. المفردات في غريب القرآن، تأليف: الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، ت502هـ، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة – لبنان.

164. مفهوم التصوف وأنواعه في الميزان الشرعي، تأليف: أ.د. محمود يوسف الشوبكي، 1423هـ-2002م.

165. مفهوم الوسطية في التراث الإسلامي بين النظرية والتطبيق، د. عبد الكبير العلوي المدغري، ط 1428هـ – 2007م، مكتبة روعة للطباعة، عمان، الأردن.

166. المنار المنيف في الصحيح والضعيف، تأليف: الإمام ابن قيم الجوزية، حققه: أحمد عبدالشافي، ط1408هـ-1988م، دار الكتب العلمية.

167. المنقذ من الضلال، لحجة الإسلام الغزالي، بقلم عبدالحليم محمود، ط7، 1392هـ . 1972م، دار الكتب العلمية.

168. المنقذ من الضلال، للغزالي، مع أبحاث في التصوف ودراسات عن الإمام الغزالي، دار الكتب الحديثة، مطبعة حسان.

169. منهاج السنة النبوية، لابن تيمية، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، ط2، 1409هـ-1989م مكتبة ابن تيمية للنشر.

170. الموسوعة الفقهية الكويتية، صادر عن وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الكويت، ط2، 1404-1427هـ)، تحت عنوان: الحكم التكليفي.

171. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، تأليف: الندوة العالمية للشباب الإسلامي، إشراف الدكتور: مانع بن حماد الجهني، دار الندوة العالمية.

172. الموسوعة اليوسفية، للشيخ يوسف خطار، دون طبعة ودار نشر.

173. موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي، د. رفيق العجم، مكتبة لبنان، ناشرون.

174. موطأ مالك، تأليف: مالك بن أنس، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان، ط1، 1425هـ-2004م.

175. موقف ابن تيمية من الصوفية، تحقيق: حمد بن عبدالرحمن العريفي، ط1، 1430هـ، مكتبة دار المناهج – الرياض.

176. موقف الإمام ابن تيمية من التصوف والصوفية، تأليف: د. أحمد بن محمد بناني، ط1، 1406هـ-1986م، شركة دار العلم للطباعة والنشر.

177. النبوات، للإمام شيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية، دار الفكر للطباعة والنشر.

178. النبوة أفضل من الرسالة عند الصوفية، مجلة البحوث الإسلامية.

179. النبوة والأنبياء، تأليف محمد علي الصابوني، دار الصابوني.

180. نظرات في التصوف، د. بدر عبدالحميد هميسة، 1431هـ-2010م.

181. النهاية في غريب الحديث والأثر، تأليف: الإمام مجدالدين ابن الأثير، أشرف عليه: علي بن حسن الحلبي الأثري، ط2، 1423هـ، دار ابن الجوزي.

182. هذه هي الصوفية، تأليف: عبدالرحمن الوكيل، ط4، 1984م، دار الكتب، بيروت.

183. الوابل الصيب من الكلم الطيب، تأليف: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، تحقيق: محمد عبد الرحمن عوض، مؤسسة أم القرى، ط1، 1424 هـ - 2003م.

184. الوحي ودلالاته في القرآن الكريم والفكر الإسلامي، تأليف: د. ستار جبر حمود الأعرجي، ط1421هـ.2001م، دار الكتب العلمية، بيروت.

185. وسطية أهل السنة بين الفرق، د. محمد باكريم محمد باعبدالله، ط1، 1415هـ . 1994م، دار الراية للنشر والتوزيع.

186. الوسطية: مفهومها ومجالاتها ومعالمها، أ. يوسف علي فرحات، بحث مقدم لمؤتمر: الإسلام والعنف والسلم المجتمعي.

مصادر الشبكة العنكبوتية (الإنترنت):

1. أحزاب وأوراد القطب الشيخ أحمد التجاني، اعتنى به وراجعه: أحمد عزوز www.cheikh-skiredj.com
2. أخطاء الصوفية وبدعهم، أصدر بتاريخ 22 – 4 – 2011م، مجموع فتاوى اللجنة الدائمة بالسعودية، المجلد 21 (العقيدة)، أخذ بتاريخ 13 – 7 – 2012م www.almostafa.montadamoslim
3. استمرار النبوة دون انقطاع...عقيدة شيعية صوفية مأخوذة من اليهود، للشيخ إبراهيم الحناوي، تاريخ المقال 21 – 6 – 2009م، أخذ بتاريخ 16 – 6 – 2012م www.sharabh.com
4. أفضل أنواع الذكر وأدنى مراتبه، فتوى رقم 44759، بعنوان: فضل الذكر والدعاء، تاريخ الإصدار 29.2.2004م، أخذ بتاريخ 9.7.2012 www.islamweb.net
5. الإلهام لمدى السادة الصوفية، د. حسن مظفر الزرو، أخذ بتاريخ 16 – 6 – 2012م www.kasnazan.com
6. بيان حقيقة الحضرة، موقع الصوفية www.soufia.org أخذ بتاريخ 30-7-2012
7. تاريخ النور السافر عن أخبار القرن العاشر، العيدروس، www.al.mostafa.com
8. التحذير من الغلو في الدين، أخذ يوم الأحد 10-6-2012م، أرشيف حديث الجمعة، تاريخ العدد 2-8-2007م www.arabeyes.com
9. حكم الذكر الجماعي الجهري، فتوى رقم 140737، تاريخ الإصدار 12.10.2010م، أخذ بتاريخ 9.7.2012م www.islamweb.net
10. الخلوة في الإسلام www.shazly.com
11. دائرة معارف البستاني، إعداد: محمود عباس مسعود، 29.12.2009، أخذ بتاريخ 8.7.2012م www.wata.com
12. ديوان البوصيري، تأليف: شرف الدين البوصيري، www.dahsha.com
13. رسالة التوحيد، محمد عبده، www.al.mostafa.com
14. صوفي يقول: رسول الله يمضغ القات مع أبي بكر وعمر، موسوعة الرد على الصوفية.

15. الغلو: أسبابه وأبعاده، للشيخ سعد البريك، أخذ يوم الأحد 10-6-2012م، تاريخ العدد 10-6-2012م. www.saadalbrak

16. كرامات الأولياء بين أهل السنة ومخالفيهم، عبداللطيف بن محمد الحسن www.forsanelhaq.com أصدر بتاريخ 6 مايو 2010، أخذ بتاريخ 30-7-2012.

17. المدد من ضلالات الصوفية"، للشيخ أبوالوفاء محمد درويش، أصدر بتاريخ 16 أيار 2012، أخذ بتاريخ 30-7-2012م، مجلة الهدي النبوي www.lakii.com

18. المديح النبوي في الخطاب الشعري الناصري، تأليف: محمد شداد الحراق، www.diwanalarab.com

19. مفهوم الوسطية والاعتدال، د. ناصر بن عبد الكريم العقل، راية الإسلام، 2006/4/10م، www.islamflag.net am ,

20. الوسطية في الإسلام: مفهومها ومظاهرها، د. يوسف القرضاوي، إسلام أون لاين.

خامساً: فــهــرس المــوضــوعــات

ملخص البحث

تناول هذا البحث موقف غلاة الصوفية من النبوات في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة.

ويمكن تلخيص هذا البحث في النقاط التالية:

بدأ البحث ببيان مصطلحات البحث: مفهوم الغلو، الوسطية، التصوف، غلاة الصوفية.

ثم بين البحث معنى النبوة والرسالة، والفرق بينهما، وكذلك بين مصادر التلقي عند غلاة الصوفية وأنها مخالفة لمنهج أهل السنة والجماعة.

كما بين البحـــث الغلو الزائد في الرسول ﷺ الذي أدى بغلاة الصوفية إلى إخراج الرسول ﷺ من مرتبة البشرية إلى مرتبة الإلوهية، حيث اعتقدوا أن الرسول ﷺ خلق من نور، والكون خلق من نوره والكائنات خلقت من أجله، وأجازوا الاستغاثة به ﷺ هذا يتصادم مع ما جاء في الكتاب والسنة من أن الرسول ﷺ بشر مثلنا ولكن هو أفضل الخليقة على الإطلاق.

ثم بين البحث تنظيم غلاة الصوفية للأولياء، حيث فضلوهم على الأنبياء، وهذا مخالف لمنهج أهل السنة والجماعة فتعظيم الأولياء عندهم هو حبهم وإكرامهم، دون الغلو فيهم.

ثم بين البحث أن الخضر ﷺ نبي من الأنبياء كما ثبت عند جمهور السلف، وثبتت وفاته خلافاً لما يدعيه غلاة الصوفية، بقولهم ملاقاته، وأخذ العلم عنه.

وأخيراً انتهى البحث ببيان أهم النتائج التي توصلت إليها الباحثة، وكذلك أهم التوصيات التي أوصت بها الباحثة.

Research Abstract

This research deals with the position of the extreme Sufis towards prophecies in the light of the belief of the Sunnis and the group. This research can be summarized in the following points :

The research began with the research terms including the concept of exaggeration, moderation, mysticism and extreme Sufis . The research shows the meaning of the prophecy and the mission and the difference between them. It also shows the reception sources of the extreme Sufis showing that they were in contradiction the Sunnis and the Group approach.

The research shows the excessive exaggeration in the prophet (PBUH) which took the prophet out of the human rank and put him in the rank of divinity as they believed that the prophet (PBUH) was created from light, the universe was created from his light and the human beings were created for his sake . They also sought his help (PBUH) though this contradicts with the provisions of the Quran and Sunnah that the prophet (PBUH) is a human being like us but he is the best of the entire creation at all. The research show the organization of the extreme Sufis of the saints as they preferred them to the prophets a matter which contradicts the Sunnah and group approach who believe that saints are glorified by loving and honoring them without exaggeration . The research also showed that Al Khadher peace be upon him was one of the prophets as it was proved by the predecessors and his death was proved, in contradiction to what was alleged by the extreme Sufis who claimed that they met him and learnt from him.

The research concluded by showing the most important results reached by the researcher and the most important recommendations made by her.